

اهداءات ٢٠٠٣

الدكتورة / صفاء الحمادي

الإسكندرية

اسئلة حرجة ...
واجوبة سريعة

الشيخ محمد متولي الشعراوي

أسئلة حرجة ...
واجوبة سريعة

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية
كتبنا عربي

دار القسوة - بيروت

نمبر التسجيل ١٠١٠١

حقوق الطبع محفوظة
لدار العودة

دار العودة - بيروت

كورنيش المزرعة

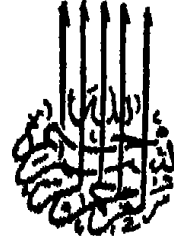
بناية الريفييرا سنتر

هاتف : ٣١٨١٦٥ - ٣١٠٨٤٠

تلکس : ٢٣٦٨٢ LE AWDA



حوار مع الشيخ
الشعراني



مقدمة

لماذا أجريت هذا الحوار

في كثير من الأحيان تحدث في حياة الانسان أشياء لا يستطيع أن يفهمها . . أو يعرف مدلولها الا بعد أن تحدث بفترة طويلة . . حينئذ يحس أو يعرف لماذا وقع هذا الحدث بالذات . . أو ما التي جعل ما أسماء صدفة . . تتم بالصورة التي تمت عليها . . ومنذ عدة سنوات . . ومنذ ثمان سنين على وجه التحديد . . عندما بدأت أكتب في اليوميات عن الناحية الدينية اصطدمت بمشاكل الخطابات التي أوضحت لي ما يعانيه الشباب في مصر . . وخصوصا شباب الجامعة من تمزق وحيرة . . بسبب عدم الفهم الحقيقي لبعض الأمور الدينية التي صور لهم خطأ أنه يوجد تناقض بين الدين والعلم . . وبين الدين والتقدم . . وبين الدين والحضارة . . واستغل بعض الناس الذين يهملهم هدم كل القيم في المجتمع . . استغلوا هذه المفاهيم الخاطئة . . ليلصقوا تهمة التخلف بالدين . . ويضخموا التناقض الذي يدعونه ويأتوا بنظريات علمية خاطئة وغير ثابتة . . وغير يقينية ليواجهوا بها القرآن . . ولقد أدى ذلك الى عكس ما كانوا يريدونه . . فبدلا من أن تنهار القيم وينصرف الشباب عن الدين . . ازداد الوعي الديني التهاوبا عند الشباب . . وأصبح هناك ما أسميه « بالجنوع » الى التفسير الديني السليم الذي يشبع الشباب . . ويزيل التناقضات من نفوسهم . . كانت هناك حاجة سديدة الى تفسير عصري للقران تدخل الراحة الى صدور الشباب . . ولقد استمعت الى فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي مرات في التلفزيون . . ومرات في اذاعة القران الكريم . . ثم التقيت به مرة عند معالي الدكتور عبده يمانى وزير الأعلام السعودي . . وجاء الى خيمتي مرة أخرى . . عندما أصبت بأزمة صحية أثناء الحج . . وأحسست أن الشيخ محمد متولي الشعراوي يحمل حلا

حقيقيا لمشكلة الشباب الحائر .. فمنهجه القرآن وتفسيره عصري .. وحبته قوية ..
ولا يهاب المناقشات .

وعندما عين الشيخ الشعراوي وزيرا للأوقاف .. كتبت في يوميات الأخبار ..
قلت اني أتمنى ألا يصرف منصب الوزارة الشيخ الشعراوي عن الدعوة .. ذلك أن مهمة
الدعوة الاسلامية هامة في هذه الفترة التي تتصادم فيها المذنبات وتتصارع الأفكار ..
ويحاول الالحاد والكفر أن يأخذا طريقهما الى القلوب .. بل اني أجريت حديثا أخذ
صفحة كاملة في الأخبار مع الشيخ الشعراوي وسألته فيه هذا السؤال .. وقال الشيخ
الشعراوي : ان الوزارة لن تشغله عن الدعوة الدينية .. وإنه مقتنع أنه يستطيع تنظيم
العمل الروتيني في الوزارة خلال أشهر .. والتفرغ للدعوة .. وخلال هذا اللقاء قلت
للشيخ الشعراوي اني أتمنى أن أجري معه حوارا حول أهم ما يشغل الناس من المشاكل
الدينية .. ولنبدأ هذا الحوار .. ونخصص له الصفحة الأخيرة من يوم الجمعة في يوميات
الأخبار .. وبدأنا الحوار منذ ثلاثة شهور .. وما زال مستمرا حتى الآن ..

أحمد زين

تفسير القرآن

عندما نتحدث عن تفسير القرآن . . فان الرأي عادة ينقسم الى فريقين . . فريق يقول : ان التفسير في عهد النبي والصحابة . . هو تفسير نهائي غير قابل لأي اضافة . . وان الاضافة فيه هي نوع من تحميل القرآن الكريم أكثر مما يحتمل . . وتعريض كتاب الله الى نظريات علمية أرضية قد يثبت عدم صحتها بعد عشرات السنين . . وفريق آخر يقول : ان القرآن له عطاء ان . . عطاء الفروض والأحكام . . وعطاء آخر في معجزاته . . فعطاء الفروض والأحكام واضح لا لبس فيه . . والتفسير الذي حدث في عهد النبي ﷺ . . ملزم حتى تنتهي الأرض ومن عليها ؟ . . أما معجزات القرآن فهذه يزداد لها العالم فيها . . كلما تقدم العلم كشف الله للناس عن آياته في الأرض . . ومن هنا فان عطاء القرآن في هذه الناحية هو عطاء متجدد . . لا ينتهي أبدا . . أعطى الأجيال التي قبلنا . . وسيعطي الأجيال التي بعدنا . . وله عطاء مستمر لا ينتهي الا بقيام الساعة . . ومن هنا فان المعجزة مستمرة . . ونواحي الإعجاز في القرآن في كل عصر وزمان ومكان موجودة . . والأيام القادمة قد تكشف تفسيراً لبعض الآيات نكون نحن عاجزون عن فهمها الفهم الصحيح . .

وخلال الشهور الماضية . . كانت لقاءاتي كلها مع الشيخ محمد متولي الشعراوي وزير الأوقاف وشؤون الأزهر . . تتناول ناحية تفسير القرآن . . ذلك أنني أحس أن هذا الرجل قد أعطي من العلم والبصيرة ما يجعله يستطيع تبسيط معاني الكتاب الكريم . . لتدخل الى كل عقل . . والرد على كل ما يثار ضد الاسلام من مفكرين . . وشرقيين . . وغربيين . . يحاولون بقدر الامكان تشويه هذا الدين . . والنيل منه بالباطل . .

وقلت للشيخ محمد متولي الشعراوي : ان هناك أسئلة حائرة في أذهان الشباب لا تجد لها التفسير الذي يتلاءم مع مفهوم العصر . . ولقد قدم بعض المفكرين اجتهادات في

التفسير . . بعضها أجاب على أسئلة . . وبعضها جانبه الصواب . . ولكنني من متابعي لأحاديثك كل ما تقوله أرى أنك أكثرهم التزاما . . ودقة في التفسير . . وإنني أتمنى أن تقوم بتفسير للقرآن يطبع ويوزع . . لأن هذه خدمة جليلة للدين . . معنية للشباب على ألا ينحرف . . ونجرفه التيارات المختلفة التي تزين له الدنيا . . وتزين له المعصية . وتصوره الدين على أنه تخلف وسلفية ورجوع الى الماضي . . وبعد عن الحضارة وأفئون للشعوب . . الى آخر هذه التعبيرات التي يحاول كل من يجاربه هذا الدين أن يلصقها به .

قال : انني خلال لقاءاتي التي قمت بها أحسست بقوة الدين في نفوس الشباب . . وتعطشهم لتعلم دينهم . . وهذه بشرى نحمدلها نؤمن أن الخير قادم . . ولقد مر وقت كان فيه العلماء يهانون ولا يكرمون . . والآن . . فان علماء الدين يكرمون في كل مكان . . وهذه بشرى ثانية . . وهذا متمشي مع طبيعة شعب مصر . الذي أعطى فيه النبي الحكيم من قديم في حديث شريف . . إن أهل مصر في رباط الى يوم القيامة . . ومعنى ذلك أن الحظيرة هنا ايمانية .

ولذلك يجد الناس الذين يحاولون اخراج الدين من وجدان هذا الشعب وكيانه . . أن محاولاتهم فاشلة . . وعليهم أن يريحوا أنفسهم . .

والذي أحب أن أقوله ان العلم واسع . . وواسع جدا . ولكن السلوكية هي القليلة بمعنى أنه غالبا ما تستطيع أن تعطي النتائج . . ولكن قليلا جدا وقليلا أولئك الذين يعطون القدوة في السلوك . . بمعنى أنني أريد عن يقول كلاما أن يطبقه أولا على نفسه . . اننا في عصر جرب فيه العالم كل شيء . . جرب فيه جميع النظريات والأشياء التي تعرضها الدنيا . . وتبدو براءة . . ووجد فيها الشقاء والتعاسة . . وبدأ يعود للدين . . ولكن العودة للدين يلزمها القدوة فيمن يقدمون النصيحة . . أو كما قلت أن يطبق الانسان ما يقوله على نفسه أولا . . ولقد قال الرسول ﷺ . . أنا لم آمركم أمرا أنا عنه بنجوى . . وأنا عندما يأتيني رئيس عمل ولا أراه متميزا عني الا بالشقاء في عمله . . وبكثرة العمل . . فاذا طلب مني أي شيء فأنني أقوم به فوراً وبطيب خاطر . . ذلك أنني أحس أنه غير متميز ولا بكثرة مسؤولياته . . وهو في هذا يعطيني القدوة السلوكية التي طالب بها الاسلام . .

والاسلام دين الحق . . ولقد قال لي أحد المستشرقين الذين اعتنقوا هذا الدين . لقد درست الاسلام ووثقت أنه رسالة الحق . . وأن محمدا رسول الحق . . لشيء واحد فكل كاذب له هدف من وراء كذبه . . والهدف من وراء الكذب لمن يدعي أنه رسول . . انه يريد أن يسيطر أو يحكم هؤلاء الناس الذين يدعوهم الى الدين الجديد . . والا فما هو الهدف الذي يسعى اليه . . ولقد عرض على الرسول في أول أمره بدون تعب . . عرض عليه الملك إن أراد . . فرفض وعرضت عليه الثروة والجاه والسلطان . . وكل ما تستطيع الدنيا أن تمهيه . . كل ذلك وهو في أول الطريق . . ولكنه رفض هذا كله . . اذن الغلبة التي يكذب من أجلها رفضها من أول الطريق . . وأحيانا تكون المثل عند الانسان أكبر من حجم الدنيا . . لأنه لم يذق حلاوة الدنيا . . ولكن بعد ذلك حينما تدخل الدنيا عليه قد تغير من مثله وقيمه . . بعد ذلك جاءت الدنيا وليس لنفسه فقط . . وإنما له ولذريته . . فقال : لا لنفسي ولا لذريتي . . لا نورث . . ما تركناه صدقة . . واذا كان هذا خلقه . . فلا بد أن يكون صادقا . .

تحليل آخر أعجبني . . لسيدة أسلمت قالت اني قبل الاسلام قرأت كثيرا عن هذا الدين . . ووجدت أن محمدا كان يجرسه أصحابه بخافة أن يعتدى عليه . . فأتى يوما وقال لحراسه : اذهبوا عني فقد تكفل الله بحراستي . . مصداقا للآية ﴿والله يعصمك من الناس﴾ فلو أن هذا الرجل يخدع الناس جميعا ما خدع نفسه في حياته . . وما عرض نفسه للعدوان عليه . . ولو لم يكن واثقا من أن الذي قال له هذا الكلام هو الله سبحانه وتعالى . . وهو قادر على أن يحميه ويعصمه . . لم يكن يفعل هذا . . هذه أشياء تمر عليها نحن . . وقد لا نلتفت الى تلك المعاني . . ولكن سيده دارسة استخرجت منها هذا المعنى العظيم .

وقصة ثالثة . . عن رجل مستشرق شهر اسلامه . . انه يقول : ان الناس الذين يكذبون محمدا في أنه رسول . . ويقولون إنه أتى بالقرآن من عنده . . ويضيف أنني أتحدى أن توجد عبقرية تصنع لنفسها ثلاثة أساليب . . أسلوب يقال عنه القرآن . . وأسلوب يقال عنه حديث قدسي . . وأسلوب يقال عنه حديث شريف . . ويعزل هذا الأسلوب عن هذا الأسلوب بدقة متناهية بحيث أنك عندما تسمعه تميزه وتقول هذا قرآن . . وهذا

حديث قدسي . . وهذا حديث نبوي . . لا أحد من البشر يستطيع أن يصنع لنفسه هذا . . ثلاثة أساليب متميزة ومختلفة بهذه القدوة والقدرة .

وكثير من الناس يريد أن يناقش الدين والقرآن بشكل عقلي . . ويترك الأساسيات ليبحث عن أشياء يضيف إليها ويستخرج منها اساءة للدين . . ومن بعض هؤلاء الناس أعجب وأعجب كثيرا لأن سلوكهم مع البشر للأسف الشديد يختلف عن سلوكهم تجاه الله . . فأنا إذا مرضت مثلا ذهبت الى الطبيب ليعالجني . . فأختار أبرع الأطباء وأكثرهم شهرة وخبرة في علاج هذا المرض . . وعندما أثق في الطبيب وخبرته وسمعته . . أذهب إليه . . فيكشف علي ويقول : أنت تأخذ وتتناول دواء كذا وكذا . . وأنت تأكل كذا ولا تأكل كذا . . وأخذ هذا قضية مسلمة . . فإذا جاءني صديق يزورني . . وسألني ما هذا الذي تتناوله بعد الغداء أو بعد الطعام . . أقول له : ان هذا دواء قد كتبه الطبيب لي . . فلا يناقش ولا يتكلم . . وإنما يسلم بالأمر . . فإذا كان هذا يحدث مع الطبيب وهو بشر . . فماذا يحدث مع الله سبحانه وتعالى . . اذا كنا متأكدين من وجوده . . فلماذا نريد أن نناقش كل شيء .

قلت : أنا معك في هذا المثل . . ولكن بعض النفوس قد تخدع . . وبعض الكلام والمبادئ الذي يوضع في قالب معسول لقلب هذا الدين قد يصل الى عقول الناس . . وهناك بعض الذين جعلوا هدفهم النيل من هذا الدين بالباطل .

قال : ان هؤلاء الناس موجودون وسيظلون موجودين . . ذلك أن هناك حكمة في وجود الشر بجانب الخير . . الشر هو الذي يغري بالخير . . ولذلك نجد أن الوعي الديني في بلد مثل بلدنا قد يظل خامدا فترة . . الى أن يهاجم الدين في أي شيء . . فنجد الشعور الديني قد التهب . . وهب الجميع للرد على هذا الهجوم . . لأن الخير لو ظل راكدا في النفس بدون ما يهيجه قد يبهت . . . بدليل أننا مثلا في بعض الأمراض الذي ليس عنده ميكروب المرض نعطيه له . . حتى نربي فيه المناعة والقوة . . فإذا جاء المرض من أي طريق تكون عنده هذه المناعة . . واعطاء الميكروب شر . . ولكنه في نفس الوقت يؤدي رسالة الخير في إحداث المناعة عند الانسان . .

تخلف الدول الاسلامية

كان السؤال الاول : لماذا الدول الاسلامية متخلفة . . بينا الدول الاخرى التي لا تدين بالاسلام اكثر تقدما ؟ . . وقال الشيخ محمد متولي الشعراوي . . ان الاسلام قبل أي شيء هو سلوك . . الانسان المسلم يجب أن يسلك سلوك الاسلام . . لكن كثيرا من الناس لا يفعلون ذلك . . بل ان بعض المسلمين الذين يعيشون في بلاد غير اسلامية تجرهم تلك البلاد بعاداتها وتقاليدها . . فيبتعدون عن الاسلام . . واعتقد ان واجبتنا الاول أن نثبت الاسلام في نفوس المسلمين . . معظم الذين اعتنقوا الاسلام قد رأوا القدوة في السلوك الاسلامي . . وأحسوا بعظمة هذا الدين . . وما يقدمه من سلوك طيب . . ومنهج كريم للحياة . .

وفي هذا الكون . . هناك أشياء تفعل لك . . وهناك أشياء تفعل بك . . فالشيء الذي يفعل لك في الكون يستوي فيه الناس جميعا . . كافر ومسلم . . يستوي فيه الناس كل الناس . . هذه الأشياء هي : كالشمس مثلا . . الشمس تشرق كل صباح ولا تخص بنورها كافراً أو مسلماً . . أو شاكراً لله . . أو جاحداً بنعمه . . كلهم سواء . . عطاء الشمس للجميع . . سواء وهي لا تفرق بين شخص وشخص . . والهواء مثلا تنعمه كل الكائنات الحية دون أي تمييز . . والماء مثلا يشرب منه كل كائن حي بصرف النظر عن ديبه وعقيدته وإيمانه بالله أو كفره . . هذه الأشياء تفعل لك كثيرا . . الشمس تعطينا النور والطاقة وأسباب الحياة . . الى آخر ذلك . . والأكسجين والهواء يعطينا أسباب الاستمرار في الحياة . . والماء يعطينا الحياة نفسها . . ﴿وخلقنا من الماء كل شيء حي﴾ . . فهذه الأشياء تفعل لك . . وتفعل لك بلا تمييز . . أي أنها لا تميز في عطائها بين عاص . . وعابد . . ومؤمن . . وكافر . .

نأتي بعد ذلك الى الأشياء التي تفعل بك . . وارتقاء الانسان في الكون يتم فيما يفعل بك لا فيما يفعل لك . . ان ما يفعل بك إن فعلت فيه يفعل . . اذا حرثت

الأرض حرثا جيدا ثم وضعت فيها البذرة . . ثم واطبت على رعايتها وتوليتها تعطيك ثمرا جيدا . . ومحصولا وفيرا . . ان بحثت عن المعادن الصالحة لحياة الانسان في باطن الأرض تعطيك معادنها . . ولولم تفعل فانها لن تنفعل معهم . . فالذين يعملون ويجدون في الأشياء لتنفعل معهم . . والذين لا يقومون بأي جهد مع الأشياء التي تنفعل للانسان في الأرض لا يتقدمون . . ويظلون متأخرين . . وهنا يحدث الخلاف بين ارتقاء عدد من الناس . . وتختلف عدد منهم . . يحدث هذا الخلاف في التعامل مع الأشياء الموجودة في الكون التي تنفعل بك . . ولا دخل للدين في هذه المسألة . . فالأشياء التي تنفعل لك . . كالشمس والهواء والماء . . وما في الأرض . . لا تفرق في عطائها بين مؤمن وكافر وملحد . . والأشياء التي تنفعل بك . . والتي يجب أن تقدم لها عملا لتحصل على النتيجة . . هذه الأشياء أيضا لا تفرق بين مسلم وكافر ومؤمن وملحد . . فالكافر الذي يحسن حرث أرضه وريها . . ويحصل على أجود أنواع البذر . . ويتعهد الزرع . . يجني محصولا وفيرا . . والمؤمن الذي يهمل الأرض ولا يزرعها ولا ينفعل معها لا تعطيه الثمرة . . لانه لا يطبق قوانين الكون . . ولا يعمل لينفعل مع الأشياء التي تنفعل به في الدنيا . . والملحد أو الكافر الذي يستخدم أحدث الأساليب العلمية . . ويجد ويسعى ليكتشف عن المعادن في باطن الأرض . . تظهر له هذه المعادن . . لأنها تنفعل به . . والمؤمن الذي يترك المعدن في باطن الأرض . . ولا يبحث عنه . . لا ينفعل به . . ولا يخرج له .

تلك حقيقة كونية يجب أن نعيها جيدا . . .

ولقد جعل الله ما على الأرض زينة لها . . ليجذب الانسان الى العمل . . فما هي الزينة في حقيقتها . . هي ما يخلق على ذاتيات الأشياء ليجعلها أكثر جاذبية . . فالمرأة مثلا تتزين لتصبح أكثر جاذبية للرجل . . وزينة الأرض هي أن تصبح أكثر جاذبية للانسان ليعمل . . فالانسان حين يرى حديقة جميلة أو عمارة فخمة . . يتمنى أن يبني أو يعمل مثلها . . فتكون هذه الزينة حافزا له للعمل . . فكأن الله قد جعل ما على الأرض زينة لها ليجذبني اليها . . ثم بعد ذلك هل تكون هذه الزينة هي الغاية . . أم لا تكون . . وهنا الابتلاء . . ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿هو أنشأكم من الأرض

واستمرركم فيها ﴿ . . معنى استمرركم . . أي طلب منكم عمارتها . . وذلك لا يتأتى إلا بأمرين . . أن تبقى الصالح على صلاحه . . لا تفسده . . وأن تصلح الفاسد وتزيد إصلاحه . . وأقل ما تأمر به هذه الآية . . هو أنك لا تأتي للصالح وتفسده . . معنى استمر الأرض . . أي أبقى الصالح على صلاحه . . أو زاد في إصلاحه . .

والله يخاطب الشيء بالقوة . . والشيء بالفعل . . زينة الله على الأرض من أثرين . . آثار خلق الله . . والطبيعة التي وهبها لنا . . واثار ما فعله الانسان بما علمه الله له . . ليضيف الى ذلك . . وعندما نقرأ في سورة الكهف . . ﴿ويسألونك عن ذي القرنين . . قل سأتلو عليكم منه ذكرى ﴾ . . انا مكنا له في الأرض واتيناه من كل شيء سبباً . . فأتبع سبباً . . ومعنى ذلك أننا أعطيناه أسباب المنعة والقوة والحكم في الأرض . . ولكنه لم يقتصر على ما أوتي . . لم يقتصر على ما فعل له . . اتبع هو سبباً . . فيما ينفع له . . ولقد أورد الله هذه الآية الكريمة ليقول لنا : ان الانسان مهما يعطى لا يجب أن يكتفي بما أعطي له ولا يفعل شيئاً . . بل يجب أن يأخذ هذا العطاء . . ويعمل من أجل أن يضيف إليه . . ويفعل به . . مع العناصر التي خلقها الله لتتفاعل بعمل الانسان في الأرض . . وذلك مصداقاً للحديث الشريف . لا خير فيمن لا يضيف . . والاضافة هنا بمعناها العام . . أي أنك أنت ان استفدت من الكون . . وجعل الله الكون في خدمتك . . فلا بد أن تعطي عطاءً للكون . . ان تضيف إليه شيئاً . . والا أصبحت الحياة جامدة وغير متحركة . . ولا متطورة . . وتوقف تطور البشرية ونموها . . اذ ان الحياة تتطور من أن يضيف الانسان من ذاته ما تفاعل به مع بيئته . . ومع الكون ليصنع شيئاً جديداً . . أي أن الله سبحانه وتعالى ينهانا أن نقف أمام قطعة من الأرض . . ولا نفعل شيئاً ننتظر المطر ثم يظهر نبات . . أي نبات . . فنأكل منه . . أو نرعى منه الماشية . . ثم بعد ذلك لا شيء . . لا بد أن يعرف الانسان ويدرس كيف يحرث هذه الأرض . . وما هي النباتات الصالحة لها ليحصل على أجود النتائج . . لا بد أن يتعلم كيف يجعل هذه العناصر التي خلقها الله في الأرض لتتفاعل به . . وتعطيه أحسن النتائج . . وهذا معنى الآية الكريمة . . فأتبع سبباً . . أي أنه لم يقف ولم يقتصر على العطاء الذي أعطي له من الله . .

والذي يجب أن نعرفه . . أن منازل الدنيا لا علاقة لها بالآخرة . . فقد يكون رجل ذو جاه ومال في الدنيا . . أخذ من نعم الأرض الكثير . . ومع ذلك مصيره النار . . وقد يكون رجل ليس له حظ في الدنيا رزقه يكاد يكفي قوته . . هو من أهل الجنة . . تلك حياة . . وتلك حياة . . بل ان المترفين في نعم الدنيا هم عادة أكثر بعدا عن الله من غيرهم . . ولذلك ضرب الله عدة أمثلة في القرآن . . ولكن هذا لا يجب أن يلهينا عن الحقيقة . . وهي أن من يتبع القوانين التي وضعها الله في الأرض . . بالنسبة للحياة الدنيا . . يأخذ نصيبه منها . . ومن يتبع قوانين الله بالنسبة للحياة الآخرة . . يأخذ نصيبه منها .

وكما أوضحنا . . فان الله قد أمرنا أن نضيف من الأسباب التي أعطاها لنا في سبيل الرزق . . عملا . . لنحصل على أحسن النتائج . . وهذا العمل هو نوع من العبادة . . لأننا نطيع قوانين الله في الأرض . . وهو أعطانا أسباب الرفعة في الدنيا . . وفي الآخرة . . وعلينا أن نأخذ بهذه الأسباب . . ونعمل من أجل الدنيا . . ومن أجل الآخرة . . مصداقا لقوله تعالى : ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ . . فإذا كان هناك تخلف في الدول الإسلامية . . فالإسلام نفسه بريء من هذا التخلف . . لأنه وضع أمامنا كل أسباب الرقي والتقدم . . وطلب منا العمل في الحياة الدنيا . . حتى يتحقق لنا ثمرة هذا العمل . . فإذا كنا قد تركنا أسباب التقدم التي هي موجودة في الإسلام . . فليس هذا عيب الإسلام . . وإنما العيب في عدم تطبيق تعاليم الإسلام التطبيق الصحيح والسليم .

واني أعجب من بعض الناس الذين يفسرون التوكل على الله بأنه دعوة الى عدم العمل والجهاد . . بينما هو في الحقيقة . . دعوة للجهاد والعمل . . والتأكد من أن النتيجة طيبة . . لأن الله يبارك هذا العمل . . ويبارك هذا الجهاد . . الصادر من قلب المؤمن . . ولكن بعض الناس يريدون أن يضعوا في الدين ما ليس فيه . . وإذا كانت المسألة كذلك . . من أن نترك كل شيء لله . . ولا نعمل . . فلست أدري . . لماذا يتخلى هؤلاء الناس عن مبدئهم في أبسط الأشياء . . وهو الطعام والشراب . . فإذا عطش . . فهو يقوم ليشرب . . وإذا جاء الطعام . . فهو يأكل ويبدل جهدا في تناول

الطعام ومضغه . . لماذا لا يترك كل هذا لقدر الله . . اذا كان المطلوب هو
عدم العمل . . وعدم بذل أي جهد للانسان . . ولماذا يأتي الى هذه النقطة بالذات . .
ويضيف عملا الى ما اعطاه الله .

هل جزاء الاحسان . . الاساءة ؟

كلنا نشكرو من الجحود . . نحن جميعا نحس ان احدا لا يقدر . . ولا يقدر ما نعمله من أجله . . نحس أننا مهملنا من طيبات للناس . . فان جزاءها في كثير من الأحيان لا يكون مثل العمل . . كل انسان منا في قلبه مرارة من ذلك . . وعلى لسانه شكوى . . وولتفت الى السماء ونقول : يا ربي أنت قلت هل جزاء الاحسان الا الاحسان . . ولكن في هذه الدنيا نجد أنه في كثير من الأحيان يكون جزاء الاحسان الاساءة ونكران الجميل . . ونحن حائرون . . لا ندري كيف نفعل الطيب . . ثم نواجه بالحبيث . . ولا نعرف هل هذه قوانين الكون حقيقة . . أم أننا مخدوعون . . قال الشيخ محمد متولي الشعراوي : ان قوانين الله ازلية . . بمعنى أنها لا تتأثر بالزمان ولا بالمكان . . وانها لا يمكن أن تتصادم مع الحقائق الكونية . . لأن الله سبحانه وتعالى هو خالق الكون . . وهو الذي وضع قوانينه وتوأميته . . وما أخبرنا به في القرآن هو الحقيقة . .

هذه بداية يجب أن نعيها جيدا . . ليس فقط عما ستحدث عنه اليوم . . ولكن عن كل شيء في هذا الكون . . فلا يمكن أن تتصادم حقيقة علمية مع ما ذكره القرآن . . الا في حالتين . . اذا لم تكن هذه الحقيقة قد بلغت مرتبة اليقين . . وبالتالي فهي ليست حقيقة علمية . . ولكنها في طور التجربة . . أو أن يساء تفسير الحقائق العلمية التي ذكرها الله في القرآن . . وهناك مثل بسيط لذلك . . سأقوله لك على أن لنا عودة في هذا الموضوع بتوسع . المثل هو قول الله تعالى : والأرض مددناها . ومددناها معناها بسطناها . . وعندما اكتشفت أن الأرض كروية . . وعرف ذلك يقينا . . هلل المهللون بأن هذا يتصادم مع الحقائق الموجودة في القرآن . . فالأرض كروية . . ومع ذلك يقول الله : اننا مددناها أي بسطناها . . بل ان بعض الناس كانوا يعتبرون مجرد ذكر . . ان الأرض كروية هونوع من الكفر . . والحقيقة غير ذلك تماما . . فما معنى قوله سبحانه وتعالى الأرض مددناها . . معناه أنك في أي مكان تصل اليه من العالم تجد أمامك الأرض ممدودة . . أي منبسطة . .

إذا ذهبت الى القطب الشمالي . . أو القطب الجنوبي . . أو خط الاستواء . . أو الى أي بقعة في الأرض تجهد الأرض منبسطة أمامك . . وهذا لا يتأتى الا اذا كانت الأرض كروية . . فلو كانت الأرض مربعة . . أو مسدسة . . أو مثلثة . . أو على أي شكل آخر من الأشكال . . لوصلت فيها الى حافة . . الى مكان تجهد أن هناك حافة للأرض . . ونهاية لها . . ولكن لكي تجهد الأرض منبسطة أمامك في كل مكان تذهب اليه . . فلا بد أن تكون الأرض كروية . . اذن فقوله تعالى : والأرض مددناها . . يؤكد ويحتم أن الأرض كروية . .

يأتي بعد ذلك مسألة الاحسان . . وهناك نوعان من الاحسان . . نوع تبتغي به وجه الله تعالى . . ونوع تبتغي به وجه الانسان . . النوع الأول الله وعدك الحسننة بعشر أمثالها . . فأنت حين تقدم الاحسان مبتغيا وجه الله سبحانه وتعالى . . فانك ستحصل من الله على جزائك الحسننة بعشر أمثالها . .

ولكن بعض الناس يقدم الاحسان مبتغيا رضاء البشر . . لا رضاء الله . . فهو يحسن الى ذلك الانسان لأنه مخلص له . . أو لأنه ينفعه . . أو لأن له عنده خدمة يريد أن يؤديها له . . أو لأن له غرضا من ذلك . . بأن يطوق عنقه بجميل . . أو ينال منه شيئا . . ذلك الاحسان ليس لله فيه من شيء . . فأنت حين قمت به . . قمت ارضاء للبشر . . ارضاء للانسان . . واذا كنت تفعل شيئا لترضي بشرا . . فيجب أن تنال جزاءك من البشر . . والانسان خلق ظلوما . . ومن هنا فانك لا تستطيع . . وأنت تبتغي رضى الانسان أن تطلب الجزاء من الله . . لأنك لم تفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله . . ولا فكرت ثانية واحدة فيها يرضي الله أو يفضبه . . انما كان كل همك أن ترضي بشرا . . وان تحصل على رضى بشر . . وأن تنال غرضا من بشر . . ومن هنا كان الجزاء من نوع العمل . . جزاء بشريا .

فلاحسان حين تقصد به وجه الله . . جزاءه الاحسان . . والحسننة بعشر أمثالها . . مصداقا لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نَطْمَعُكُمْ لُوجِهَ اللَّهِ . . لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ﴾ . . فما دام هولوجه الله . . وما دمت لا تريد جزاء من بشر ولا شكرا . . فان ما تناله هو الاحسان في الدنيا والآخرة . . ولكنك اذا أرت بهذا الاحسان بشرا . . وأردت به رضاء بشر . . أو

الحصول على رضاه . . فانك تطلب رضى الناس . . ولا تطلب رضى الله . . فجزاك من الناس يخضع لمقاييسهم وأخلاقهم . والانسان الذي أنعم الله عليه بنعمة الحياة والرزق والأمن . . وكل نعم الدنيا التي لا تعد ولا تحصى . . أحيانا يكفر بخالقه واهب الحياة له . . ومعطيه كل هذه النعم . . فما بالك اذا كنت أنت تحسن اليه احسانا محدودا . . وتريد منه الجزاء عليه . .

قلت : هناك آية كريمة ﴿وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا﴾ . . وهذه الآية يفسرها بعض الناس على أساس ان الدنيا كل قرية فيها ستهلك قبل يوم القيامة . . أي أن كل قرية مكتوب عليها الهلاك . . فهل هذا التفسير سليم . .

قال الشيخ محمد متولي الشعراوي :

عندما نستعرض حضارات الأرض . . فاننا نجد أنها تقوم على أسباب مختلفة . . أحيانا تقوم على أساس اقتصادي . . وفي أحيان أخرى على أساس عسكري . . في مرة ثالثة يستطيع التمكن من العلم أن ينشأ حضارة قوية تسود الأرض . . المهم ان الحاضرة هي نظام أو منهاج أو طريق للحياة استولى على أسباب التمكن في الأرض . . وأحيانا يكون الاستيلاء بالقوة . . دون أن تكون أسس الحضارة نفسها ومقوماتها موجودة ومتأصلة . . فهناك امبراطوريات قامت وسادت الأرض على أساس القوة العسكرية وحدها . . بينما لم تكن تملك من أسباب الحضارة الأصيلة شيئا سوى قدرتها على القتال والفتح وهناك حضارات كانت تملك بجوار القوة والمنعة التي مكنتها من أن تسود الأرض . . كانت تملك أساسيات الحضارة نفسها . . والتاريخ شاهد على ذلك . . فهناك حضارات بربرية قامت على أساس الفتح العسكري وحده . . وهناك حضارات أقامت بجانب الفتح العسكري أساساً أخرى للتقدم في الحياة .

فاذا كانت أي حضارة أو أي أمة تسود . . فالمفروض أنها بعد ذلك بعد أن سادت وتمت تؤصل نفسها وتثبت نياتها . . وتبقى شائخة قوية على مر التاريخ لا يستطيع الزمن أن ينال منها . . خصوصا اذا كانت هذه الحضارة تملك بجانب أسباب

التمكن في الأرض . . الأساسيات التي تجعلها متقدمة وسابقة لكثير من الأمم . . ولكن الذي يحدث أن كل حضارة تقوم تأخذ فترتها وتزول بعد ذلك . . مع أن هذا ضد منطق الأحداث . . فالذي أقام حضارة من لا شيء . . وتمكن في الأرض . . أسهل عليه أن يثبت ما استطاع أن يصل اليه . . فإذا كان قد أنشأ فعلا حضارة من لا شيء . . واستطاع أن يسود . . وهذا أصعب الأمور . . فإن الاحتفاظ بهذه الحضارة . . وهو سيد الأرض . . يكون عملا أسهل . . ولكن الحقيقة غير ذلك . . فإذا رجعنا للتاريخ . . نجد أن كل حضارة لها عمر . . وتنتهي كالإنسان تماما .

ولكن لماذا تنتهي الحضارات . . الحقيقة ان الذين يقومون بها . . يدخلون على الحضارة . . وهم يعملون بجهد وإخلاص واجتهاد . . فأعطاهم هذا الجهد والاجتهاد . . الحضارة التي طلبوها . . أو أرادوها . . وعندما وصلوا اليها تركوا هذا الجهد والاجتهاد . . وتركوا المثل التي قامت عليها الحضارة من تضحية وشجاعة وعمل . . وبدأوا ينعمون بما تقدمه لهم الدنيا التي تمكنوا منها . . وينحرفون عن طريق العمل الى طريق المتعة والاسترخاء . . والظلم . . فضاعت منهم هذه الحضارة . . وزالت عنهم أسباب التمكن في الأرض . . وتكرار الحضارات عبر التاريخ . . خير دليل على ذلك . .

نأتي بعد ذلك الى الحكمة من الآية الكريمة . . فان الله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لنا انه من الممكن أيها الانسان بجهدك واجتهادك وتفانيك . . تستطيع أن تأخذ أسباب التمكن في الأرض . . ولذلك نجد أن كل مؤسسي الحضارات . . هم أناس تفانوا في الحق . . وتفانوا في الاخلاص لما يؤمنون به . . وعملوا وفي قلوبهم مثل وهبوا حياتهم لها . . ثم يأتي بعدهم قوم لينعموا بهذه الحضارة . . هؤلاء القوم ورثوها بلا تعب . . ولا جهاد . . ولا مثل . . وجدوها هكذا أمامهم توفر لهم أسباب الترف والعبث . . وعدم العمل . . وتحتفي المثل التي قامت عليها الحضارة . . ليحل مكانها تمتع بلا حدود . . وتبدأ الحضارة في الانهيار . . ويستخدمونها في الفساد . . فانشاء الحضارات يتم من الذين لم يتنعموا بهذه الحضارة . . ويظلون طوال حياتهم يتفانون ويعملون من أجل ما آمنوا به . . دون أن يتمتعوا بأي شيء . . ثم يأتي الفساد على يد الذين من بعدهم . . الذين لم يتنعموا في هذه الحضارة . . فتضيع منهم أسباب الحضارة . . وبالتالي فانها تزول .

والعجيب ان الذين ينشئون الحضارات .. لا يتركون أسرارها لأحد .. فقدماء المصريين مثلا لم يتركوا لنا سر بناء الأهرامات .. أو سر تحنيط الجثث .. أو غير ذلك من الأسرار التي مكنتهم من أن يسودوا في الأرض .. تركوا لنا حكاياتهم وقصصهم .. ونحن أحيانا نستنبط الأسباب .. لماذا قامت الحضارة .. ولماذا زالت .. ولكن هذه الأسباب في مجموعها .. قد تمثل جزءا بسيطا من حقيقة الأسرار التي وصلوا اليها ..

والمسألة كلها تتبع قانون الأزلية .. ان الانسان حين يحتفظ بقيمه تظل له السيادة في الأرض .. وحين ينحدر عن هذه القيم تزول عنه هذه السيادة .. ولذلك يقول ابن خلدون .. انك اذا رأيت الحضارة تصل الى قمته .. فاعلم أنها في طريقها الى الزوال .. لماذا ؟ .. لأن الذين ينعمون بها وهي في قمته .. غير الذين أقاموها .. بل انهم جيل آخر .. أخذها بلا قيم .. واستخدمها منحرفا ..

ونحس في معنى الآية الكريمة .. ان الله سبحانه وتعالى وهو الذي خلق الانسان ويعرفه حق المعرفة .. يقول له : انه ما من حضارة تقوم في هذه الدنيا إلا وهي ستزول .. وان من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة .. أو معذبوها عذابا شديدا .. كان ذلك في الكتاب مسطورا .. وأنها ستزول لأن الذين يؤتون أسباب هذه الحضارة ينحرفون عن الطريق .. ويلجأون الى الفساد .. اذا نظرنا حتى في التاريخ الحديث .. وفي الأحداث الأخيرة .. نجد أنه ما من بلد يسود فيها الفساد .. وتنهار فيها القيم .. ويتم فيها البعد عن الله .. إلا وتهلك حضارتها .. أو تصاب بعذاب شديد .. ذلك أن الأمانة في الدنيا هي في اتباع طريق الله .. وليس الأمان بمقاييس يستطيع الانسان أن يضعها مهما وضع فكره .. وحدد مقاييسه .. وفكر ودبر .. إنه يفشل في الوصول الى أين يكمن الأمان الحقيقي .. ولعل ما حدث في لبنان أخيرا التي كانت تعتبر قمة الأمان والأمان .. وتحولت اليها كل رؤوس الأموال .. وكان كل انسان يريد أن يكون آمنا على نفسه وماله .. يذهب الى هناك .. أو يرسل أمواله الى هناك .. ثم ماذا حدث .. انقلب الأمان خوفا .. ذلك أنه كان آمنا بمقاييس الدنيا .. وليس بمقاييس الآخرة ..

لقد خلقنا الانسان في كبد

. ان الانسان يكابد في هذه الدنيا . . ويعاني . . حتى أولئك الذين وضعهم الله على قمة النعم الدنيوية . . وأعطاهم كل ما تستطيع الدنيا أن تهب . . يعانون ويكابدون داخل أنفسهم . . ذلك أن الانسان بطبعه يزهد ما في يده ولا يقدره . . وينظر الى ما في يد الناس . . . وكلما حرم الانسان من شيء أحس أن سعادة الدنيا فيه . . وقد يكون هذا الشيء يحمل اليه الشقاء . . ولكنه رغم ذلك يحس بسعادة الدنيا فيه . . لأنه محروم منه . .

فالذي يملك نعمة الصحة مثلا . . يرى السعادة في المال . . والذي يملك نعمة المال . . يعرف أن السعادة في الصحة . . والذي أعطاه الله نعمة الستر مثلا . . يرى أن السعادة ربما في كل شيء الا ما أخذ . . مع أن بعض الناس في لحظة من لحظات حياتهم يتمنون أن يأخذ الله كل ما أعطاهم . . . ويستترهم . . والذي أعطاه الله نعمة الطمأنينة . . لا يقدرها . . ويبحث عما ينزع من نفسه ما هو فيه من نعمة كبيرة . .

هذه هي سنة الحياة . . ولقد كان لقائي مع الشيخ محمد متولي الشعراوي وزير الأوقاف وشؤون الأزهر . . عن معنى الآية الكريمة ﴿لقد خلقنا الانسان في كبد﴾ وما هو معنى كلمة كبد الذي يعيش فيه الناس . .

وقال الشيخ محمد متولي الشعراوي . . ان الانسان بطبيعة تكوينه مكابد . . فالذي يريد أن يكون الانسان مرتاحا . . هو رجل لم يفهم سر خلق الله . . لأن الله سبحانه وتعالى خلق الانسان مكابدا . . خلقه طاقة . . وميزه فكرا . . طاقة مثل التي في الحيوان تماما . . فيه جزء حيواني . . ذلك الذي ينمو ويعيش بنواميس الدنيا التي تنطبق على الأجساد الحية . . والتي تشترك فيها بطبيعتها معظم الكائنات . . ولكنه ميزه عن كل هذا الخلق بالفكر . . أي أنه فضله على جميع مخلوقاته بإعطائه الفكر . . لماذا؟ . . رأيت جيلا من الحيوانات يقول انه يجب ان نرتقي بمعيشتنا . . وننشئ لنا زرائب على أحدث

نظام . . ونغير طعامنا بطعام أفضل . . ونخترع الدواء لأمراضنا . . ونحاول أن نحل مشاكلنا بأنفسنا . . رأيت جيلا من الحيوانات يفعل ذلك .

رأيت حيواناً حينما يوضع الطعام أمامه يقول : أنا آكل ذلك . . ولا آكل هذا . . أو يقول : سأوفر جزءا من هذا الطعام الى غد . . أو سأدخر جزءا من الطعام الذي أمامي للأيام القادمة . . رأيت حيواناً حينما يشبع يظل يأكل . . أو انك ضربته مهبا ضربته ليأكل أكثر يستجيب لك . . أبدا . . إنه يأخذ حاجته فقط . . ثم بعد ذلك يترك الطعام . . ولا يأخذ عودا من البرسيم زيادة . . مهبا كانت الوسائل التي تستخدمها معه . .

نأتي بعد ذلك للانسان في هذه الناحية . . اذا أكل وشبع . . ثم قلت له : هذا الصنف من الطعام جيد . . يجب أن تتذوقه . . أو أحضرت له طبقا من الطعام شكله مغري . . وزينته له . . فانه رغم شبعه يأكل . . ويأكل . .

فبينما الحيوان يأكل على قدر الغريزة فقط . . نجد أن الانسان تدخل فيه قدرة الاختيار الذي وضعه الله فيه . ليتخذ قرارا . . وأحيانا يكون هذا القرار ضارا به . . وأحيانا يكون نافعا . . ولكن له القدرة على اتخاذ القرار . . بحيث يستطيع أن يأكل . . أو لا يأكل . . بعد أن شبع . . وأن يفعل شيئا . . أو لا يفعل . . ليس مدفوعا بالغريزة . ولكن باختياره الخاص . . وقراره . .

ثمضي بعد ذلك . . رأيت حيواناً نم على حيوان . . رأيت حيواناً أخذ منه ابنه وذبح وامتنع عن الأكل أو الشرب . . رأيت حيواناً يريد أن يبقى ابنه بجواره بعد أن أصبح هذا الابن يستطيع أن يعتمد على نفسه . . ويحصل على قوته بقدرته . . أنه يرعاه غريزيا . . طالما هو محتاج الى هذه الرعاية . . عاجز على أن يحصل على طعامه وشرايه بنفسه . . فاذا وصل الى القدرة على الحياة بمفرده . . انفصل عن الأب . . وانتهى كل شيء . . أي أنه لا يتعلق بأبنائه . . بعد أن انفصلوا عنه . . وأصبحوا قادرين على الحياة . . ولا يبحث عنهم . . أين ذهبوا . . ولا الى أين اتجهوا . . ولا ماذا جرى لهم . . إن مهمته قد انتهت . . بمجرد أن اعتمد أولاده على أنفسهم . . رأيت حيواناً له بدائل في الانفعالات . . أنت اذا أذيت الكلب مثلا . . يعضك . . والحمار أو الحصان

يرفسك . . أي أن انفعاله له شيء واحد لا يتغير . . بينما الانسان له عشرات البدائل من الانفعالات . . فاذا ضربك شخص . . فأنت تستطيع أن ترد الضربة . . أو تردّها أشد . أو أقل . . أن تؤذيه أكثر . . أو تصفح عنه . . أو تحسن اليه . . بدائل لا حدود لها موجودة عند الانسان وحده . . وما دامت هذه البدائل موجودة . . فلا بد أن هناك في الانسان شيء يجعله يختار . . أو يميز بين هذه البدائل . . بحيث يتخذ القرار . . أما الذي ليس عنده سوى بديل واحد . . فهو غير محتاج الى فكر ليميز به بين البدائل التي أمامه . .

وهنا يأتي معنى الآية الكريمة . . ﴿لقد خلقنا الانسان في كبد﴾ . . فأنت وأمامك هذه البدائل كلها . . أو الانسان وهو أمامه هذه البدائل كلها . . مطلوب منه أن يختار . . ماذا يفعل ؟ . . هل يفعل هذا أم ذاك . . هل يرد الاساءة . . أم يواجهها بالاحسان . . هل يستقيل من وظيفة ويبدأ عملاً حراً . . أو أنه قد يفلس اذا قام بهذا العمل . . وهل يضمن غده . . أمامه بدائل متعددة . . أيها خير . . وأيها شر . . لو اختار هذا . . هل اختار الصواب أم الخطأ . . لو اتخذ هذا القرار . . ما هو أثره على غده . . ومستقبله . . لو فعل كذا . . أيأتي يوم يندم على ما فعل . . اذا ضاعت هذه الفرصة . . فهل ستأتي فرصة غيرها . .

اذن . . فهو ان امتنع عن اتخاذ القرار . . فهو في كبد . . لأنه يحس أنه ربما أخطأ . . وربما فاتته الفرصة . . واذا اتخذ القرار . . واختار أحد البدائل فهو في كبد . . لأنه يحس أنه ربما قد أخطأ فيها فعل . . اذا قال نعم . . فهو في كبد . . ربما كان يجب أن يقول لا . . واذا قال لا فهو في كبد . . ربما كان الخير في كلمة نعم . . وهكذا لا يخرج من الكبد أن يتخذ القرار . . أو لا يتخذ . . أو أن يقوم بالعمل . . أو يمتنع عنه . . انه يعيش في كبد دائم .

وهنا يجب أن نعرف أن كلمة الانسان حين تطلق . . يراد بها الانسان على اطلاق خلقه بدون تمييز . . هذا الانسان هو الذي يكابد دائماً اذا وافق أو امتنع أو اتخذ أي قرار . . ولكن ما الذي يصل بالانسان الى الراحة . . ويبعده ويذهب عنه هذا الكبد . . انه الايمان . . ولذلك عندما تأتي الى 'الانسان . . وتأخذه بغير ايمان . . وتطلقه لغرائزه . .

فانك تجد أن كل قدر يواجهه . . يعتبر شرا . فاذا لم يحصل على المال فهو شر . . واذا حصل على المال . . خاف من الحسد والسرقه . . أو ضياعه . . أو انفاقه . . ولذلك فهو في شر . . اذا كان صحيحا معافي . . فانه لا يعتبر هذا نعمة . . وانما يأخذها على أساس أن ذلك هو المفروض . . ويبدأ بعد ذلك في النظر الى النعم التي أنعم الله بها على غيره من خلقه . . وفي نفسه مرارة وحسرة . . فاذا أصيب بالمرض أحس أنه شر . . وبدأ يعرف قيمة نعمة الصحة . . فكل قدر في نظره . . يمثل شرا . . ولذلك قال الله سبحانه وتعالى ﴿ان الانسان لفي خسر﴾ . . ﴿وان الانسان خلق هلوعا﴾ . . هذه هي طبيعة تكوينه . . طبيعة خلقه . . ما الذي ينزل السكينه على قلبه . . ويجعله لا يكابد في الحياة . . انه المنهج والايان . . ولذلك فان الله سبحانه وتعالى استثنى وقال : في أكثر من موضع ﴿الا السديسن آمنوا﴾ . . اذن ماذا يخرجني من كبد الدنيا . . ومن المعاناة فيها؟ . . انه الايمان . . ولذلك فان النبي ﷺ . . المؤمن بخير على كل حال . . فما دام قد آمن . . فالمؤمن يفسر كل شيء بالمنهج الذي يؤمن به . والله يقول في أكثر من موضع . . ﴿فعمى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾ . . ويقول الله سبحانه وتعالى : ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير . . ومعنى ذلك أن الانسان لا يعرف مقاييس الخير التي وضعها الله . . وانما هو في دعائه وكرهه لأشياء تحدث له . . انما يستخدم مقاييسه الخاصة التي قد تصور الخير على أنه شر . . وتصور له الشر على أنه خير . . فيدعو من أجل الشر . . ومقاييس الانسان قاصرة عن الحقيقة . . أما مقاييس الله سبحانه وتعالى فهي المقاييس المطلقة التي يجب أن نلتزم بها . . والتي تميز الخير عن الشر . . كما لا نستطيع نحن باذراكنا المحدود أن نميزه . . ومن هنا فان الانسان قد يدعو بشيء . . ويقول ربي . . انني أريد هذا . . انني أطلب هذا ويقول الله سبحانه وتعالى أنت لا تعرف أين الخير . . ان ما تطلبه هو شر . . وأنا أريد لك الخير . . ولذلك لن أعطيك ما تطلب . . ويمزن الانسان لأن الدعاء لم يجب والطلب لم يتحقق . . ولو أوتي العلم لعرف أن الله كان رحيما به . . وانه منعه من شر كان سيأتي . . وان الله أراد أن يعطيه الخير . . فلم يستجب له . . ولأضرب مثلا بسيطا . . اذا طلب ابنتك منك أن تشتري له مسدسا . . هو يعتقد أن هذا خير . . ذلك أن المسدس سيجعل له سطوة بين أصدقائه . . ويحميه من أي شخص يعتدي عليه . . ويجعله آمناً قوياً الى آخره . . هو يعتقد أنه خير . . ولكنك بمنطق الأب

ترفض أن تشتري له هذا المسدس لأنك تعلم أنه شاب صغير . . وأنه قد يتهور فيقتل أحدا . . أو يفقد أعصابه وسيطرته على نفسه حينما يتشاحن مع أي شخص أو يسبه أي شخص فيحدث ما لا تحمد عقباه . .

هو يتصور بأنك منعت عنه الخير . . لأنك لم تشتري له المسدس الذي يطلبه . . وأنت واثق أنك منعت عنه شرا . . وشرا كبيرا بعدم استجابتك لطلبه .

ولذلك فإن المؤمن يجب أن يعرف أن الخير فيما اختاره الله . . وأنه ما دام الإيمان في قلبه . . والاخلاص لله هو منهجه . . فإن الله لن يتخلى عنه أبدا . . مصداقا لقول الله تعالى ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم﴾ . . وقوله تعالى ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا﴾ وقوله تعالى ﴿ومن يتقي الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ وآيات أخرى في القرآن الكريم . . فالؤمن بطبيعته يعرف أن الله معه . . وأنه لن يتخلى عنه أبدا . . وأن الخيرة فيما اختاره الله . . ولذلك . . عندما يحدث له . . ما يعتقد هو أنه شر . . فإنه يعرف أن ذلك خير له . . وأن الله قد منع عنه ما طلب . . أو ما تمنى . . لأنه يريد أن يقيه من شر حقيقي . . وأعطاه غير ما يطلب لأن في ذلك خيراً وخيراً كثيراً وهكذا يعيش الحياة دون أن يكابد أو يعاني بل يعيش بنفس مطمئنة وقلب مرتاح . . فطريق الراحة في الحياة هو الإيمان . . انه هو الذي يخلصك من تعب الدنيا ومعاناتها ومشاكلها . .

حديث عن الرزق

ان الحديث عن الرزق يشغل الناس في الدنيا . . بل يكاد يكون هو مهمهم الأكبر . . وما دام الرزق مقدرًا . . ومكتوبًا . . فلماذا العمل . . قال الشيخ محمد متولي الشعراوي . . انه ما دامت الدنيا هذا أملها المحدود . . فلا يجب أن نعطيها فوق طاقتها . . نعمل العمل . . ولا نطلب الا الثواب من الله . . ولقد أعطى الله في القرآن قضية اسمية في رسول الله . . في نساء النبي . . حين استتب الأمر لهذا الدين . . وكثرت الغنائم . . فأحبين أن يعشن عيشة يملأها زخرف الدنيا وبهجتها . .

ويعضي الشيخ محمد متولي الشعراوي في الحديث فيقول : حينئذ نزلت الآية الكريمة :

يا نساء النبي . . ﴿ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحكن سراحا جميلا . . وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة . . فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما﴾ . . اذن فالقضية في أمر الدين . . أعلا ما بها . . وصيانة لها . . وحلا للناس عليها . . فالجزاء هو الجنة . . والذي يريد ثمننا غير هذا . . يكون قد أرخصها . . فالذين يتأسون برسول الله . . وبحياة رسول الله . . يجب ألا يغيب عنهم هذا القول . . لأنه اذا غاب عنهم سيتعبون في الحياة الدنيا . . ويتعبون في كل ما يحدث . . وسعادته لا تنبع مما يحدث . . ولكن تنبع من داخله . . فالسعادة في حقيقتها لا تنبع مما يحدث للناس . . ولكن تنبع مما في داخلهم . . ومما في أنفسهم . . فقد يحدث حدثان متشابهان لشخصين . . فاذا أحدهما سعيد وراض بما حدث . . واذا الثاني شقي تعيس بما تم . . مع أن الحدثين واحد . . والشخصين ظروفهما متشابهة . .

فمثلا يحدث أن يتقدم شخصان متشابهان في كل شيء الى صفقة معينة أو شراء شيء معين بقصد التجارة . . وتفشل العملية . . أحدهما يكون شقيا يلعن حظه . .

ويلعن الحياة .. ذلك هو من يريد الدنيا . فهو مؤمن بقصر نظره .. وعدم علمه ..
وتفضيله العاجل على الأجل .. والعائد السريع القليل على العائد البعيد الوفير
الكثير .. ذلك الانسان الذي يرى من الدنيا ظاهرها .. ويؤمن بأنه هو الحكم الوحيد
على ما يحدث سواء خيرا أو شرا .. ومن هنا فهو يعتقد أن ما حدث له هو شر .. وشر
ميين .. فتضيق نفسه .. وتضيق الحياة في وجهه .. وتملأه الانفعالات .. ويوضع
في قلبه السخط .. والتبرم والتشاؤم ..

ورجل آخر له نفس الظروف .. ولكنه يحترم قدر الله فيه .. ويعرف أنه مهما
أعطي من العلم .. فقد أعطي القليل .. وأن علم الله لا تدركه العقول والأبصار ..
ومن هنا فهو يؤمن أن ضياع هذه الصفقة هو شر أراد الله أن يبعده عنه .. وأن الله في
قدره .. انما أراد له الخير لأنها لو تمت لكانت ربما قد أدت الى أحداث كثيرة لا
يتمناها .. ولا يريدنا .. ومن هنا فنفسه راضية .. وقلبه مطمئن الى قضاء الله ..
وهو راض يعرف أن ما أذهب الله عنه .. وإن كان ظاهره خيرا .. الحياة الدنيا ..
ويتعجبون في كل ما يحدث .. وسعاده .. الا أن باطنه وحقيقته هو الشر .. ويعرف أن
الله قد ادخر له في المستقبل القريب ما هو أحسن من هذا .. وأكثر خيرا .. ويعرف أنه
باحترام قدر الله فيه .. انما يكون من أهل الجنة الذين فازوا .. فازوا الفوز العظيم ..
لأنهم اختاروا الجزاء من الله أولا وأخيرا .. وهذا الجزاء يصله لا بقدراته هو .. ولكن
بقدرات الله .. ولا بوقته الضيق .. ولكن بالخلود الذي وعده به الله ..

وإذا كان الله في بالك .. فأحداث الدنيا كلها لا تؤثر فيك ..

قلت للشيخ محمد متولي الشعراوي : إن هناك قضية هامة في الاسلام هي قضية
التوكل على الله .. وهناك خلط عند المسلمين بين قضية التوكل والتوكل .. فالذين
يريدون أن يأخذوا بالمعنى الظاهر .. يقولون انه ما دام كل شيء بقدر .. فلماذا العمل
والتعب .. وما دام الرزق مقدر .. ولكل انسان رزقه .. فلماذا نتعب أنفسنا في قضية
الرزق .. وهذا التوكل في رأي بعض المستشرقين هو أحدا أسباب تأخر الدول
الاسلامية .. حيث لا يأخذ العمل جديته .. ومقاييسه الدنيوية .. وحيث لا يأخذ
الحرص مكانه الحقيقي .. وحيث يترك كل شيء لقدر الله ..

قال : ان الانسان فيه أشياء لا دخل له فيها . . وأشياء أخرى تخضع للاختيار . .
فمثلا نمو الانسان كونه يولد طفلا . . ثم ينمو شابا . . ثم رجلا . . ثم دور الكهولة . .
حتى يأتي قدره . . مشكلة لا دخل له فيها . . فهو لا ينمو باختياره . . ولا يستطيع مثلا
أن يوقف نموه . . ويقول : سأظل طفلا . . ولن أعمو لأصبح رجلا الى اخر هذا . .
يأتي بعد ذلك ما يحدث للانسان في حياته . . وهذا نوعان . . نوع يأتي من
خارجه . . وهو قدر الله فيه . . لا يستطيع أن يوقفه أو يتحكم فيه . . مثل ذلك أن
يكون الانسان يعمل في مصنع مثلا . . أو في مكان ما . . ثم يفقد وظيفته لأن الشركة
أفلست . . أو لأنها تريد الاستغناء عن عدد من الموظفين . . ومثل ذلك أيضا ما يقع
للانسان من عشرات الحوادث كل يوم . . التي هي تخرج عن ارادته . . ولا يستطيع أن
يتحكم فيها . .

وهناك الجزء الاختياري . . الذي لإرادة الانسان دخل فيه . . وهذا له قوانين
وضعتها الله سبحانه وتعالى . . فالذي يعمل مثلا يحصل على نتيجة عمله . . كل شيء له
أجر وله مقابل . . ورزقك لا بد أنه آتيك . . هذا هو موضوع البحث . .

كل عناصر الرزق موجودة في الأرض . . ولكن المهم أنها تصل اليك . . تماما كما
تشتري لبيتك كل ما يحتاجه طوال الشهر . . وتخزنه وتضعه في البيت . . اذن الرزق
موجود في البيت . . كل عناصره موجودة ومتوافرة . . وفي متناول يدها . . والذين
يقولون التوكل . . ويشيرون هذه القضية بهذا المعنى . . انما هم أولئك الذين يريدون أن
يفروا من كل عمل يورثهم تعباً . . أما كل عمل يورثهم لذة . . لا يؤمنون بالتوكل
فيه . . فهم يناهضون أنفسهم . . ويحاولون الهروب من أي تعب . . انه يتوكل حتى
يصل الرزق اليه . . ويوضع الطعام أمامه . . ولكن عندما يوضع الطعام أمامه . . وهو
جائع . . فانه ينسى في هذه اللحظة ما كان ينادي به . . ويبدأ في تناول الطعام . . باذلا
بذلك جهدا في تناوله ومضغه حتى يشبع جوعه . . فلماذا لا يتوكل حتى يدخل الطعام
الى بطنه . . دون أن يبذل أي جهد . . ولماذا هنا في هذه النقطة بالذات التي تتعلق بلذة
الطعام . . وإشباع الجوع . . لم ينتظر ويتوكل حتى تدخل اللقمة فمه . . ثم تنزل الى

معدته حتى تملأ بطنه . . اذن أنت توكلت فيما يتطلب منك مجهودا . . أما فيما يحقق لك لذة فعلت . . ولو كنت صادقاً في التوكل عندما وضع أمامك الطعام . . ظللت جالساً بلا حركة . . ولا مجهود . . حتى يدخل الطعام في فمك . .

ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى يوفر لنا أسباب الرزق كلها في الأرض . . تماماً كما يقول صاحب البيت للمسؤولة عن البيت : ان كل ما تحتاجينه خلال الشهر موجود عندك في المخزن . . كونها لا تريد أن تتعب نفسها وتعد الطعام . . هذه مسألة أخرى . .

وأولاً يجب أن نحدد ما معنى كلمة الرزق . . الرزق تنتظر حتى يصلك حلالاً . . فوصل اليك عن طريق الحرام . . وأنت ستأخذه . . سيصلك حتماً . . ولكنك تعجلت . . ولولم تغتصبه . . وترتكب الذنب لكان قد وصل اليك حلالاً . . ولكن الله سبحانه وتعالى يشاء في قدره أن يبين لنا أن الأسباب لا تملكه . . أنه هو الذي قرر الأسباب . . وهو الذي وضع لها نتائج . . مشيئته هي النافذة . . لكي تعرف وتؤمن أن قدر الله لا تملكه الأسباب . . يقول الله سبحانه وتعالى لكي تعرف أن الأسباب لا تملكني . . فسأحرمك من أشياء تسببت فيها وتعبت . . وذلك حتى لا تفهم أن عملك هو الذي يرزقك . . سأجعلك تعمل عملاً . . ويفشل . . تزرع الأرض لتسقيها وتعطي بها . . وتبذل فيها كل جهدك . . وتأخذ بكل الأسباب . . ثم يهلك المحصول . . ثم بعد ذلك يأتي لك رزقك من حيث لا تدري ولا تحتسب . . وأمامنا الأمثلة كثيرة في الدنيا . . لا بد يكون لديها مساحة شاسعة من الأرض المزروعة المعنى بها والجيدة المحصول . . ثم يأتي أعصار أو فيضان . . فيهلك كل هذا . . تصبح البلد لا تملك غذاء يومها . . ولا ما يكفي قوت أبنائها . . ثم تسارع الدول الأخرى الى نجدتها . . فيأتيها الرزق من حيث لا تحتسب ولا تدري . . وتفاجأ بهذه الدولة تعطي . . وهذه الدولة تعطي . . من حيث لم تكن تحتسب ولا تدري . . ان الرزق سيأتيها من هذا المجال . . وذلك حتى لا نفهم أن الأسباب وحدها هي التي تعطي . . وبعد ذلك يأتينا الرزق من مكان لم نكن نتوقعه . . كأن يظهر محصول وفير غير متوقع في منطقة أخرى من نفس البلد . . والانسان عنده أمران . . أمر أن يعمل لكي يصل الى الرزق . .

وهذا أمر صريح . . وأمر آخر ألا يتكل على العمل . . ويتجاهل قدرة الله وقدره . .
 ولذلك يقال : الجوارح تعمل والقلوب تتوكل . فالتوكل صفة القلوب . . وليس
 صفة الجوارح . . الجوارح مطلوب منها أن تعمل . . ولا أفهم أن هذا العمل يمكن أن
 يترك بحيث لا يؤدي بواسطة الجوارح . . وأن يعطي الانسان لنفسه صفة عدم العمل
 بحجة التوكل . . ولقد شرحت هذه المسألة بوضوح في الحجج . . عند السعي مثلا . .
 وقلت : هذا أب يترك امرأة ووليدها في مكان ليس فيه السبب الأول من أسباب
 الحياة . . وهو الماء . . وعندما قالت له زوجته أين تتركنا في هذه الصحراء الجرداء التي
 ليس بها نقطة ماء واحدة . . أنت تفعل هذا بأمر الله . . أم بأمرك أنت . . فلما قال
 لها ان ذلك بأمر الله . . قالت : اذن لا يضيعنا . . اذن فهي آمنت أن مادام ذلك بأمر
 الله . . وما دام ذلك أمرا . . فان الله قد أعد مخرجا . . ولكن هل منعها ايمانها ذلك
 حين عطش وليدها أن تذهب الى الصفا والمروة لتبحث عن بعض المارة . . أو ظل . . أو
 طير تهتدي به الى الماء . . لا لم يمنعها . . فذهبت الى الجبل من ناحية الصفا . . ومن
 ناحية المروة . . لتبحث عن الماء عليها تهتدي اليه . . وكان يكفيها مرة واحدة . لكي
 تبرر لنفسها أنها عملت . . وأخذت بالأسباب لتهتدي الى الماء . . ولكنها اجتهدت في
 ذلك سبعة أشواط . . وهو أقصى ما يمكن لمجهود امرأة مثلها أن تفعله . . ثم تعبت . .
 وربما لو لم تتعب لوصلت السعي . . اذن فهي آمنت بأن الله لا يضيعها . . وانها
 موجودة هنا بأمر الله . . ولكنها مع ذلك لم تترك العمل . . ولم تترك الأسباب . . وسعت
 بين الصفا والمروة حتى تعبت . . ولم تستطع مواصلة السعي . . سعت وسعت بقدر
 بالجهد . . ولقد أراد الله أن يبين لنا من هذا حكمتين . . فلو أنها وجدت الماء وهي
 تسعى . . لكانت هنا الأسباب وحدها تكفي . . ولكنه أراد أن يبين لنا أنه رغم اليقين
 بأن الله سيجد لنا مخرجا . . فان السعي واجب . . أو العمل واجب . . والحكمة
 الثانية . . أنها بعد أن قامت بهذا المجهود . . وجدت الماء تحت قدمي طفلها . . وكان
 الله أراد أن يقول لها . . أنت سعيت وعملت ما في جهدك . . وأنا لم أضيعك وأخرجت
 لك الماء بضربة من قدم طفل وليد . . ولكنها رغم ذلك لم تضيع الأسباب . .
 وسعت . . ومن هنا فان التوكل هو عمل القلب . . وليس عمل الجوارح . . والناس
 تأخذ التوكل على أنه عمل الجوارح . .

الخمير هل هي محرمة ؟

لم ادخل في حياتي في مجالات حول موضوع ديني مثل موضوع الخمير . . وتحريمها . .
ذلك ان هذا الموضوع تجد فيه أكثر من انسان يتطوع بالفتوى . .

بل انني شهدت بعض الناس بعد صلاة العشاء لا مانع عنده من أن يذهب الى حفل
ويتناول كأسا من الخمير . . فاذا جادلته يقول لك : ان الخمير ليست محرمة . . انها
مكروهة . . فاذا قلت : بل محرمة . . قال لو أنها محرمة لقال الله : حرمت عليكم
الخمير . . ولكنه قال ﴿ ائما الخمير والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان
فاجتنبوه . . ﴾ .

ولكن لا يوجد في القرآن كله حرمت عليكم الخمير . . وانما يقول الله : فاجتنبوه . .
واجتنبوه في رأي بعض الناس معناه أنه مكروه أو غير مرغوب في تناوله ولكن التحريم هنا
غير قاطع كالميتة والدم ولحم الخنزير . . وغير ذلك . . ويمضي الجدل . . بل أذكر أنني في
مرة كنا نتحدث فقال أحد الحاضرين . . انه يتمنى أن يحج . . وأضاف أنه بعد الحج سيأتي
ويشرب كأسا واحدة كما يفعل الآن . . وأنه لا يرى في ذلك اثما . . الى آخر هذه المسألة . .
والعجيب أنني لاحظت أن الخمير هي اثم بالفطرة . . ما من مجلس فيه خمير وفيه انسان لا
يشرب الا شعر جميع الحاضرين بالذنب . . وأحسوا أنهم يرتكبون اثما . . واثما كبيرا . .
لمجرد وجود انسان معهم لا يتناول الخمير . . حتى ولو كانوا جميعا من غير المسلمين . . حتى
لو كانوا من الملحددين الذين لا يؤمنون بالدين . . شيء داخلهم يؤرقهم . . يعذبهم . .
ويبدأ كل واحد منهم يبرر تناوله للخمر . . ثم يبدأون جميعا في محاولة اقناع ذلك الذي لا
يتناول الخمير . . بتناولها . . بعضهم لا يفهمه ولا يعرف تأثيره . . انما المهم أن وجود
شخص اقناعه بأنها ليست حراما . . وآخرون يحاولون اهانته . . في محاولة لدفع الألم الذي
يرتد في داخلهم . . وهم جميعا في تصرفاتهم المليئة بالعصبية . . وعدم ضبط النفس انما
يحاولون أن يدفعوا اثما فطريا يحسون به . . وان كان بعضهم لا يفهمه ولا يعرف تأثيره . .

انما المهم أن وجود شخص واحد لا يشرب وسط مجموعة ممن يتناولون الخمر . . بشعرهم بالاثم ولو لم يقل كلمة واحدة استنكارا لما يفعلون . واعتقد أن الاثم العظمي في الخمر . . أقوى منه في أي من المحرمات الأخرى . . وقوة هذا الشعور بالاثم كانت تعلى دائما أو من أن الخمر من أكبر الكبائر . .

ومهما قيل . . فما زال هناك من يجادل أن الخمر ليست محرمة . . وإنما لو كانت محرمة تحريما قاطعا لقال الله سبحانه وتعالى : حرمت عليكم الخمر . . ولكن قوله تعالى : فاجتنبوه دليل على أنها مكروهة فقط . . أو أنه مطلوب من الاسان أن يتجنبها . .

قال الشيخ محمد متولي الشعراوي : ان تحريم الخمر في القرآن تحريم فاطع لا شك فيه ولا يصح الجدل حوله . . بل ان قول الله سبحانه وتعالى . . فاجتنبوه أقوى وأبلغ وأشد تحريما . . مما لو قال الله سبحانه وتعالى حرمت عليكم الخمر . .

ولنبدا القصة من أولها . . لنعرف كيف أن الله سبحانه وتعالى قد حرم الخمر بشكل قاطع . . بل انه قد حرم حملها والجلوس على مائدة يتناول فيها الناس الخمر . . والجلوس مع من يتناولونها . . والاقتراب منها بأي شكل من الأشكال . . يلاحظ مثلا . . ومنذ بدء الخليقة . . ان الحق سبحانه وتعالى حين قال لآدم كل من كل شيء في الجنة . . ولا تأكل من هذه الشجرة . قال لآدم وحواء وهو يأمرهما بالامتناع عن الأكل من الشجرة المحرمة . . لم يقل لهما لا تأكلا من هذه الشجرة . . وإنما قال الله : لا تقربا هذه الشجرة . . ما الفرق بين أن يقول الله سبحانه وتعالى : لا تأكلا من هذه الشجرة . . وأن يقول لا تقربا هذه الشجرة . . فكان محارم الله يجب أن تبتعد عن نطاقها لا تقاربها أبدا . . لا تقترب منها أبدا لأن قربك منها قد يغريك بها . . قد يفتح باب الشيطان في نفسك فتقع في المعصية . . اذن لا تقربا أبلغ وأشد في الاحتياط من لا تأكلا . . لأنه اذا كان الله سبحانه وتعالى قد قال : لا تأكلا . . لكان من الممكن أن يذهب الانسان الى الشجرة ويجلس بجوارها . . ويتغزل في محاسنها . . وينظر الى ثمارها بحسرة . . ولكنه لا يأكل منها . . وحينئذ لا يكون مخالفا لأمر الله . . ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يجنب البشر ذلك الذي يقربهم من المعصية ويفتح في نفوسهم باب الشيطان . . ومن هنا حين قال لآدم وحواء لا تقربا هذه الشجرة . . كان يعني : لا تقتربا منها أبدا . . لأن القرب منها هو بداية

المعصية . . وفتح الباب أمام هوى النفس واغراء الشيطان . . ولذلك يلاحظ في القرآن أن كل شيء محرم يقول الله سبحانه وتعالى : تلك حدود الله فلا تقربوها . . لكن في المسحلات يقول فلا تعتدوها . . في الشيء المحلل يقول الله سبحانه وتعالى هذه حدود الله . . فلا تعتدوها . . أي لا تعتدوها ولكن في الحرمات . . يقول الله فلا تقربوها . . أي لا تقربوها منها . . ابتعدوا عنها . . ولقد نشأت مشكلة عند كثير من الناس هذه المشكلة تتعلق بالخمر . . سمعت كثيرا من الناس يقولون : ان الخمر لم ترد في النص التحريمي للقرآن . . كما حرم الله الميتة والدم ولحم الخنزير . . لم يرد نص في القرآن يحرم الخمر هذا التحريم القاطع . . ولكن الله سبحانه وتعالى قال : اجتنبوه فقط . . ولم يقل انه محرم عليكم . . كأنه يفهم أن كلمة اجتنبوه . . أخف من التحريم . . بل لا يحمل معنى التحريم القاطع . . ونحن نقول لمن يردد هذا القول : انك لم تفهم مدلولات اللغة . . ولا مدلولات القرآن . . الاجتناب أقوى من التحريم . . بدليل أن الاجتناب جاء في قمة العقيدة . . في قمة الايمان . . قال الله تعالى : ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾ . . وقوله تعالى : ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ . . اجتناب . . وفي ماذا . . في قمة الايمان . . في قمة العقيدة . . والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها . . هل معنى ذلك في منطق هؤلاء أن عبادة الشيطان غير محرمة . . بل مكروهة . . واجتنبوا الرجس من الأوثان . . هل معنى ذلك أن عبادة الأصنام غير محرمة . . بل مكروهة . . هل هذا منطق . . بل معناه الحقيقي والظاهر والواضح من نص القرآن . . ان الاجتناب أقوى من التحريم مئات المرات . . والا لم يكن الله سبحانه وتعالى ليستخدّم هذا اللفظ في قمة العبادات وفي قمة الايمان . . لو أن معناه يحمل ولو ظلا يسيرا من الاباحة أو عدم التحريم . . بل لو أن معناه لم يكن يحمل التحريم القاطع . . وعدم الاقتراب من هذا الشيء تماما . . وكلية . . والابتعاد عنه وعن كل ما يقرب منه وكل ما يؤدي اليه . . إذا فكلمة اجتنبوه وهذا مدلولها من القرآن الكريم لا تحمل فقط معنى التحريم . . بل تحمل معنى التحريم القاطع . . وعدم الاقتراب من هذا الشيء تماما . .

وانتقل الشيخ محمد متولي الشعراوي في حديثه الى النقطة الثانية وهي : لماذا لم يذكر تحريم الخمر بنص تحريمي مثل تحريم الميتة وأندم . . لماذا لم يقل الله سبحانه وتعالى في كتابه

العزیز حرمت علیکم الخمر . . . وكان الى هنا ينتهي الجدل ويختفي كل انسان يريد أن يوهم الناس بأن الخمر ليست محرمة . . . يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي : اذا قيل لك لا تكلم فلانا فيكفي لكي تنفذ هذا الأمر . . . وتلتزم به أن لا تتحدث مع هذا الشخص الذي طلب منك عدم الكلام معه . . . أو حرم عليك الكلام معه . . . يمكنك مثلا أن تلقاه . . . يمكنك أن تجلس معه في مكان واحد . . . وأن تأكل معه . . . وأن تعيش معه في حجرة واحدة . . . والمطلوب منك فقط ألا تكلمه . . . وحينئذ تكون منفذا للأمر الذي صدر اليك . . . رغم أنك تعيش مع هذا الشخص وتعايشه . . .

ولكن اذا قيل لك اجتنب هذا الشخص . فإنك لكي تنفذ هذا الأمر يجب أن تبعد عن كل مكان يوجد فيه . . . لا تستطيع أن تأكل معه . . . ولا أن تجلس معه . . . ولا أن تعيش معه في حجرة واحدة . . . واذا وجد في مكان ما فعليك أن تغادره فوراً . . . واذا وجدته في الطريق . . . عليك أن تتجنبه وتتخذ طريقاً آخر . . . فأبها أبلغ في التحريم . . . ان يقال حرمت عليكم الخمر . . . أو أن يقال فاجتنبوه . . . طبعاً الاجتناب أقوى كثيراً من التحريم .

ولذلك حينما استخدم الله سبحانه وتعالى كلمة اجتنبوه في تحريم الخمر . . . كان يريد أن يجعل هذا التحريم في أقوى صورته . . . وفي أقصى درجاته . . . فلو قال الله سبحانه وتعالى حرمت عليكم الخمر . . . في هذه الحالة قد يجوز لي أن أحمل الخمر لمن يشربها . . . ولا أكون مخالفاً لأمر التحريم . . . قد يجوز لي أن أصنع الخمر أو أتاجر فيها أو أفتح ملهى أو مكاناً يشرب فيه الناس الخمر . . . أو أن أقدمها لضيوفي في المنزل . . . وأجلس معهم وهم يشربونها . . . وأن أتواجد في المجالس التي يتناول فيها الناس الخمر دون أن ارتكب اثماً . . . أستطيع أن أفعل كل هذا . . . وأقول إن الله سبحانه وتعالى قال : حرمت عليكم الخمر . . . وأنا لا أشربها وان كنت أصنعها أو أتاجر فيها وأقدمها لضيوفي فلا اثم علي ولا معصية ارتكبتها لانني ملتزم بالنص التحريمي .

ولكن قول الله تعالى : فاجتنبوه . . . معناه أنه ممنوع على المسلم أن يتواجد مع الخمر في أي مكان . . . معناه أن اجتنب أن أجلس في مكان تقدم فيه الخمر . . . أو مع أناس

يشربونه . . أو أحمله لمن يشربه . . أو أتاجر فيه واتخذة وسيلة للرزق . . معناه أن اجتنب كل هذا . . ويأتي الحديث الشريف مفسرا لهذا النص . . لعن الله الخمر وشاربها وحاملها الى آخر هذا الحديث . .

ومن هنا تظهر الحكمة في قول الله سبحانه وتعالى اجتنبوه . . ولكن لماذا كان هذا التحريم القاطع . . لأن للمحارم حمى . . ومن حام حول الحمى سقط فيه . . ولأن الخمر من الكبائر . . وأنت إن شاركت فيه بأية صورة من الصور حتى بالتيسير لمن يريد أن يتناول الخمر بأن تقدمها له أو تبيعها له . . فأنت ميسر لاثم يحدث . . ولأن مجلس الخمر يحدث فيه من المحرمات والمعاصي ما يمس كل الحاضرين . . حتى أولئك الذين لم يشربوها . . لأنه مجلس يكون فيه الاثم ميسرا . . والشيطان مسيطرا . . ومن هنا كان التحريم قاطعا وشاملا . .

فاذا قال لك أحد من الناس أنه لم يرد في القرآن نص بتحريم الخمر . . نص تحريمي واضح . . فقل له بل ان هناك نص يحرم حق التواجد مع الخمر في مكان واحد . . هناك نص يقول لنا اجتنبوه . . وهو أقوى من التحريم لأن الله قد استخدم هذا النص في نمة الايمان . . في قمة العبادة . . استخدمه في تحريم عبادة الشيطان . . وعبادة الأصنام . . وكلاهما من أكبر الكبائر لأنها يمثلان الشرك بالله . . وهذا أكبر خطيئة يمكن أن يرتكبها انسان .

النفس البشرية حين تأتي اليها أوامر الله . . افعل ولا تفعل . . فقد تنسى وفقد تضعف . . وهذه هي طبيعة البشر . . ثم تعود النفس الى الله سبحانه وتعالى تطلب الصفح والمغفرة . . ولكي يقي الله النفس البشرية من ضعفها طلب منا أن نتجنب الكبائر . . أي لا نقترب منها . . لأن مجرد الاقتراب منها يؤدي الى السقوط فيها . .

هذه كلمة لا بد منها حتى يمكن الرد على تفسير خاطيء قد وضعه بعض الناس الذين ادعوا أن القرآن لم ينص على تحريم الخمر . . وليعرف الجميع الحقيقة . . وليعلموا قوة تحريم الخمر في الاسلام . .

بحث عن الروح

ان كل الأبحاث التي تجري عن الروح هي مجرد عبث . . ذلك أن الروح لا يمكن أن تضعها في معمل . . ولا تجري عليها تجارب . . ولكن أين الحقيقة من كل ما يقال وينشر . .

البحث عن الروح يشغل الانسان في كل زمان ومكان . . ذلك أنها سر الحياة التي عجز عن الوصول اليها البشر عبر السنين . . ورغم أن الروح لا تدخل في طاقة البحث العلمي . . فلا هي شيء يستطيع الانسان أن يراه أو يمسه أو يضعه في معمل ليجري عليه تجاربه . . وكل ما يقال عنها ما هو الا على سبيل الظن والتخمين . . الا أن الانسان ما زال يحاول أن يعرف شيئاً . .

بعض العلماء يقول ان الروح لها وزن ويستدل على ذلك من أن الانسان عندما يموت يفقد جزءاً من وزنه فجأة . . والبعض الآخر ينكر أن لها وزناً . . بعض الناس يحاول أن ينكر وجود الروح . . ويسمونها الزمن أو الطبيعة . . وحيرة العلماء سجلها القرآن منذ أربعة عشر قرناً . . عندما قال الله تعالى : ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي . . وما أوتيتم من العلم الا قليلاً﴾ . .

قال الشيخ محمد متولي الشعراوي : هناك الروح وهناك النفس . . والنفس هي التقاء الروح بالمادة . . فاذا التقت الروح بالمادة . . فهذه هي النفس . . ولذلك فان التكليف للنفس الانسانية . . التكليف ليس للروح وحدها . . ولكن للنفس . . فحين تلتقي الروح بالمادة تنشأ الحياة الأرضية . . أو تنشأ النفس . . حين نفهم كلمة الروح . . فاننا نقصد ما به حياة المادة . . ما به حياة المادة هذا . . أهو ارادة الله لها أن تحيا . . أهو مجرد ارادة الله . . فاذا سلب الله هذه الارادة ذهب الحياة . . وانتهت واختفت . . أم هو عنصر يدخل مع المادة ويكون منها الحياة لأجل معين . ثم تنتهي هذه الحياة . .

هناك عدة آراء للعلماء في هذا الموضوع .. ونعود الى الآية الكريمة ..
«ويسألونك عن الروح» .. حينما سئل الرسول عن الروح .. كان السائلون يريدون أن يعرفوا ما هي الروح ومن ماذا تتكون .. وهنا رد الله سبحانه وتعالى أن علمكم لن يصل الى هذا أبدا .. أنتم تسألون ما هي الروح .. وأنا أقول لكم ان علم البشرية لن يصل اليها .. لن يصل اليها جزما و يقينا .. والذي كان يجب أن يسأله عنه من أين جاءت هذه الروح .. لأنك أنت استفدت بهذه الحقيقة .. حقيقة الروح سواء علمت بها أو لم تعلم .. والانتفاع بالشيء لا يقضي أو لا يقتضي العلم به .. قد تبدو هذه العبارة متناقضة .. ولكن سأنسرها لك ..

الأمي يستخدم الكهرباء .. ويضع يده على الجرس فيحدث رنيناً .. ويضع يده على مفتاح النور فتضيء الحجرة .. هل يعرف هذا الرجل الذي لا يقرأ ولا يكتب حقيقة الكهرباء .. أبدا ولكنه ينتفع بها .. بل انت في حياتك ملايين الأشياء التي تنتفع بها ولا تعرف شيئا عن حقيقتها .. هل يعرف كل من يركب الطائرة حقيقة الطيران .. هل يدري كل من يستخدم التلفون كيف تتم المكالمات التلفونية .. هل يعرف كل من يستخدم القمر الصناعي مثلا في اتصاله بالخارج .. كيف تتم الاتصالات عن طريق القمر الصناعي .. هل يدري كل من يشاهد التلفزيون الحقيقة التي يتم على أساسها نقل الصورة .. أبدا .. ملايين يركبون الطائرات ويجهلون نظرية الطيران .. عشرات الملايين يتحدثون في التلفون ولا يعرفون شيئا عن حقيقته .. ومئات الملايين في العالم ينتفعون بالتلفزيون دون أن يعرفوا شيئا عن حقيقته .. اذن انتفاعك بالشيء لا يعني بالضرورة أنك تعرف حقيقته تماما .. ومع ذلك تنتفع به ..

اذن انت تنتفع بالروح .. وان كنت تجهل ما هي .. ولا يعني أن الله قد حجب حقيقتها عنك أنك لا تستطيع أن تنتفع بها .. أنها في داخلك .. في داخل كل جسد حي .. تهبه الحياة والحركة والقدرة ..

نعود بعد للآية الكريمة .. يقول الله سبحانه وتعالى : «وقل الروح من أمر

ربي ﴿ .. اذن الروح من أمر الله .. ماذا نعني كلمة أمر الله .. نعود الى القرآن الكريم .. كلام الله .. نرى أمر الله في القرآن .. كيف ورد .. نجد الآية الكريمة .. ﴿انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ .. اذا أمر الله سبحانه وتعالى هي ارادة الله لهذا الجسد أن يحيا .. الارادة .. كلمة كن .. اذن هي ليست شيئا يدخل ويلتشم مع المادة .. ليعطيها الحياة .. ولكنها الارادة .. ارادة الله سبحانه وتعالى لهذا الجسد أن يحيا .. هذا رأي عدد من العلماء .. ان الحياة هي ارادة الله .. اذا أراد الله لهذا الجسد أن يعيش دبت فيه الحياة .. واذا أراد لهذا الجسد أن يموت .. خرجت منه الحياة .. هذا رأي فريق من العلماء ..

نعود بعد ذلك الى القرآن الكريم .. يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿كلا اذا بلغت التراقي .. وقيل من راق .. وظن أنه الفراق﴾ .. ان الله سبحانه وتعالى يتحدث عن الروح هنا وهي تغادر الجسد .. وهي تخرج منه .. انه يتحدث عن لحظة الموت .. لحظة الفراق بين الجسد والروح ..

اذن فالله سبحانه وتعالى عندما يتحدث هنا عن الروح .. يتحدث عن شيء له خروج وله دخول .. أي أنها عنصر تام .. ولكن هل هناك مانع من أن تكون ارادة .. وفي نفس الوقت لها كيانها واستقلالها .. هل هناك تناقض .. أبدا ذلك أن الله اذا أراد أن يهب لجسد الحياة .. أدخل له ذلك العنصر ليعطيه الحياة .. فاذا أراد أن يسلب منه الحياة .. أخرج من جسده ذلك العنصر الذي يعطيه الحياة .. اذن كون الروح عنصرا تاما .. لا يتناقض أبدا مع كونها من ارادة الله .. ومشيتها التي لا يعلمها أحد غيره ..

فاذا جاء بعض العلماء وقالوا انهم وضعوا بعض الذين يجتضرون فوق ميزان حساس .. ثم لاحظوا لحظة الوفاة أن الجسم يفقد جزءا فجائيا من وزنه .. وأرادوا بذلك أن يدللوا على أن هذا الوزن هو وزن الروح .. وأن الروح شيء مادي له وزن .. ولو وزنا يسيرا .. نقول لهم .. أبدا .. إن ما تقولونه ليس علما .. لكنه ظن فقط أي أنكم تظنون ذلك .. فقد يكون هذا الوزن نتيجة خروج كمية من الهواء

من الجسد .. أو نتيجة توقف سريان الدم .. أو نتيجة أي شيء مادي يحدث في الجسد .. أي تفاعل مادي لم يصل اليه العلم .. اما أن نجزم ونقول ان هذا هو وزن الروح .. وان الروح لها وزن .. الى آخر هذا الكلام .. فهذا ليس علما .. انما مجرد تخمين وظن ..

ربما يقول انسان .. انك أثبتت .. وبما يتمشى مع نصوص القرآن أن الروح رغم كونها ارادة الله .. وكلمته .. إلا أنها عنصريّام .. أقول أن هذا النص القرآني حقيقة وشيء ليس فيه أي تعارض .. ولكي أقرب هذا النص الى الأذهان .. أقول انك اذا أخذت ابنك الصغير .. وذهبت الى مكان .. الى محل يبيع أي شيء .. ورغب ابنك في شيء .. أي أنه أراد شيئا .. هذا الشيء الذي رغبه ابنك شيء له كيان .. ولكن حصول ابنك عليه يخضع لارادتك .. فاذا قلت للبائع أعطه له .. أعطاه له لأنه يعرف أنك ستدفع .. اذا قلت له لا تعطه له .. منعه عنه لأنه يعرف أنك لن تدفع .. اذن كون الشيء له كيان .. لم يسلبه ذلك عن ارادتك .. فحصول الصغير عليه أو عدم حصوله .. يخضع لارادتك أنت .. والكلمة نعم أو لا منك .. فاذا كان ذلك جائزاً ومنطقياً في أمر البشر .. فكيف لا يكون في أمر الله ..

وهذا من اعجاز القرآن .. ذلك أن القرآن يعطي النص الذي تحتمله جميع العقول .. في كل العصور .. هذه هي ميزة النص .. ولكن هل الأول يبطل الثاني .. أبدا .. الروح هي أمر الله حقيقة .. وكون أن لها كيانا تاما لا يبطل أنها من أمر الله .. كون أن لها جوهرها لا يعني أبدا أنها ليست من أمر الله .. وأمر الله اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون .. قد تكون كل ارادة الله شيئا ليس له جوهر .. مستقل .. وقد تكون كلمة كن بأن يدخل الله في الجسد الحياة .. كلاهما أمر الله .. وكلمته .. سواء كان للروح جوهر أو لم يكن ..

وقد جعل الله سبحانه وتعالى الروح نفسا .. فقال تعالى : ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ .. والنفخ معناه اخراج الهواء من حيز الصدر الى المنفوخ فيه .. اذن فان هناك شيئا دخل الى جسد الانسان بكلمة كن .. نفخ الله سبحانه وتعالى من روحه .. فدخل شيء في جسد الانسان وهبه الحياة .. بكلمة كن .. وظل الانسان

يتنفس أي يعيش .. طالما ازادة الله تريد له ذلك .. فاذا توقف النفس .. خرجت الروح .. ولكن البحث العلمي في مسألة الروح .. وكون أن لها وزنا .. أو ليس لها وزن .. نوعا من العبث .. ذلك أن أحدا لا يستطيع ولن يستطيع أن يمسك الروح ويدخلها المعمل ليجري عليها تجارب أو يزنها ليعرف اذا كان لها وزن أم لا .. اذن الجزم بشيء هنا .. مجرد عبث .. لأنها غابت عن امكانيات علم الأرض .. اذن امتنع عن البحث فيها .. ما دمت لا أملك امكانيات التجربة .. وان كنت أعرف يقينا .. أن الروح علامة وجودها هي النفس .. وان الروح تغادر الجسد يقينا متى توقف الانسان عن التنفس .. مصداقا لقوله تعالى ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ .

حديث عن الآخرة

الحديث الآن مع الشيخ محمد متولي الشعراوي عن الآخرة .. وحديث الآخرة محتاج الى مجلدات .. ذلك أن فيه فيض من الأشياء التي أخبر الله الناس بها .. وفيض من الأشياء التي لم يخبر الناس بها .. أشياء لا يعلمها الا الله ..

والمعروف ان الانسان طالما هو حي .. فانه يرى ويسمع ويتكلم .. ولكنه اذا انتهت حياته صمت .. وسكن كل شيء فيه .. هذا هو الظاهر .. ولذلك فان كثيرا من الكتاب يعبر عن الحياة .. بأنها الحركة .. ويعبر عن الموت .. بأنه السكون والصمت والنهاية .. وهذا مفهوم درج عليه الناس .. ولكن هناك حديث شريف يقول : الناس نيام .. فاذا ماتوا انتبهوا .. اذن فالحياة يكون الانسان فيها كالنائم .. لا يرى شيئا من حقائق الآخرة .. فاذا مات .. فان هذا هو الانتباه .. وليس هو السكون .. وهو الرؤية .. وليس هو عدم الرؤية ..

كيف يكون ذلك .. مع أننا نعتمد في التصديق في حياتنا .. على ما نراه ونحس به .. ولقد كان الحوار مع الشيخ محمد متولي الشعراوي وزير الأوقاف وشؤون الأزهر حول معنى هذا الحديث الشريف .. أو على الأصح حول كلمة « انتبهوا » كيف يتبها الانسان بعد الموت .. وكيف وهو في الحياة نائم .. وما هو معنى الحديث الشريف ..

يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي .. اذا أردنا أن نفهم معنى هذا اللفظ .. فأننا يجب أن نسأل أنفسنا .. ما هي وسيلة الرؤية في الدنيا .. انها العين كما نعرف جميعا .. ولكنها في الحقيقة ليست العين وحدها .. بل هي الحديث أثناء صحوة النفس .. ذلك أن الانسان حين يكون نائما لا يرى .. ولا يبصر .. وإنما هو يبصر في صحوة النفس فقط .. أي أن صحوة النفس هي التي تعطى للجسد حواسه ..

والآخرة مؤكدة .. وكذلك الموت .. ولكن النبي ﷺ يقول : لا أرى يقينا أشبه بالشك من يقين الناس بالموت .. رغم أن كل انسان متأكد أنه سيموت .. فمنذ خلق آدم حتى الآن لن يشذ انسان واحد عن الموت .. رغم هذا فهناك شك في كل نفس بشرية عن موتها .. كل نفس لا تتوقعه الا ويتقدم بها العمر ويتقدم .. وتتوقع كل شيء الا الموت .. ويملاها الأمل .. فانه لا زال أمامها أعوام طويلة من الحياة .. حتى أولئك الذين تجاوزوا سن الستين مثلاً .. وهو متوسط العمر .. لا تجد الواحد منهم على يقين أنه سيموت خلال شهر .. بل الأمل يملاً نفسه .. بأن أمامه فترة طويلة .. ورغم أنه قد يتحدث ويقول للناس : العمر خلص .. هو احنا حنعيش .. فاضل لنا اد ايه .. الى آخر هذه الكلمات التي نسمعها .. الا أنه في قرارة نفسه يؤمن أنه لا زال أمامه فترة طويلة ..

فالذي كان يحدث به كل شخص عن الآخرة .. ولا يصدقه .. سيأتي يوم ويراه أمامه واضحاً جلياً .. كما يرى كل شيء في الدنيا .. سيأتي اليوم الذي يخرج فيه من الدنيا .. وحينئذ يصدق فيه قول الله تعالى : فبصرك اليوم حديد . اذن يرى كل الآثار التي حدثت عنها .. والتي وردت في القرآن والأحاديث .. يراها جميعاً ويشهدا .. ومن هنا .. ومن هنا يعرف يقين الآخرة .. وهو شيء لم يكن يفهمه في الحياة الدنيا أيام صحوه .. أيام كان حياً متيقظاً .. واليوم بعد أن ترك الحياة .. فهم ما بعد الحياة ..

ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز .. ما معناه أنني حدثتكم بأن هناك ناراً .. وكان يجب عندما أحدثتكم عن هذا أن تأخذوا هذا الحديث متيقنين مما أقول .. علم اليقين .. ثم لترونها عين اليقين .. أي انكم سترون النار بأعينكم .. وقد اراها .. ولكني لا أعذب بها .. أي ليس من الضروري أنني حين أرى النار لا بد أن أعذب بها .. فالرؤية شيء .. والعذاب شيء آخر ..

ولذلك قال الله تعالى في كتابه العزيز . ﴿ وان منكم الاواردها كان على ربك حتماً مقضياً ﴾ . وقد فسر بعض الناس هذه الرؤية على أساس أن كل انسان

سيعذب .. وأنه لا بد أن يدخل النار أولاً .. ولكن الحقيقة أن ورود الشيء ليس يعني بالضرورة العذاب .. فالعرب كانوا يقولون : ورد فلان الماء .. معنى ذلك أنه وصل إليه ورآه .. ولكن كلمة ورود لا تعني أن الانسان قد شرب من الماء .. فإذا قلت ورد فلان الماء .. فليس معنى ذلك أنه شرب منه .. وكذلك رؤية النار .. فقول الله سبحانه وتعالى لترونها عين اليقين .. ليس معنى ذلك أن كل انسان سيعذب في النار .. ولكن كل انسان سيرى النار سواء كان صالحاً .. أو عاصياً .. كلنا سنراها .. وسنراها عين اليقين .. أي يقينا .. ونتيقن من وجودها .. ثم يقول الله : في الذين سيعذبون بها .. فاما إن كان من المكذبين انصالين فنزل من حميم وتصلية جحيم .. ومعنى ذلك أن هناك عدداً من خلق الله الصالحين .. ولكن لا يعذبون بها .. أما الذين سيعذبون بها .. فهم المكذبون والضالون .. والمعاصون لأوامر الله .. فإذا كان الحديث عن الآخرة .. فهناك يقين في أن كل خلق الله سيرون النار .. وسيرون الأشياء التي تحدث بها في القرآن .. التي أخبرهم الله بها وسيرونها بعيونهم .. ويتيقنون منها .. بعد أن كان بعضهم في شك .. والبعض الآخر من المكذبين .. فأنت لم تصدقه علم اليقين من الله سبحانه وتعالى .. حين أخبرك به وأنت في الحياة الدنيا .. ولذلك أراه لك الله عين يقين بعد الموت .. وبعد ذلك تدخل في العذاب أو لا تدخل حسب أعمالك وحسابك وكتابك ..

بقي بعد ذلك معنى الآية الكريمة . ﴿وان منكم الاواردها﴾ .. ذلك أن هذه الآية يفسرها بعض الناس على أساس أن أحداً لن ينجو من العذاب .. وأنا جميعاً صالحين أو عاصين .. مكذبين أو مطيعين سنعذب بالنار .. وحتى نفهم هذه الآية فهما الصحيح .. يجب أن نفهم معنى كلمة واردها .. ورود الماء معناه اتيان الماء .. هذه هي العين .. وقد وصلت إليها وسقيت ماشيتي .. ولم أشرب أنا ومشيت قد يشرب من معي .. ولكني أنا لم أشرب .. إذن الورد الذهاب الى مكان الماء .. أما أن تشرب منه أو لا تشرب .. فهذا موضوع آخر ..

﴿وان منكم الاواردها﴾ . يريد الله أن يخبر عباده بفضله عليهم .. فيقول لهم انكم جميعاً سترون النار .. وستصلون إليها .. ولكن هنا يجب أن نفهم أن القرآن

يشرح بعضه . . يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز فوزا عظيما ﴾ . . فكأنما كل منا سيرى النار . . ويتجه عباد الله الصالحون الى السماء . . ويقولون يا ربي الحمد لله الذي أنجيتنا من الهول الذي رأيناه . . وزحزحتنا عن النار . . فالنجاة من النار . . ولو لم يدخل الانسان الجنة . . وظل في الأعراف بين الجنة والنار . . نعمة . . ونعمة كبيرة . . فما بالك لو زحزح عن النار وأدخل الجنة . . يكون هذا فوزا عظيما . . يكون قد تجنب عذاب النار . . وفي نفس الوقت متع بنعيم الجنة . . ذلك هو طريق الايمان . . والطريق دائما هو الذي يقوده الى التهلكة . . أو ينجي الانسان . . فمثلا اذا بدأت تتخذ طريقا للسفر . . ويقول لك أصدقاؤك . . حاذر من هذا الطريق . . انه مليء بقطاع الطرق . . واللصوص . . فاذا اضطرت أن تمشي في هذا الطريق . . فانه يكون كل همك ألا يفاجئك أحد اللصوص أو قطاع الطرق . . وليس همك مثلا أن تستريح قليلا . . أو تتناول طعاما جيدا . . أو تجلس في مكان مريح . . في جو منعش . . ذلك أن النفس حين تواجه الخطر يكون همها الأول . . ضرب هذا الخطر وتجنبه . . والهروب منه . . ولا تطلب في هذه المرحلة التمتع . . حتى أنك اذا مشيت في هذا الطريق الذي قيل لك انه مليء بالمخاطر . . ووجدت بعض الناس يجلسون فيه . . وقالوا لك تفضل . . وتناول الطعام معنا . . أو اجلس لتتناول معنا فنجان من الشاي . . فانك سترفض حتما . . ذلك أنك ستتوقع الشر . . وخوفك من الأذى يدفعك الى أن تجتاز المرحلة التي تنجو فيها من الخطر . . وتبتعد عن هذا الطريق . . فاذا ابتعدت عنه . . واجتزته دون أن تتعرض لأي خطر . . ثم وجدت بعد هذا الطريق بستانا جميلا . . وأناسا طيبين أكرموك . . فان تمتعك في هذه الحالة يكون مضاعفا . . فشعورك بالأمان . . وانك نجوت من المكاره . . يجعل تمتعك بما يقدموه لك . . أكثر بكثير مما لو حصلت عليه في ظروف عادية . . فاذا كان هذا يصدق في الدنيا . . وفي خطر بسيط مثل خطر اللصوص أو قطاع الطرق . . وان كان يصدق في نعيم بسيط مثل طعام مكان آمن وسط حديقة جميلة . . فما بالك بعذاب النار وهولها . . وشعور الانسان حين ينجو منها ويصبح آمنا وما بالك بنعيم الجنة الذي ليس كمثله شيء . . حين يصل انسان اليه

بعد أن يرى هول النار . . ويشاهدها عين اليقين و . . ويصل الى الجنة ليتمتع بها . .
ماذا يكون شعورك . . كيف تحس بالسعادة وهي تغمرك . . وبالفرز الكبير الذي
تنفقه . . بأنه زحزح عن النار . .

فاذا أردنا أن نفهم معنى الحديث الشريف . . الناس نيام . . فإذا ماتوا
انتبهوا . . نعرف أن الناس في الدنيا نيام . . عما ينتظرهم في الآخرة . . بعضهم
يصدق بيقين . . وبعضهم يصدق بشك . . وبعضهم يكذب . . ولكنهم جميعا
سيصلون الى مرتبة اليقين بعد الموت . . ويرون كل شيء عين اليقين . . وحينئذ
ينتبهون ويحسون . . بأنهم جميعا سيرون النار . . ويمرون عليها . . ويشهدون
ويشهدون . . من زحزح عن النار يجنب عذابها . . ومن قضى له فيها . . نال قضاء
الله . .

معنى الجنة

ان النبي حين قال للمؤمنين وهم يبائعونه بأنهم يبائعونه ويسدحلون الدين الجديد .. قال لهم : لكم الجنة .. وهذه في نظر قانون النفعية صفقة رابحة جدا .. فالانسان يتعلم ويشقى حتى الثلاثين من حياته تقريبا .. ليوفر لنفسه حياة مناسبة بعد هذا العمر .. ولمدة هو غير متيقن منها .. فقد يأتي أجله قبل هذه الفترة .. ففي هذه الحالة لا يحصل على شيء .. فالعمر غير مضمون .. أما الوعد بالجنة فهو وعد مضمون وأكد .. يتمتع فيه الانسان .. ليس بقدرة ما تستطيع ان توفره الحياة البشرية بكل امكانياتها .. ولكن بقدرات وامكانيات الله سبحانه وتعالى .. التي هي بلا حدود ولا قيود .. ومن هنا فان رسول الله حين قال لكم الجنة قادر شيئا غير مضمون ومحدود .. بشيء مضمون وفيه المنافع بلا حدود ولا قيود .. وهكذا كانت هذه الصفقة من ناحية قانون النفعية الأرضية .. اكبر مما تستطيع ان تحفقه فوى الأرض كلها ..

ويضي الشيخ محمد متولي الشعراوي ليتحدث مكملا شرح هذا الموضوع فيقول : حين يضمن لهم الجنة .. انك في الحياة توطد نفسك على قدر امكانياتك .. فانظر صفقة الله مع الناس .. حين يضمن لهم الجنة .. لان الحياة محدودة مهيا طالت .. ويعدك الله بشيء غير محدود .. وباستخدام المقارنة الاقتصادية النفعية .. تكون قارنت محدوداً بغير محدود .. فالذي يعطي غير المحدود هو الله .. وقارنت يقينا بشيء غير مضمون .. فوعد الله يقين .. وأجلك في الحياة غير مضمون لك .. وقارنت تنعما على قدر امكانياتك أنت .. لتنعم على قدر امكانيات الله .. اذن صفقة الجنة لمن يريد النفع .. هي الصفقة العاقلة الرابحة . الذي يمتنع عن بيع بضاعة الآن .. يرجو أن يغلى الثمن .. ينتظر زيادة في الربح .. اذن فهو يريد النفع لنفسه .. وكل انسان يريد النفع لنفسه .. ولكن هناك من

يتعجل النفع المحدود المضمون على قدر امكانياته . . وهناك قوم أوعى من ذلك وأعقل . . فيقولون انني أبيع المحدود . . وأخذ غير المحدود . . أنا أبيع المضمون . . وأخذ المتيقن . . أنا أبيع على قدر امكانياتي . . وأخذ على قدر امكانيات الله . . فاذا نظرت اليها وجدتها صفقة رابحة . . ولذلك فاننا يجب أن نعتبر الحياة بما فيها من مصاعب ومتاعب . . هي مقدمات هذه الصفقة . . وكما أن التلميذ يشقى ويتعب ليتعلم . . والصانع يشقى ويتعب ليأخذ صنعته . . فاجعل حياتك الدنيا جهادا لتأخذ هذه الصفقة القادمة . . ان الذين يتاجرون مع الله أعقل العقلاء . . وأذكى الأذكياء . . وأكثر الناس فهما لطبيعة هذه الحياة . . لأنها صفقة الله طرفها . . وما دامت صفقة الله طرفها . . فاطمئن على ذلك . . لأن الذي عقدها قادر على أن يوفي بها . . بأكثر وأضحى وأعظم مما يمكن أن تتصوره أنت . . أو أن يقربه الى ذهنك وعقلك البشري . . الصفقة بين البشر يمكن أن يعقدها الانسان . . ولكنه لا يستطيع لها وفاء . . وانما الله يعقدها ويملك فيها الوفاء . . ولذلك حين يقول رسول الله لكم الجنة . . يكون قد أوفاه . . فالذي يعقل ويتدبر يسارع الى هذه الصفقة . . وعندما بدأ القتال بين التتار والمسلمين . . قال المسلمون . . أليس بيننا وبين هؤلاء الكفار الا أن نقاتلهم . . فاذا استشهدنا دخلنا الجنة . . حتى أن بعضهم كان يمزج بعض التمرات . . فرماها من يده . . وأسرع الى القتال . . والشهادة . . لأنه لا يريد أن يبطل حتى يتناول التمرات . . بل يريد أن يسرع الى الجنة . .

والذين يرفضون كثيرا من متاع الحياة . . لا تظنوا أنهم حمقى لا يتمتعون بالذكاء والقدرة . . بل انهم أكثر الناس ذكاءً وقدرة . . فقد أخذوا الأشياء من باب أوسع . . مما يأخذه أولئك الذين يجذبهم طريق الدنيا . . بل انهم قوم مكارون . . وماذا نعني بكلمة مكارين . . نعني أنهم أخذوا المسألة من باب أكثر فائدة ونفعا . . مثلا الذي يؤثر على نفسه وبه قصاص . . يظن الناس أنه أحق . . لأنه لا يملك الا جنيها واحدا مثلا . . ويتصدق به . . ولكن هذا الرجل أوعى منك . . لأنه يعطي الجنيه الذي معه لمن هو أحوج منه . . وفي نفس الوقت هو طمعان في عشرة أمثاله من الله . . أو سبعمائة مثله من الله . . وهذا يدل على امتداد نظرة في النفعية . . وامتداد

النظر في النفعية هو الذي نطبقه لنعمر هذا الكون كله .. فالرجل الذي يحرث أرضه ليزرعها قمحا .. يأتي فيحرث الأرض .. ثم يأتي الى القمح الذي عنده .. فيأخذ جزءا منه .. في النظرة القصيرة فهو أنقص ما عنده من القمح .. هذا في ظاهر الأمر .. ولكنه في الحقيقة .. وتطبيقا لنظرية الامتداد في النفعية .. فهو اخذ مما يملك أردبا من القمح .. وبذرة في الأرض ليعطيه عشرة ارادب من القمح .. انه لا ينظر الى ناحية النقص الأولى .. ولكنه ينظر الى ناحية النفع المتيقن القادم .. وفي الانسان في تعامله مع الحياة .. يأتي إنسان آخر ليسيء اليه .. فيجد من قضية الدين من يقول له .. احسن الى من أساء اليك .. وهذا مخالف للطبع البشري .. فالطبع

البشري يطالبني بأن أسيء الى من أساء الي .. وأن أنتقم لنفسي .. ولكن التشريع لم يغفل الطبع البشري .. ولذلك فهو لم يضع مثاليات بعيدة عن طبيعة البشر وحياتهم .. فالقضية الأولى .. انه يقول لك .. اعتد عليه بمثل ما اعتدى عليك .. هذه قضية قد يرضى بها انسان يريد أن يرضى بها عواطفه .. ونزعة البشر في الانتقام لنفسه .. وهناك قضية أسمى يمكن أن تطبقها .. لقد أتبع لك أن تعتدي بالمثل ولكن أتستطيع أن تتحكم بالمثل .. هل تستطيع أن يكون اعتداؤك دقيقا طبقا لكل المقاييس .. بمثل ما اعتدى عليك .. بحيث تصبح بنفس الوزن .. ونفس القوة التي وجهت بها الي .. مستحيل .. فلماذا أدخل في هذه المتاهة .. اذا كنت تريد أن تتسامى .. فانك لا ترد الاساءه .. وان كنت تريد أن تتسامى أكثر .. فانك تحسن اليه .. اذن .. فهناك ثلاثة مراتب .. مرتبة أن ترد العدوان بالمثل .. ومرتبة ثانية هي أن تكتم غيظك في قلبك فلا تعلنه وتتسامى فلا ترد .. ومرتبة ثالثة هي أن تحسن اليه .. وتقابل الاساءة بالاحسان .. هذه مراتب حسب طاقات الايمان في النفس البشرية ..

ولكن لماذا يطلب منك الدين أن تحسن الى من يسيء اليك .. سأضرب مثلا بسيطا لأوضح الأمر .. أنت اذا دخلت بيتك .. مثلا ووجدت ولدا من اولادك أساء ولدا آخر .. مع أيهما يكون قلبك ؟ .. مع المعتدى عليه .. وما نتيجة وجود قلبك معه .. انك تحاول ارضاءه .. انك تكون معه .. وتصنع له كذا .. وتصنع له كذا ..

محاولة ازالة أثر الاساءة من نفسه . . اذن ما الذي جعله يحوز هذا العطف والرعاية منك . . أكثر من أنه معتدى عليه . . إننا نعامل أنفسنا بذلك القانون . . كذلك الله الذي خلقنا جميعا . . فاذا ما جاء انسان واعتدى على انسان . . مع من يكون الله ؟ . . مع من أسىء اليه . . وماذا يستحق هذا الانسان الذي جعل الله بجانبه . . انه يستحق مني المكافأة . . أو الاحسان . . اذن كقضية نفعية . . يجب أن يتعملها الناس . . ولا ينظرون الى النفع العاجل . . ويتركون النفع القادم الشامل . . كذلك قضيتنا نحن كبشر . . فما دنا قد ارتضينا لانفسنا الايمان . . وحب الله . . والتقرب اليه . . وإرضاءه بقدر ما نستطيع . . فلا بد أن نحمل أنفسنا على المنهج والتضحية التي يتطلبها منا ذلك . . وأن نبیح هذه الدنيا . . يبيعها العلماء . . فلا يخشون أحدا الا الله . . ويبيعها أيضا الجنود . . فلا يطلبون ثمننا الا الجنة . . حين يعطون المسألة هذا الوضع . . يرتاحون من كل ما يصيبهم في هذه الحياة . . لماذا ؟ . . لأن الغايات دائما هي التي تجعل الانسان يقبل الوسائل . . فاذا أحب الانسان انساناً آخر . . والطريق اليه شاق وصعب . . فانه يتحمل المشاق والتعب في سبيل أن يصل الى هذه الغاية . . فما دامت الدنيا هذا أملها المحدود . . فلا يجب أن نعطيها فوق قدرها وطاقاتها . . ويجب أن لا تعطى أهم من وضعها . . حين يكون الأمر . . منا كذلك . . نعمل العمل . . ولا نطلب ثمننا الا الجنة . . ويعطي الله سبحانه وتعالى في قرآنه قضية اسمية في رسول الله ﷺ . . في نساء النبي حينما استتب الأمر لهذا الدين . . وكثرت الغنائم . . أحببين أن يعشن عيشة يملؤها زخرف الدنيا وبهجتها . . فقال الله : يا نساء النبي . . إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين اتمكن وأسرحكن سراحاً جميلاً . . وإن كنتم تردن الله ورسوله والدار الآخرة . . فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً . . اذن فالقضية في أمر الدين . . اعلاما بها . . وصيانة لها . . وحلا للناس عليها . . فالجزاء هو الجنة . . والذي يريد ثمننا غير هذا . . يكون قد أرخصها . . فالذين يتأسون برسول الله . . وبحياة رسول الله . . يجب ألا يغيب عنهم هذا القول . . لأنه اذا غاب عنهم سيتبعون في الحياة الدنيا . . ومعينه في كل ما يحدث . . وسعادته . . لا تتبع بما

يحدث .. ولكن تتبع من داخله .. فالسعادة في حقيقتها لا تتبع مما يحدث للناس ..
لكن مما في داخلهم .. ومما في أنفسهم .. فقد يحدث حدثان متشابهان لشخصين ..
فاذا أحدهما سعيدا راضيا بما حدث .. وإذا الثاني شقيا تعيسا بما تم .. مع أن
الحدثين واحد .. والشخصين ظروفهما متشابهة ..

خطيئة آدم

الحديث الآن عن خطيئة آدم . . وهو حديث أخذ جدلاً طويلاً في تاريخ البشرية . . ربما من يوم آدم حتى الآن . . وهناك من يقول انه لولا خطيئة ادم ما كانت البشرية تعاني ما تعانيه الآن من شقاء وتعب وآلام . . ولكان كل الناس في نعيم الجنة . . يعيشون ويأكلون في سعادة ويسر بلا تعب . .

ولكن الله سبحانه وتعالى خلق آدم ليكون خليفة في الأرض . . وليعمرها . . اذن آدم لم يخلق أساساً ليعيش هو وذريته في الجنة . . ولكنه خلق لينزل الى الأرض ويعيش فيها . . ثم تأتي الآخرة . . ويكون هناك ثواب وعقاب . . فيدخل المؤمنون الجنة . . ويعذب الكافرون في النار . . هذا هو قدر الله الذي اراده لبني آدم . .

ولو أن آدم استمر في الجنة . . فكيف كان يمكن أن يكون هناك حساب وثواب وعقاب . . وخطيئة وتوبة . . وإيمان وكفر . . الى آخر ما في الحياة الدنيا . .

فالحديث عن خطيئة آدم . . واننا نتحمل هذه الخطيئة يتعارض مع نص القران الكريم . . الذي يؤكد أنه لا تزر وازرة وزر أخرى . . أي أن أحداً لا يتحمل ذنوب الآخر . . وانما يحاسب كل شخص على ما ارتكبه من ذنوب وآثام . . كل انسان يحاسب على عمله من سيئات وحسنات وطاعات . . كما أنه يتعارض مع وظيفة ادم الرئيسية التي خلقه الله من أجلها . . وهي أن يكون خليفة في الأرض ويعمرها . . والسؤال الذي يدور هو اذا كان الشيطان قد اغوى آدم وجعله يأكل من الشجرة المحرمة فطرد من الجنة . . فما ذنبي أنا لأطرد معه . . وأعيش في شقاء الدنيا ويكتب عليّ كل هذا . .

كان هذا هو موضوع الحوار مع الشيخ محمد متولي الشعراوي . . حول خطيئة آدم وما تحمله أبنائه نتيجة تصرفه . . وكيف نتحمل نحن خطيئة لم نرتكبها ونحاسب

على شيء ليس لنا يد فيه ..

يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي : اذا كان الله قد خلق الخلق .. وبدأهم بآدم .. فكان لا بد أن يعلمهم ما يريد منهم .. هذا الاعلام هو اول ابلاغ عن دين الله للانسان .. هو اول وحي علمهم ما يجب أن يكونوا عليه في حركة حياتهم ..

ومن العجيب أن امر آدم بالنسبة للوحي أخذ خلافا طويلا .. وهو كيف يكون موحى اليه وتصدر منه المعصية .. ولم يفتن هؤلاء الى أن آدم عليه السلام خلق بمثل نوعين من البشر .. نوع نبوة معصومة .. ونوع غير نبي يقع في الخطأ والخطيئة .. بل ويكفر بخالقه .. وما دام آدم أباً لهذين النوعين .. فيجب أن يتمثل في خلقه وتكوينه النوعان معا .. النوع الخطأ الذي يعهد اليه فينمي ويعصي ويوقعه الشيطان في الخطأ بالغرور .. ولا يملك أن يسيطر على نفسه أمام نزواته وشهواته .. ونوع اخر هو الذي اجتبه الله ليقوم بدور النبوة .. فهو معصوم من الخطأ ..

وعندما خلق الله آدم للخلافة في الأرض .. لم يشأ أن يخرجهم إلى حركة الحياة دون أن يدرجه تدريبا بشريا عمليا .. يباشر فيه الواقع .. ولا يرسله الى الأرض بكلام نظري .. بل يجب أن يتعرف الواقع .. لأن الانسان قد يأخذ كلاما نظريا يقتنع به .. ولكنه حين يطبقه عمليا يتعذر عليه أن يجعل التطبيق متمشيا مع المنهج النظري .. وشاء الله رحمة بآدم ألا ينزله الى الأرض بمنهج نظري افعل ولا تفعل .. إلا بعد أن يربيه تربية تدريبية دينية على المنهج بأفعل ولا تفعل .. ويحذره من العقبات التي تصادف المؤمن وهو اغواء الشيطان واغرائه .. حتى اذا تمت التجربة وراها آدم وعاشها كواقع اخرجه الى الأرض ليباشر مهمته التي خلق من أجلها ..

واذا كنا نحن نريد أن ندرّب الانسان على شيء سيقوم .. كأن ندرّب انسانا ليصبح لاعبا ماهرا في كرة القدم .. لا نشرح له نظرية اللعب أولا .. ثم نلقه به الى مباراة عالمية .. لا .. اننا نأخذُه ونعد له مكانا مريحا مناسباً .. ونكفيه مؤونة الحياة .. وندربه على اللعب بأمانة .. حتى اذا ما أخطأ لا نحاسبه .. ولكن نقومه .. فالخطأ في دور التجربة خطأ مردود بالتوجيه فقط .. وليس بالعقاب ..

ولكن في غير دور التجربة خطأ يعاقب عليه .. والفرق بين الأمرين . ان خطأ التجربة يتم فيه تعطيل الصواب .. ولكن خطأ الواقع يعاقب عليه .. فلم يكن الله ليخبر آدم بمنهج نظري .. ثم بعد ذلك يعاقبه على ما يقوم به .. لم يكن ذلك .. وانما كان أن دربه أولا في مكان سماه جنة .. وبعض الناس يظن أنها جنة السماء .. ويظلمون آدم .. ويقولون اننا خلقنا للجنة .. ولكن معصية آدم هي التي أخرجتنا منها .. لا .. افهموا جيدا أن الله في أول بلاغ عن آدم قال : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ .. فكان آدم مخلوق للأرض .. فلا تظلموه وتقولوا اننا خلقنا للجنة فأخرجتنا معصية آدم الى الأرض ..

اذن فالجنة التي عاش فيها آدم ليست جنة الآخرة التي وعدنا الله بها ولكنها جنة وجدت فيها كل مقومات الحياة .. يأكل منها ما يشتهي ويريد بدون عمل منه .. وبعد ذلك جاء أمر لتكليف بأفعل ولا تفعل .. فكل الرسالات مضمونها افعل كذا .. ولا تفعل كذا ..

ماذا قال الله لادم .. كل من كل شيء .. ولا تقرب هذه الشجرة .. هذا أمر بأفعل ولا تفعل .. وبعد ذلك حذره من اغواء الشيطان .. قال له الشيطان هو العقبة .. وعداوته لك مسبقه .. لأنه امتنع أن يسجد تكريما لك .. وما دام عدوك .. فسيعمل على أن يجعلك تقع في الخطيئة حتى لا يتميز هو بأنه هو المخطيء الوحيد ..

فلما أخطأ آدم في دور التجربة .. نسي هكذا .. قال القرآن مرة ﴿ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى﴾ .. وبعد ذلك دلّاه الشيطان بغرور .. قال ما منعكما أن تقربا هذه الشجرة .. الا أن تكونا ملكين .. كان يجب على آدم ألا يكون غافلا الى هذا الحد .. يجب ألا ينسى .. فعندما يقول له الشيطان ان الله منعكما من أن تأكلا من هذه الشجرة .. حتى لا تصيرا ملكين .. وتعتبرا من الخالدين .. كان يجب لادم أن يقول له اذا كنت أيها الشيطان تعلم أن الأكل من هذه الشجرة يجعلك ملكا ويجعلك خالدا .. فلماذا تضاءلت أمام ربك .. وقلت له : أنظرنى الى يوم يبعثون .. لماذا لم تذهب أنت لتأكل من الشجرة وحده لتصير من الخالدين .. ان

الله يريد أن يعلمنا الفطنة . . لأن الشيطان حين يضفي بغروره الى أي انسان يجب أن يناقشه مناقشة العاقل الفاهم لأن الشيطان ليس له حجة ولا سلطان . .

وبعد ذلك أكلنا من الشجرة . . فحين أكلنا من الشجرة عصى آدم ربه . . نقول له . . ان آدم عصى في دور التدريب وهو في هذه المعصية لا يعاقب . . وإنما يعلم الصواب ويوجه اليه . . وكذلك علمه الله . . اذا لم تقدر على نفسك وغلبك غرورك . . فقل هذه الكلمات وارجع الي . . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه .

هنا وقفة نقول : اذا كان آدم قد عصى . . فتلقى كلمات التوبة من الله . . وابليس قد عصى . . ولم يغفر له الله . . فما الفرق بين معصيته . . ومعصيته . . وهل كانت هناك محابة . . نقول له لا . . لأن هناك فرق بين معصية آدم ومعصية الشيطان . . آدم لم يتهم الامر في امره . ! بل قال ربنا ظلمنا أنفسنا . . أمرك حق . . ولكني لم أقدر على نفسي فظلمتها . . ولكن ابليس رد الامر على الله . . وقال أسجد لمن خلقت طينا . . خلقتني من نار . . وخلقته من طين . . اذن فقد تاب على الله . . وفرق بين من يتهم نفسه من أن أمر الله حق . . ولكنه لم يقدر على نفسه فظلمها . . فهذا هو الفارق . . لذلك اذا أنكرت حكما من أحكام الاسلام . . نقول : أنت تنكر . . فاذا قال نعم . . نقول والعياذ بالله . . كفرت . . واذا قلت أبدا . . سبحان الله . . ان الله حق . . تعاليمه حق . . ولكنني لم أقدر على نفسي فظلمتها . . فانت مسلم عاصي . . تجبرك التوبة . .

يلاحظ هنا أن الحق سبحانه وتعالى حينها خاطب آدم . . في الامتناع عن الأكل من الشجرة . . لم يقل له لا تأكل من الشجرة . . وإنما قال . . لا تقربا . . ما الفرق بين أن يقول لا تأكلا ولا تقربا . . فكأن محارم الله يجب أن يبتعد الانسان عن كل طريق يؤدي اليها أو يقرب منها . . لأن قربك منها قد يغريك بها . .

اذن آدم درب على المنهج . . وعلمه الله كيف فعل به الشيطان ما فعل . . وعلمه كيف يتوب الى الله . . ثم أرسله الى الأرض . . وقال له : باشرك مهمتك على ضوء هذه التجربة . . ولذلك قال الله تعالى ﴿وعصى آدم ربه فغوى . . ثم اجتبه ربه

فتاب عليه وهدى ﴿ .. كان آدم يمثل المرحتين .. مرحلة الانسان غير المعصوم ..
فيتع في الخطأ .. فيعطيه الله الفاظ التوبة .. فيخشع ويرجع الى الله .. ومرحلة
النبوة .. بعد ذلك في أن ينقل الدين لابنائهم ..

وبعد ذلك قام آدم بابلاغ تعاليم الله الى أبنائه الذين ابلغوها الى أبنائهم ..
ولكن شهوات النفس وغفلتها استطاعت جيلا بعد جيل أن تنحرف بسلوك الانسان
عن تعاليم الله .. وهنا أرسل الله الرسل .. وكان لا بد أن يحمل كل رسول الى قومه
معجزة ليثبت لهم صدق رسالته ..

الاسلام والسيف

ان قضية الاسلام والسيف .. قضية اخذت نقاشا طويلا خلال التاريخ الاسلامي .. ومنذ بدأ الاسلام ينمو ويزدهر .. هناك من يتهم المسلمين بأن الاسلام قد انتشر بالسيف .. ورغم أن أديانا أخرى قد اجتازت بحروبها لتثبت أقدامها .. أو لتنصر مبادئها .. رغم ذلك كله فلا يجد المستشرقون قضية الا أن الاسلام قد انتشر بالسيف ..

وأمامنا في الدنيا امبراطوريات انتشرت بالسيف .. امبراطوريات لم تكن الشمس تغيب عنها .. ثم ماذا حدث بعد ذلك .. غاب عنها السيف .. فغابت الامبراطوريات .. وزالت من الوجود .. ولم يعد لها كيان بل أن كل ما انتشر بالسيف يزول اذا زال السيف .. وأنا أريد من هؤلاء المستشرقين الذين ملأوا الدنيا أكاذيب عن الاسلام .. أن يذكروا لي مثلا واحدا لشيء انتشر بالسيف .. ثم بقي بعد أن زال السيف مثل واحد عبر التاريخ .. لا يوجد .. ولكنهم لا يجدون سوى الاسلام .. يحاولون أن يطلقوا عليه مثل هذه الأكاذيب .. اذا كان كل شيء في العالم قد قام بالسيف عندما زال السيف زال .. فلماذا يبقى الاسلام شادا عن هذه القاعدة .. ينتشر بالسيف ثم يزول السيف .. فلا يزول الاسلام .. بل يظل ينتشر ويزداد انتشارا كل يوم ..

قلت للشيخ محمد متولي الشعراوي .. انني أريد أن أسمع رأيك في هذا الموضوع .. وبدأ الشيخ محمد متولي الشعراوي يتكلم :

هناك صنفان من الناس .. صنف يعلم ويكفيه أن يعلم .. ليحمل نفسه على منهج ما علم .. وصنف يعلم ولكنه غير قادر على أن يحمل نفسه على منهج ما علم .. الصنف الأول تكفيه الحجة .. ويقنعه البرهان .. والصنف الثاني لا يقنعه أي شيء .. بل يخترع الحجة .. ليقنع نفسه بعدم السير .. أو الاعلان .. أو

التسليم .. بما علم .. وهذا الصنف الثاني هو الذي يدعي أن الاسلام قد انتشر
بالسيف .. ووجود الحرب لا بد أن يكون معها السيف .. ولكن هل السيف هو
الذي أوجد الحرب .. أم الحرب هي التي أوجدت السيف .. حين تجد سيفا أقنعك
بحرب .. فاعلم أنها قضية باطل .. ولكن حين يوجب الحرب السيف .. فاعلم
أنها قضية حق .. لذلك الأصل في السيف .. أن يكون حارسا لكلمة الحق .. لا
أن يكون معينا على كلمة الباطل .. ولذلك أخذت هذه القضية عند المستشرقين دورا
عميقا أرادوا به أن يشوهوا وجه الاسلام في سياحته في الدنيا .. فقالوا إن الاسلام
فرض بالسيف .. ونقول بأبسط عبارة .. ومن الذي حمل السيف ليرغم الناس على
منهج الاسلام .. هل بدأ الاسلام سيفا أم بدأ حرقا وكلاما مقنعا .. ان الذين حملوا
السيف ليجتاحوا به في الأرض .. لم يفرض الاسلام عليهم بالسيف .. وانما دخلوه
عن قناعة .. وقوة .. برهان وانصياع لحجة .. ومن هنا أخذ الاسلام دوره السلمي
الأول في أن المقتنعين به اضطهدوا في ذواتهم .. واضطهدوا في أموالهم ..
واضطهدوا في أهلهم .. واضطهدوا في أوطانهم .. اذن فكانوا قلة .. وكانوا أذلة ..
ولم يكن لهم من جاه الحياة شيء .. فما الذي حملهم على أن يحملوا السيف ليجتاحوا
به في الأرض .. انما حملهم على ذلك الاقتناع أولا .. لأنهم كانوا قلة .. وكانوا
أذلة .. وكانوا لا يستطيعون أن يدافعوا عن أنفسهم .. فالذي حمل السيف لم يفرض
عليه أن يحمل السيف الا بعد قناعة .. وتلك هي فلسفة النشأة الأولى في مكة ..
حتى يعلم الناس .. أن الناس قد اقتنعوا فحملوا السيف .. لم يحملوه ليجبروا أحداً
على الايمان والاسلام .. ولكن حملوه فقط ليمنعوا المعوقات التي تعوق الكلمة التي
تصل الى الأذن .. اذن حملوه ليقفوا أمام كتل الطغيان التي تحارب حجة الحق ..
وكان هدفهم من ذلك هو حرية الرأي أولاً وأخيراً .. وعدم فرض رأي معين
بالسيف .. ذلك أن الكفار كانوا يحملون السيف ليفرضوا على الناس سماع كلمة
الباطل .. ويمنعوهم من سماع كلمة الحق .. وحمل الاسلام السيف عن قناعة لا
ليفرض كلمة الحق .. ولكن لكي تصل كلمة الحق الى اذن الناس .. وتكون
الفرصة متساوية .. فيسمع الناس حجة هؤلاء .. وهؤلاء .. وبعد ذلك يختارون
ما يختارون .. بارادة حرة .. لا يفرض فيها السيف رأياً .. ولا يفرض ديناً ..

وان المبادئ التي تفرض على الناس بالعهدة .. أول شيء يعرفونها أنها أن صاحبها الذي فرضها بالقوة .. غير مقتنع بها .. وله كان معها بها .. انما من المبادئ يمنع الناس حين أعرض عليهم منهج الحق .. ومنهج الخير .. ومنهج الخصال .. ان يقتنعوا به .. ولكنه في نفسه غير مقتنع .. وهو يقول في نفسه ان لم أحمل الناس على ذلك المبدأ بالقوة .. لما اقتنع به أحد .. ولو كان مقتنعا به في ذات نفسه لم أتى ذلك أيضا في غيره ..

والاسلام لا يريد قوالب تخضع .. ولكنه يريد قلوبا تفتح .. والقوة التي تفرض .. انما تتحكم في القالب فقط .. ولكنها لا تتحكم في القلب أبدا .. فمن الممكن أن تكره انسانا على عمل يعمله .. وأن تحببه على أن يقوم بهذا العمل بعاليه وبحركة عضلاته .. ولكن ليس من الممكن أبدا أن تفتح قلبه بأن يعتقد شيئا .. لان العقيدة هي الشيء الذي لا يمكن الاكراه عليه .. انك تستطيع أن تكره الانسان على أن يقوم بأي شيء .. ولكنك لا تستطيع .. ولا تستطيع قوى الدنيا كلها أن تكره انسانا أن يضع في قلبه غير ما يجب .. وأن يصدق قلبه بغير ما يريد .. فالقلب خارج عن حدود السيطرة البشرية .. بحيث لا يستطيع انسان أن يكره انسانا اخر على أن يجبه .. أو على أن يصدق في شيء .. أو على أن يعتقد مبدأ ما ..

اذن فالاكراه ليس من مبدأ الاسلام .. والله سبحانه وتعالى قال : ﴿ لا اكراه في الدين ﴾ .. ولا يعقل أن يحمل المسلمون السيف ليقوموا بشيء قد نهى الله عنه .. وهو الاكراه .. أن يحملوا السيف ليكرهوا الناس على الدين .. والله سبحانه وتعالى يقول ﴿ لا اكراه في الدين ﴾ .. ولكن السيف هنا وجد ليعطي فرصة التكافؤ في الاختيار .. أي أنه وجد ليدافع عن الإرادة الحرة للانسان .. أي أن السيف هنا .. وجد ليمنع الاكراه .. ويعطي الناس الفرصة للاختيار بدون اكراه أو ضغط أو ارهاب ..

اذن فالاكراه ليس بمنطق الاسلام .. واذا رأينا اسلما التجأ للسيف .. فانما فقط ليعطي فرصة التكافؤ في الاختيار .. هناك قوى كانت تحكم العالم وتفرض عليه

أشياء وخرافات تقتنع بها . . فجاء الاسلام ليكبت هذه القوى . . وليقول كلمته أمام الناس . . ثم يطرح القضية على الناس . . قضية الحق . . قضية الدين الخفيف . . فمن آمن بها امن بقلبه . . ومن لم يؤمن ظل على دينه . . ولذلك نجد في سياحة الاسلام في هذه البلاد . . ووجدت أمم من اليهود . . وأمم من المجوسيين . . وأمم من المصاري لم يتعرض لهم الاسلام . . وظلوا في حماية منهج آخر . . لهم ما لنا وعليهم ما علينا . . ولو أن الاسلام فرض بالسيف كما يقولون . . لما وجد الا مسلم في أي أرض يدخلها الاسلام . . فوجود غير المسلمين في أراضي الاسلام . . لم يجيء ليحمل الناس على مبدأ من المبادئ التي لا يستطیعها سلوكهم . . ولا يقبلها قلوبهم . . انما أراد فقط أن يزيح المعوقات في اختيار البدائل . .

وشرف الاسلام وقوته أنه أول من حارب من أجل حرية الرأي وحرية العقيدة . . كانت هناك حروب من أجل فرض الرأي . . وحروب أخرى من أجل فرض عقيدة ما . . وهذه الحروب وتلك نعرفها جيدا . . في التاريخ . . ونعرف أولئك الذين قاموا بها . . ولكن ما من حرب قامت من أجل حرية الرأي وحرية الفكر . . وحرية الاختيار . . الا الحروب الاسلامية . . ولذلك فان من حديث اليوم عن حرية الفكر وحرية العقيدة . . مظهر من أكبر مظاهر التقدم في الأمم . . نقول إن الاسلام سبق العالم في هذا التقدم . . وإنه أول من حارب وقاتل دفاعا عن حرية الكلمة . . وحرية العقيدة . . وهكذا أثبت الاسلام أنه لم يحقق أي انتصار للسيف . . ولكنه حقق الانتصار بالرأي والاقناع . . وانما حمل الاسلام السيف لأن أولئك الذين ضده منعوا حرية الرأي والعقيدة . . ومنعوا غير المسلمين من الاستماع الى مبادئ الاسلام الحقيقية . .

الى هنا وينتهي كلام فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي . . الا أن لي كلمة أريد أن أضيفها . . ان موضوع الاسلام والسيف محتاج الى ندوات ومحاضرات . . ذلك أنه موضوع كثرة الاتهام بالباطل فيه . . وجاء الوقت ليظهر الحق . .

نحفظه نعم .. نعمل به لا !

كثير من الناس يعتقدون أن حفظ القرآن أو وضعه في مكان ظاهر وسهل حمل يتنافى مع قواعد الدين .. ذلك أن القرآن قد أرسل ليعمل به المسلمون لا ليربوا به منازلهم ومكاتبهم .. وسياراتهم .. بينما تطبيق المنهج .. أو تطبيق معالم القرآن يمضي في خط نزولي ..

والذي لا شك فيه أن هناك فرقا بين تطبيق القرآن والعمل به .. وبين الحفاظ على القرآن في شكل جميل .. والتفنن في احراجه بصورة نسهوي الفلوب والنفوس .. على أن القرآن كمنهج .. هو المطلوب ما أن نحافظ عليه .. بأن نتبعه .. وقد استمعت الى عدة أحاديث للشيخ محمد متولي الشعراوي وزير الأوقاف وشؤون الأزهر .. عن كيف أن تطبيق المنهج والحفاظ على القرآن يسيران في خط عكسي .. فبينما يقل تطبيق المنهج يزداد الحفاظ على القرآن .. لأن الحفاظ على كتاب الله قد تعهد به الله .. ولم يتركه للبشر .

على أن القرآن كمنهج .. كان موضوع حديثي مع فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي ..

قال الشيخ الشعراوي : إننا نحفظ القرآن .. ولا نحافظ على القرآن .. وفرق بين أننا نحفظ .. وإننا نحافظ .. وإنك لو استقرأت واقع المسلمين في الأرض .. لوجدت أمرا عجيبا .. لا يحكمه منطق واحد .. وجدت أن المسلمين بدأوا يتخلون عن مبادئ دينهم شيئا فشيئا .. فالحفاظ على المنهج في نزول .. ولكن توثيق القرآن وحفظه في صعود .. كل يوم يأتي لون جديد من ألوان حفظ القرآن .. المطابع تطبع أحجاماً مختلفة .. التسجيلات على أشرطة وعلى اسطوانات .. فإذا نظرنا الى القرآن .. نرى كلمة منهج .. ما هي ؟ .. المنهج معناه الطريق الموصل الى غاية .. هذا بالأمور الحسية .. أما في الأمور المعنوية فهو القضايا التي تحكم السلوك البشري

حكما صادرا من أعلى لأسفل ..

وحيثما أقول أنا مسلم .. فكلمة مسلم تأتي من أسلم .. ومعنى أسلم مأخوذ أيضا من معنى أسلمت زمامي الى فلان .. أي صرت في حركتي تابعا له .. اذا قال لي افعل .. افعل .. واذا قال لي لا تفعل .. لا افعل .. وهل أنا - باستخدام المنطق والعقل وكل الموازين - هل يجوز أن أسلم قيادي لمن هو أقل مني مستوى .. أي لمن لا يصل الى مستواي الفكري والعقلي .. الجواب طبعا لا .. لأن ذلك يباه المنطق السليم .. وهل أسلم زمامي لمن هو مساو معي في الفكر والتفكير والعقل .. الجواب : أيضا لا .. ذلك أنني ما دمت متساويا معه فلا يصح أن أسلم زمامي .. او قيادي اليه .. لأن التساوي هنا يجعلني أنا أتفوق في ناحية وهو يتفوق في ناحية أخرى .. ولا أحد منا يستفيد أو يرتقى من تسليم زمامه للآخر .. بل على العكس .. كلانا سيصاب بأضرار .. لأن ادراكنا ومستوانا قاصر .. ولأننا متساوون في العقل والفكر .. ولأننا نحن الاثنين بشر .. ومعنى بشر أن لنا أهواء تحكم تصرفاتنا .. مهما حاولنا أن نجعلها موضوعية .. وبعيدة عن الهوى ..

ولكن المنطق والعقل يؤكدان أنني اذا أسلمت فإني يجب أن أسلم زمامي لمن هو أعلى مني علما وقدرة وحكمة .. أي أن الانسان العاقل لا يمكن أن يسلم زمامه .. الا لمن ثبت بالتجربة أنه أعلم منه وأحكم منه .. وأقدر منه .. وليس له هوى ، وهذا هو الأهم ، ذلك أن من أسلم اليه زمامي قد يكون أعلم وأحكم وأقدر .. ولكن لعل له هوى ..

اذن المسلم يسلم زمامه لمن آمن به .. ذلك الذي يملك العلم المطلق .. والحكمة المطلقة .. والقدرة المطلقة .. ولا هوى له فيما يقنن . أو فيما يصدره من قوانين وتشريعات .. في أفعل ولا تفعل .. ومن هنا فان الاسلام معناه أن نتبع في أمورنا القوانين والتشريعات الصادرة عن الله .. ما دمنا قد آمننا أنه هو الحكمة المطلقة والقدرة المطلقة .. وأنه لا هوى له فيما يشرع لعباده ..

تأتي بعد ذلك الى منهج الاسلام .. الذي وضعه الله .. قال رسول الله ﷺ ..

بني الاسلام على خمس . شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . . . واقام الصلاة . . . وايتاء الزكاة . . . وصوم رمضان . . . وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا . . . اذا ناقشنا المبدأ الأول وهو : أن لا اله الا الله . . . أقول إنها الغلب المسلم . ذلك أني حين أقولها أسلم لله سبحانه وتعالى أمرني وأعلنته وأشهدته أنه لا يرنع الى الحكمة المطلقة الا هو . . . وأنني لا أعبد الا هو وحده وانني أؤمن برسالة نبيه ورسوله محمد ﷺ .

فاذا انتقلنا بعد ذلك الى باقي الأحكام نجد أن الله سبحانه وتعالى قد فرض الصلاة . . . حدد فيها الزمان وترك حرية المكان . . . وفي الزكاة حدد الحركة . . . وبعد ذلك حدد الزمن وهو في وقت الحصاد . . . وترك الزمن مطلقا بالنسبة لزكاة المال . . . أما في الحج فقد حدد لك الله الحركة ، وحدد لك الزمان ، وحدد لك المكان . . . اذن فالحج يشمل ثلاثة أشياء : تحديد الحركة ، وتحديد زمان ، وتحديد مكان . اذن لم يترك الله لي في الحج شيئا أبدا لاختياري سواء كان ذلك بالنسبة للزمان أو المكان ، أو الحركة . . . لذلك على قدر هذا التقييد في الحركة وفي الزمان وفي المكان . . . كان جزاء الحج المبرور . . . أن يخرج الانسان من ذنوبه كيوم ولدته أمه . . . لأنه تحددت الحركة ولم يترك لي الحرية لا في الزمان ولا في المكان . . . وفي العبادات تحدد الحركة ويترك لي الزمان . . . وفي الاعتكاف تحدد لي الحركة والمكان . . . ويترك لي حرية الزمان . . .

فاذا استكمل الانسان هذه الخمسة . . . فلينتبه الى أن الرسول ﷺ . . . حين قال بني الاسلام على خمس . . . لم يقل الاسلام لخمس . . . وإنما بني الاسلام على خمس وكان هذه الخمس هي الأساس والدعائم . . . ولكن هل الأساس والدعائم هي المبني ؟ . . . أبدا . . . أنها هي التي تحمل المبني نفسه . . . تعطيه قوة التحمل . . . والقدرة على البقاء . . . ولكنها ليست المبني نفسه . . . وهناك الحجرات . . . المبني يستكمل بأشياء كثيرة جدا كلنا نعرفها . . . إذأ بني الاسلام على خمس . . . هذه هي الشعائر . . . الأسس أما كلمة الاسلام فهي كل حركة تابعة وجالبة الخير للانسان . . . لا يطلب منا شيئا . . .

نقول له . . لا . . ان اسلامك مبني يظن انسان أن الاسلام يطلب منه أن يؤديها . . ثم بعد ذلك فالمتهاج من هذه الناحية ليس مجرد الشعائر فقط التي قدرت على هذه الأسس الخمسة . . وما دام اسلامك مبني على هذه الخمسة . . اذن فهو يمثل شيئاً أكثر عطاء . . أكثر من هذه الخمسة لتستكمل البنيان وتكمله . . وهذا الملء هو الذي يمثل حركة الحياة التي تحملها أسس الاسلام الخمسة .

اذن فمنهج الاسلام يتطلب ويتضمن كل حركة نافعة في الكون والحركات النافعة في الكون هي تعامل الانسان مع أجناس الكون كله . . فالذي يتعامل مع الأرض ومع المعادن معاملته مع الجماد . . والذي يتعامل مع الخصوبة والزرع يتعامل مع النبات . . والذي عمله مع الحيوان كمربي الماشية مثلاً وأصحاب المراعي . . هؤلاء وغيرهم يتعاملون مع الحيوان . والذي عمله في انسانيات الانسان يتعامل مع الانسان . . اذن فكل حركة في الوجود تتصل بالجماد أو بالنبات أو بالحيوان أو بالانسان هي حركة من منهج الاسلام . . والاسلام ينظم هذا كله في تعاليمه من الرأفة بالحيوان . . وحسن التعامل مع الأرض بعدم اتلاف زرعها وخيراتها . . وتعامل الانسان مع أخيه الانسان . . هذه كلها يحددها منهج الاسلام . . ويحددها بتعاليم . . ملؤها الرحمة والنور والمغفرة . .

علوم الدين . . وعلوم الدنيا

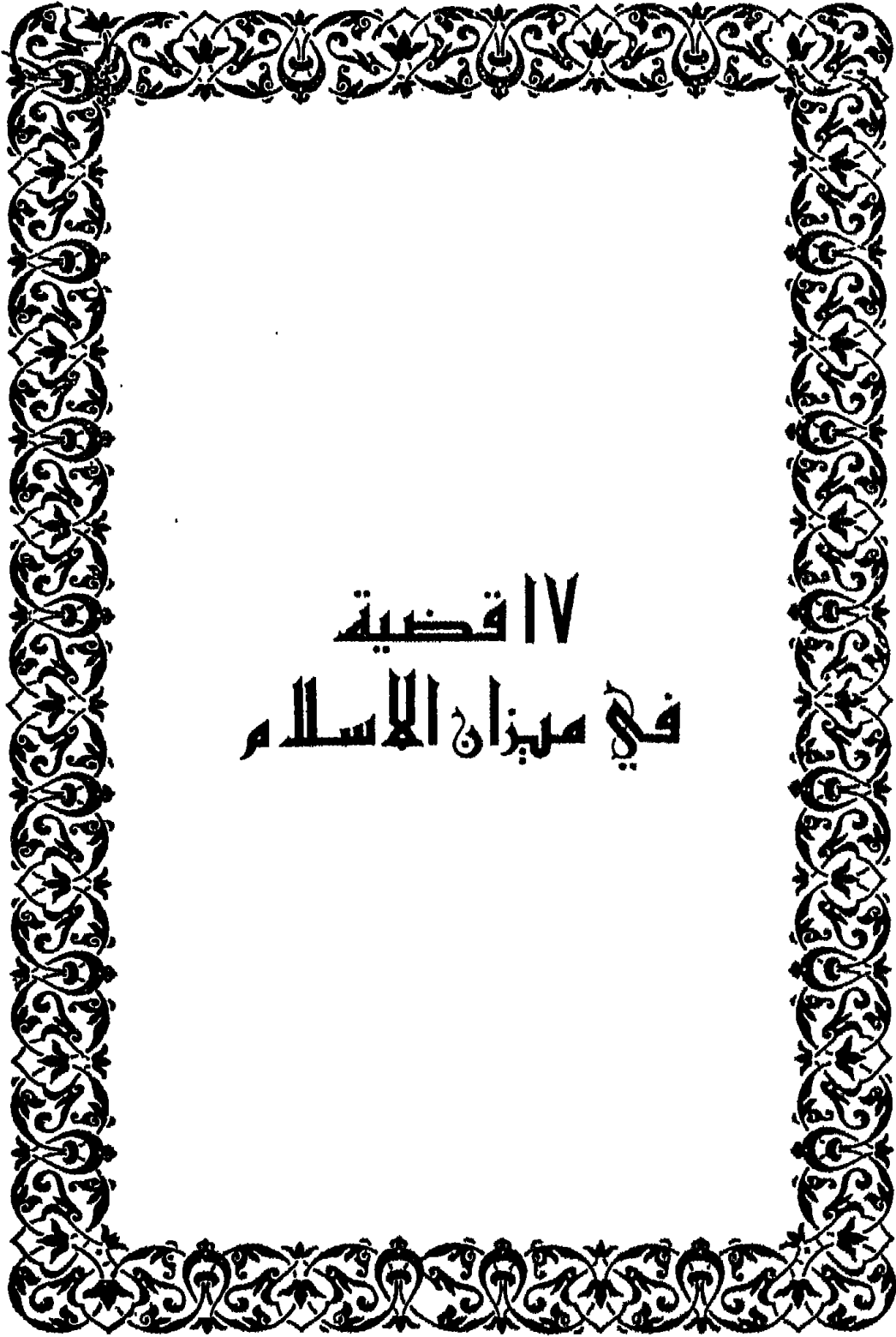
ان الحديث عن علم الدين . . أو تعاليم الدين قضية هامة . . ذلك أنه مع ارتقاء العلوم البشرية . . فإن تدريس علوم الدين يبقى كما هو . . حتى أنه يقال ان التدريس في علوم الدين قد تجمد . . أو قل . . أو ضعف . .

وكان هذا هو موضوع لقائي مع فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي عن علوم الدين وعلوم الدنيا . . قال الشيخ محمد متولي الشعراوي :

لأن مهمة العلماء الذين يحملون منبر الله . . مهمتهم أن يرسخوا العقيدة في نفوس المجاهدين في سبيل الله . . ليستهيئوا بكل غال . . وبأية تضحية في سبيل نشر نور الله . . واعلاء كلمة الله . . فهم اذن مهمتهم . . مهمة الإعلام لقضية الحق . . ولكن علم الدين يختلف عن بقية العلوم في سائر الأرض . . واختلافه ناشىء من طبيعته . . لماذا ؟ . . لأنك حين تعلم الناس منبر تاريخ مثلا . . تعطيم قضية لفظ الأحداث بأزمانها . . ولا تطلب منه أن يعتبر بهذه الأحداث . . فالأحداث الضارة التي مرت بها شعوب يجب أن نتجنبها . . والأحداث النافعة يجب أن نأتيها . . والذي يتعلم الكيمياء أو الهندسة . . يكفي أن يعلم قضية العلم . . ولكنه لا يحد في شيء من سلوكه حسب قضية النظرية الهندسية . . أي أنك وأنت تعلم الانسان العلم أو الطبيعة أو التاريخ أو أي شيء آخر دنيوي . . تعلمه له دون أن تطلب منه أن يغير سلوكه . . أو أن يترك أفعالا معينة شخصية تتنافى مع هذا العلم . . أو تطلب منه أفعالا معينة يريدونها في هذا العلم . . فسلوكه في الحياة حر . . لا تحكمه قضية كيميائية الا بمقدار ما يريد منها خيرا . . ولكن علم الدين شيء آخر . . لا يكفي أن تعلمه . بل أن تعلمه لتحمل نفسك على السلوك على وفق ما تقتضيه . . اذن فعلم الدين يتطلب شيئا اسمه التربية . . علم وتربية . . فما هو الفرق بين العلم والتربية . . العلم ادخال المعلوم من العالم في ذهن غير المتعلم . . ولكن التربية هي أن تحمل

الشخص الذي تريد تربيته على أن يتبع سلوكه على وفق ما علم . . اذن فقضية علم
 الدين تأخذ خطواتها من هذه الناحية . . لا يكفي أن تعلم قضية العلم . . لأن علم
 الدين يتطلب انطباع السلوك بما علم الانسان . . ولكن الكيمياء لا تطبع سلوكك على
 شيء في حياتك . . أنت تصنع بالكيمياء ما أردت العملية الكيميائية . . لا تقول لك
 الكيمياء افعل كذا في حياتك . . ولا تفعل كذا . . وإنما يقول لك علم الدين . .
 افعل ولا تفعل . . اذن فقضية علم الدين تتلخص في افعل . . ولا تفعل . . ومع
 افعل ولا تفعل . . أن الدين منظم لحركتك . . فليست المسألة مسألة انطلاق في
 الحركة . . ولكن هناك أموراً أنت لا تحب أن تفعلها ومطلوب منك أن تفعلها . .
 وأمرأ تحب أن تفعلها . . ويطلب منك ألا تفعلها . . ومعنى ذلك هو التحكم في
 حركة حياتك . . لا في حركة حياتك كلها . . بل في جزء بسيط منها . . لأننا لو
 وجدنا المطلوب بأفعل . . والمطلوب بالألا تفعل . . بالنسبة للحياة لوجدناها تأخذ
 جزءاً يسيراً . . والأجزاء الباقية في منطقة اختيارك . . يمكنك أن تفعل . . أو لا
 تفعل . . اذن فيجب أن نفرق بين علم وتربية . . فالعلوم غير الدينية يكفي أن
 يعلمها المتعلم . . ولكن علم الإسلام لا يكفي فيها أن يعلمها المتعلم . . بل لا بد أن
 يتبع سلوكه على وجه ما علم . . في أن يعلم الانسان قضية علمية . . ثم يراقب
 سلوكه . . ليرى اذا كان سلوكه على مقتضى القضية العلمية الدينية . . الذين يريدون
 التحلي بالأخلاق التي تؤهلهم لهذا الدين . . يجب أن يوطدوا أنفسهم على الأسوة
 برسول الله ﷺ . . وعلى الأسوة بهذه القيم . . والا بحثوا لأنفسهم عن مجال آخر . .
 فهم يجب أن يجعلوا سلوكهم على وفق ما كان يفعله رسول الله ﷺ . . ورسول الله
 تحمل ما تحمل . . ولقي ما لاقى . . ولم يلاق أحد من علماء المسلمين عشر ما لقيه
 رسول الله ﷺ . . والذين يحبون رسول الله . . ويحبون أن ينتموا اليه . . يجب أن
 يعلموا القضية الأصيلة . . ان الرسول ﷺ حينما شاء الله أن ينطلق بدعوته الى
 المدينة . . لتكون المنطلقة للدعوة الكاملة الشاملة . . وهو أنه حين أخذ العهد على
 الأنصار . . قال له الأنصار . . ماذا سنأخذ اذا وفينا بهذا العهد . . لم يذع رسول الله
 في الصفة شيئاً من متاع الدنيا . . ولا لزخرفه . . حتى يكون الداخل على هذا المنهاج
 ليست الدنيا في حسابه . . فقال لكم الجنة . . ولكم الجنة ليست صفة رخيصة . .

ولكنها في نظر قانون النفع صفة غالية جدا . . لماذا؟ . . لأن الانسان بقضية التعامل التجاري . . لا يتاجر الا ليشتري على أمل أن يبيع بأكثر مما دامت التجارة تؤدي وربحا أكثر من الثمن . . فتكون التجارة رابحة . . فإذا نظرنا الى هذه الحياة لنربطها بقضية الصفة الاقتصادية في قانون النفع الانساني . . نصير مثلا للانسان . . أيها الانسان . . أنت تتعلم حتى تبلغ سن الخامسة والعشرين . . وفي بعض الأحيان يتطلب تخصصك ألا تنتهي من علمك في سن الثلاثين . . أنك حتى سن الثلاثين تقضيه في مذاكرة وسهر وتعب . . وليتك تعبت وحدك . . بل تعبت أهلك جميعا . . فرمما ادخروا من أقاتهم ليقدموا لك سبيل العلم . . أنت تعبت وأتعبت . . وشقيت وأشقيت . . بأي عمل فعلت هذا . . لماذا؟ . . حتى توفر لنفسك حياة الى سن الستين أو الخامسة والستين . . إذن أنت تعبت ثلاثين سنة لتوفر حياتك لمدة ثلاثين سنة قادمة . . ولكن هذا العمر الذي توفر فيه المتاح لك بعد سن الثلاثين عمر متيقن . . أي أنك تعلم ذلك يقينا . . انه عمر تفحص انه مضمون . . وحتى اذا تجاوزنا . . وقلنا انه متيقن . . فان له بداية . . وله نهاية . . إذن فهو محدود حتى لو سلمنا بأنه واقع . . مع أنه في الحقيقة لا يمكن أن يكون مأمولا . . لأن الأجل قد يأتي في أي وقت قبل الثلاثين . . أو بعد الثلاثين . . وقد لا يمتد العمر لأكثر من الثلاثين بسنوات قليلة . . ثم على أي نوع من أنواع الحياة توطد نفسك في هذه المدة المأمونة . . توطد نفسك على قدر امكانياتك . . ولكن رسول الله حينما قال . . لكم الجنة . . انما قال شيئا لا يمكن أن يحققه أي ربح في الدنيا . . ولا أي نجاح في أي صفة تتبع قانون النفع المادية . . لماذا؟ . . لأن الحياة صودة مهبط طالت . . ويعدك الله بشيء غير محدود . . إذن من ناحية المقارنة الاقتصادية النفعية . . قارنت حدودا بغير حدود . . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . .



القضية
في ميزان الإسلام

قضايا المصمر الحاضرة في قلوب وعقول الشباب المسلم التي تطرح نفسها بإلحاح اليوم . . لماذا هذا التخلّف الذي تعاني منه دول العالم الاسلامي . . بينما دول اخرى لا تدين بالاسلام أكثر تقدما؟ . . وماذا أصبح جزاء الاحسان؟ . . وما دام الرزق مقدرًا ومكتوبًا للاتسان . . فلماذا العمل؟ وبعض الناس يقول ان الخمر لم يرد في تحريمها نص في القرآن . . فهل هذا صحيح؟ ولماذا لم يذكر تحريم الخمر بنص مثل تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير؟ . . وإلى أين ينتهي الأمر بالانسان وهو يبحث أسرار الروح بعد أن سجل القرآن حيرته منذ أربعة عشر قرنا؟ . . وما هو الرد على العلماء الذين يقولون بأن الروح لها وزن؟ وما هو الرد على من ينكرون وجودها؟ وعن الآخرة . . ما يعني أن ينتبه الاتسان بعد الموت أو السكون والصمت والنهاية؟ وكيف وهو في الحياة بما فيها من السمع والبصر يكون نائما؟ . . وما هو معنى الجنة؟ . . وآخرها لو أن آدم عليه السلام لم يخطيء واستمر في الجنة . . لكان كل الناس في نعيم . . لماذا الحساب والثواب والعقاب والخطيئة والتوبة والايان والكفر؟؟ . . .

هذه القضايا هي موضوع الحوار الهادئ مع فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي وزير الأوقاف وشؤون الأزهر والذي أجراه بذكاء ووعي واقتدار الكاتب الاسلامي أحمد زين . . .

حسين عاشور

مقدمة

لما كان للشيخ محمد متولي الشعراوي من أسلوب عقلاي متميز في تناول ما يعرض عليه من موضوعات ، فان من الصعب على أي طرف ثالث الدخول في العلاقة اللصيقة والمباشرة بين الشيخ والقارىء . ومنشأ الصعوبة : انه يقدم بضاعته بوضوح وعمق ويسر لا يحتاج معها القارىء في أغلب الأحيان الى جهد كبير لإدراك مراده . ولذلك يصير المجال جد ضئيل لمن يود أن يكون طرفا ثالثا - ان جاز ذلك - بحيث ينحصر الدور فقط في مجرد تهيئة القارىء للقضية موضوع الفصل .

وموضوعات الكتاب : هي اجابات الشيخ عن أسئلة عديدة تدور في أذهان الناس . . أتاح لي عملي الصحفي أن أتعرف عليها ثم أضعها أمانة بين يدي منهجه التحليلي .

والرجل حريص في اجابته على أن يرد الأمور الى أصولها ليستلهم منها الحل والرأي بحيث لو سألته عن زهرة عطرة ، ما كان ليعطيك الاجابة ، الا راجعا بك الى أصولها الأولى من منبتها في الأرض . وهذا يوفر لك الاجابة بخلفيتها العريضة وجوانبها المتعددة تهيئة لك لاستيعابها . . وبذلك يصل معك الى النتيجة وأنت تكاد تنطق بها قبل أن يقولها هو نفسه .

الشيخ الشعراوي - أيضا - يشعر عادة وهو يتناول الموضوع ، بأنك لأول مرة تسمع مثل هذا الذي يتحدث عنه ، وان كان نصيبك من السماع مائة مرة .

وما يسترعي الانتباه ذلك الرونق البلاغي الذي يتحلل به أسلوبه الشيق . فلقد عمل لفترة ليست بالقصيرة أستاذا للبلاغة وليس أجمل من أن تعرض الفكرة الرصينة في أسلوب شيق . فذلك مما يقرب المسافة بين القائل والمستمع .

ولقد داومت في بداية كل فصل على التفرد ببضعة سطور أنقل من خلالها القارىء الى

جو الموضوع واطاره العام .

وأردت ألا يجيء عرض الكتاب في شكل سؤال وجواب كيلا أقطع على القارئ استرساله خاصة وأن السؤال الواحد كان يتولد عنه عدة أسئلة فرعية تثار أثناء الحوار مع الشيخ ، ولذلك جاءت تلك المقدمات لتؤدي - الى حد ما - مهمة الحوار دون أن تقطع لذة تتابع الأفكار واسترسالها في تلك الرحلة الشيقة مع الشيخ محمد متولي الشعراوي .

سيد حمدي

امراة فرعون ودرس لنساء اليوم

قصة امراة فرعون التي عرضها القرآن الكريم عرضا سريعا ، تدل على اصالة المرأة في مجالها العقدي ، وانها ليست تابعة في عقيدتها لأحد ، ولو كان هذا الأحد (فرعون) الذي ادعى الألوهية . . فانها تأبت عليه ، وأعلنتها الله تعالى في قوله : ﴿ وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ﴾ (١) .

فهنا عزفت الزوجة عن جاه الألوهية الكاذبة وجاها ونعيمها الملق ، بايثارها شيئا لا يزال غيبا وهو الجنة . . فلو أنه كان شيئا محسا لكان أمرا معقولا ولكنه بأمر غيبي . . هذا الأمر الغيبي ضمانته في أنه أخبار من الله الذي تثق في صدقه . .

وفي هذا العرض جوابا عن كل التساؤلات التي تتصل بالحياة المعاصرة . فزخرف الحياة المرئي وزينتها المسيطرة وتبرجها الشائع يجب أن يقارن - عند المرأة العاقلة - بما يعد لفاعل ذلك من عذاب ، وبما يعد للصادق من ثواب . . والا كان المؤثر للماديات المشهدية عن الوعد والوعيد الغيبي ، غير مؤمن بالذي أوعد ووعد .

ان المكلف لا ينصرف عن تنفيذ أمر الله الا لعدم استحضاره للجزاء على الطاعة والجزاء على المعصية . . فلو أن المرأة استحضرت عقوبة الله على مخالفة منهجه استحضارا غير مشكوك فيه - لرفضت كل مخالفة لمنهج الله . ولكن الغفلة عن الجزاء ، هي السبب الفاعل في الانصراف عن الأمر مطلوبا وعن النهي مطلوبيا .

وحسب الانسان أن يعلم أن فرعون - بدعواه الألوهية وباستخفافه قومه - لم يستطع أن يتبع له امراته ا

(١) الآية ١١ سورة التحريم .

دور أجهزة الاعلام في العالم الاسلامي

أجهزة الاعلام في العالم الاسلامي ، تسير في اتجاه واحد مع أي نشاط آخر من نشاطات العالم غير الاسلامي ، لأن الفتنة بالغرب جعلت هذه الأجهزة كغيرها تعذو حذوه في كل شيء . وتنهض بأي لون من ألوان النشاط على خطئه . فكأننا ننقل كل مجالات الحياة هناك ، الى مجالات الحياة هنا .

ومن هذه المجالات مجال الاعلام . .

والاعلام في الغرب كله مهمة شركات . . والمهمة الأساسية لأي شركة : خدمه رأس المال بتحقيق الأرباح .

وتحقيق الأرباح لا يتأتى الا بالانتاج الكثير المستميل للمستهلك .

فالغرض الذي من أجله انشئ الاعلام في الغرب ، غرض لا يقوم الا على تحقيق الأرباح ، وتحقيق الأرباح لا يتأتى الا بتعدد المستهلك الذي يجب كل ما يمتعه ، ويحقق له غاياته التي يشتهيها ، والامتع دائما يكون سائرا مع تحقيق الشهوات ، وبالتالي فان وسائل الاعلام هناك ، مرغمة اقتصاديا على أن تحقق لمجتمعها أقصى ما يمكن من المتع : بالشهوات والالتذاذ بالانحرافات .

وكل تقدم يقاس بقدر ما يتحقق من هذا الغرض الاصيل . .

ولكن العجيب أن وسائل الاعلام في العالم الاسلامي ملك للدولة فهي ليست شركات استثمار ، ولكنها مجال خدمات . ومع ذلك لم يفتن الاعلام الى هذه الحقيقة . وسار - في مناهجه - على وفق مناهج الغرب ، الذي لا يهتم فيه القائمون على أمر شركات الاعلام بما يهدى من قيم ، بقدر ما يهتم ما تحققه من ربح !

ان المفروض في وسائل الاعلام في البيئات المتماسكة الملتزمة : ألا تنزل الى المستوى الذي تطلبه غوغائية الجماهير ، بل من واجبها أن ترتفع بهذه الغوغائية لتأخذ بيدها الى مستوى رفيع من الفضائل والقيم .. أما ان يهبط الاعلام الى مستوى تحقيق النازل من الشهوات ، فهذا لا يمكن أن يكون اعلاما رشيدا مخلصا ..

والاعلام لو نزل الى مستوى الناس الهابطي الفكر ، لأصبحوا هم الموجهين ، ويفقد الاعلام بالتالي دور التوجيه ، لأن مهمة الأعلى - دائما - أن يأخذ بيد الأدنى اليه .

ولا شك أن القائمين على التوجيه . هم الطبقات التي ائتمنت على التوجيه .. فإذا ما شد الأدنى الأعلى ، صار الجميع في المنحدر .. ولكن منطق التشريع الالهي - هو أن يرتفع بمستوى البشرية الى مراتب الفضائل والقيم .. يقول الله تعالى :

﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ..﴾^(١) .

ومعنى (تعالوا) هو أقبلوا .. ولكن اللفظ يحمل معنى فوق الاقبال ، وهو « ارتفعوا » الى مستوى ما يريد الخالق .. أي أن التشريعات البشرية التي كان يتبعها الناس قبل الوحي تأخذ الموضع السفلي .. بينما شرع الله له العلو والسمو ، ومن هنا جاءت كلمة (تعالوا) ...

(١) من الآية ١٥١ في سورة الأنعام .

من الحاسر . . . ؟

لماذا تؤذن الحضارات دائما بزوال القيم ؟ ولماذا تنتهي باستمرار الى التدمير ؟
الاجابة على ذلك هي : أن الحضارة طالما كانت قائمة على أسس من وضع البشر ، غير
محروسة بقيم الهية ، فان نهايتها الطبيعية هي الفناء . ومفهوم معنى الحضارة هو : كل شيء
اذا حضر ، فشهوات النفس فيها محققة وطلباتها مجابة . لكن النفس محتاجة الى من يكبح
جماعها ويوقفها عند حدودها . ويمنعها من تحقيق شهواتها البهيمية .
وهذه النقطة هي أساس مهمة الدين الذي يتولى ضبط حركة النفس وتهذيب
شهواتها .

ولذلك يصف ادعياء التحلل ، من يتمسك بدينه بأنه رجعي وغير تقدمي أي ليس
منطلقا مع شهوات نفسه .

هذا هو السبب الأول في اسهام الحضارة في زوال القيم .

أما السبب الثاني فسأعطي له مثلا ليكون قريبا من الأذهان . قديما حينما كان الناس
يذهبون الى بئر للشرب ولا يجدون ماء ، يلجأون الى الله فورا بالدعاء والرجاء ، ليستجيب
لندائهم .

وهذا راجع الى أنهم لا يزالون في الفطرة والبداوة ، التي هي قريبة عهد بنظام الله
وآياته في الكون .

أما اليوم فحين لا نجد الماء في المنزل لسبب من الأسباب نبحت في الصنبور لعله
فاسد فنصلحه ، فان لم يكن كذلك ، نبحت في المواسير لعلها مسدودة ، وهكذا ،
وهكذا . ونلاحظ هنا أن كثرة الأسباب الظاهرة وانشغال الناس بها ، يذهلهم ويلهيهم عن
الفاعل الحقيقي ، الخالق القدير ، الله .

وأنا لي تجربة شخصية ، حين كنت في بلد من البلاد أحضر حفلا دينيا لافتتاح سد جديد ، فقال عظيم من العظماء لحظة الافتتاح : الآن ستروون مزارعكم .. أمطرت السماء أم لم تمطر .. فقلت له : وإذا لم تمطر السماء فأي شيء يحجز سدك ؟ .. انك في حاجة الى مطر السماء حتى يكون لسدك مهمة .

فطالما بعد الانسان عن الفطرة بدا العقل البشري في الغرور والطغيان .

والذي يقول إن الدين يخسر أنصارا خاطيء في هذه المقولة ، لأن في اللغة يقال : فلان خسر الشيء اذا كان الشيء مؤثرا في نجاحه .

والحقيقة أن الدين هو المؤثر في نجاح الانسان وليس العكس .

فالدين هو الدين لا يزال باقيا . والله سبحانه منفرد بالالوهية : شهدنا بذلك أم لم

نشهد .

وانتشار القلق والاضطرابات والحروب اليوم ، انما هو نتيجة حتمية ومنطقية لما تجنيه نظم العالم وقوانينه واخلاقياته ، وبذلك يكون ما يعانيه البشر اليوم هو الجمال بعينه ، لأن الجمال ليس كل ما تستطيعه النفس ، ولكن أن تأتي النتائج وفق مقدماتها ..

فلو أن العالم استقر ، وشاعت فيه الطمأنينة ، وغشيه الأمان وانتشرت فيه الرحمة مع انحرافه عن المناهج الالهية وهي التقنيات التي تحكم حركة حياته ، لكان ذلك هو القبح بعينه .

ثم ماذا تريد من عالم القوي فيه متحكم بهواه والضعيف لاه عن خالقه ؟ .. الأمر الطبيعي أن يحدث ما نراه الآن من فوضى واضطرابات وحروب ، وصدق الله اذ يقول : ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض﴾^(١) فهل كنا نحب بعد اتباع الناس لأهوائهم أن لا يحدث هذا الفساد ؟ معاذ الله ألا يصدق قول الله .

(١) من الآية ٧١ في سورة المؤمنون .

الطلاق والتعدد

حين نرى لأي نظام عيوباً يجب أن ننظر أولاً : هل نفذ النظام كما أراده المشرع وكما وضعه ؟ وهل طبق القانون وفق ما هدف إليه الشارع أم أن هناك أموراً حسبت على القانون وهي ليست منه ، حينئذ نستطيع أن ندرك هل العيب في النظام والقانون أم في تطبيق أي منهما ، فإن كان العيب في التطبيق فالتعرض للقانون ليس بذي جدوى وعلى هذا الضوء يجب ألا نحسب على الإسلام ما نراه من فشل في الزيجات ، وطلاق يهدد الأسر ، وتعدد غير سليم ، لأن الذين حدثت لهم هذه المشاكل دخلوا على الزواج بغير مقاييس الإسلام ، فمن العدل والانصاف للإسلام أن يحدث لهم ما حدث لأنه نتيجة طبيعية لما سبق . فلا يصح أن يعالج موضوعاً الأساس في وجوده خروج عن الإسلام .

ولو نظرنا بانصاف إلى الأسباب الداعية للطلاق أو فشل التعدد . . لوجدنا أن ذلك راجع لمخالفة المتزوجين لمقاييس الإسلام في كلا الأمرين ، ولو أن طالب الزواج دخل على الزواج بمطلوبات الله لما حدث ما يدعو إلى الطلاق . وكذلك لو أن المعدد دخل على التعدد بمقاييس الله لما وجدت آثاره الضارة . وليس ذلك خاصاً بهما فقط ، لكنه يتعلق أيضاً بولي أمر الزوجة ، حين يقبل زوجها للتي هو وليها ، على غير مقاييس الله ومطلوبات الدين ، فمن العدل أن يحدث له كل ذلك ، ولو لم تحدث هذه المتاعب ، لكان ذلك مخالفاً لمهج الله ولشككنا في هذه التعاليم .

فالمنصف يرى أن متاعب الطلاق وتعدد الزوجات اليوم شهادة للدين لا عليه .

المعجزات النبوية

للسنة النبوية معجزات أفردت بالتأليف تحت عنوان : (أعلام النبوة) وهي تخبر بأشياء مستقبلية ، ليس للمخبر دخل في وقوعها ، حتى لا يعتبر الوقوع منه افتعالا لتصديقه فيما يقال .

والمعجزة ليست مهمة لمن نقلت اليه ، ولكن لمن شاهدها ، لأن الله أجراها على يدي رسول الله ﷺ ، ليثبت بها إيمان من عاصره ، حتى يقوى على تحمل تبعات أولية الإيمان في عالم الكفر .

فتفجر الماء من بين أصابعه ﷺ مثلا ، واشباع العدد الكثير بالقليل من الطعام ، كل ذلك مقصود به من شاهد هذه الوقائع . أما من لم يشهدها ، فإن اتسع ظنه لحصول ذلك على يديه ﷺ ، فبها ونعمت ، ومن لم يتسع ظنه لذلك - بسبب ما قد يراه خفلا في الأسانيد - فحسبه معجزة القرآن الباقية الخالدة . .

والذي يعطينا اليقين في اعجازات النبوة ، هو ما صدر عن رسول الله ﷺ من قول أكده مستقبل الزمن الآتي بعد القول .

فمثلا حين يخط الرسول ﷺ يوم بدر على الأرض مكان مصرع كل واحد من صناديد الكفار ، ثم تدور المعركة ، فليس لمحمد ﷺ ولا لأتباعه قوة تستطيع أن توجد المقتول في المكان الذي رسمه ﷺ ، لأن المعركة كر وفر بدون اعداد سابق ثم يحدث أن تأتي مصارع القوم في أماكنها التي حددها الرسول ﷺ !

ولنتناول بتفصيل أكثر قصة سرية مؤتة ، حينما أخبر ﷺ بتتابع الثلاثة : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة ، وقال : ان قتل زيد فالأمير جعفر فان قتل ، فعبد الله بن رواحة ، فان قتل ، فليرتض المسلمون رجلا من بينهم .

والذي يعيننا في هذه الغزوة ، ما أخبر به ﷺ - وهو بالمدينة - حين نادى في الناس : الصلاة جامعة ، ثم صعد المنبر وعيناه تذر فان ، وقال : أيها الناس ، أخبركم عن جيشكم هذا الغازي ، انهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيدا ، فاستغفروا له . . ثم أخذ الراية جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيدا ، فاستغفروا له . . ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة وأثبت قدميه حتى قتل شهيدا ، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد . .

كل ذلك ولم يكن أحد قد عاد من الغزوة ، والا لوجد المشركون - في رد هذه المعجزة - دليلا على أنه أخبر بعد أن أبلغ من بشر ، ولما قدم بعلي بن أمية رضي الله عنه على النبي ﷺ وهو أول وافد بنخبر الجيش ، قال له النبي ﷺ : ان شئت فأخبرني . وان شئت أخبرتك . قال : فأخبرني يا رسول الله لأزداد يقينا ، فأخبره رسول الله ﷺ الخبر كله ، ووصف له ما كان . فقال : والذي بعثك بالحق ، ما تركت من حديثهم حرفا واحدا . وان أمرهم لكما ذكرت .

من اعلامات النبوة أيضا : قوله ﷺ لجابر بن عبد الله (جلد . . واقض) وذلك أن جابراً قد اقترض مالا من يهودي - وكان ميعاده حين جني ثمر البلح ولكن نخل جابر لم يثمر في هذا العام - فقال صحابة رسول الله ﷺ : يا رسول الله سل اليهودي أن ينظر جابرا لأن نخله خاس هذا العام - يعني لم يثمر - فطلب رسول الله ﷺ من اليهودي أن ينظر جابرا . فقال : لا يا أبا القاسم . . سأله النبي ﷺ مرارا وكان رده لا ، يا أبا القاسم . .

فذهب الرسول ﷺ الى نخل جابر وسار خلاله وذلك في قصة طويلة - ثم قال : يا جابر (جلد . . واقض) - أي إجن الثمار وسدد ما عليك .

فذهب جابر فجد وقضى . . ورجع الى رسول الله ﷺ فرحا مستبشرا ، وأخبره بما كان . فقال الرسول ﷺ : إشهد أي رسول الله .

فقوله جد واقض ثقة منه في أن الله لن يخذله فيما انطقه به ، والا لما جازف رسول الله ﷺ بين أصحابه بكلمة قد لا يصدقها الواقع . .

ومن اعلامه ﷺ ، ما حدث في غزوة الحديبية ، حين انتهى أمر المفاوضات الى أن يتفاوض عمرو بن سهيل عن قريش مع الرسول ﷺ . . وحين كتابة العهد ، قال ﷺ لمن

يكتب : اكتب هذا ما تعاهدنا عليه : محمد رسول الله قال عمرو : لو كنا نشهد أنك رسول الله ما وقفنا منك هذا الموقف . فأصر عمرو ألا توجد هذه الصفة وأصر علي بن أبي طالب - وهو الكاتب - أن يكتبها حينئذ . قال رسول الله ﷺ لعلي : اكتب ما يجب . اكتب عبد الله . فلم يقبل علي ، فقال له الرسول ﷺ ستسام مثلها - أي ستعرض لمثل هذا الموقف - فتقبل . ثم توفي الرسول ﷺ . وانتهى أمر الخلافة لعلي . وكان ما كان بينه وبين معاوية بن أبي سفيان في يوم صفين . فلما أرادوا أن يكتبوا عهدا . قال علي لمن يكتب : اكتب هذا ما تعاهد عليه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين . فقبل له : لو صدقنا أنك أمير المؤمنين ، ما حدث بيننا وبينك هذا ولكن انزعها من العهد . فنزعها ..

وذلك مصداق لكلام الرسول ﷺ لأنه لا ينطق عن الهوى .

تلازم بين القرآن والسنة

ان استمرار السنة النبوية حتى يومنا هذا معجزة من باطن معجزة القرآن وهما يلتقيان في كونها أخبارا من الله ولكن القرآن أخبار بنص ملتزم ، والسنة أخبار بنص غير ملتزم . . . وعلى الذين يتشككون في هذه السنة أن يفتنوا الى أن تشككهم في بقاء سنة عن الرسول ﷺ يؤدي بهم الى الشك في معجزة القرآن نفسها وذلك لأن الله يقول في كتابه :
﴿بالبينات والزرير وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلمهم يتفكرون﴾^(١) .

فمهمته ﷺ بيان ما نزل اليه . ويقول الحق في آية أخرى : ﴿ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه﴾^(٢) فنسب البيان الذي وكل به ﷺ الى أنه على الله فلو لم يوجد بيان من السنة لما جاء في القرآن لتخلف ذلك الوعد ، فالإيمان ببقاء سنة عن الرسول عليه الصلاة والسلام معجزة من باطن معجزة القرآن . .

وقول الله ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب﴾^(٣) يدل على أن للرسول ﷺ عملا مع القرآن وما دام له عمل مع القرآن فلا بد أن يقوله أو يفعله أو يقره وهذا لمن عاصره ، ومن لم يعاصره مطلوب منه أيضا أن يأخذ ما أتى به الرسول ﷺ ولذلك لا بد أن يبقى قوله أو فعله أو اقراره ، واذا كان الرسول ﷺ قد بلغ عن الله ثلاثا وعشرين سنة وكلامه وفعله وفعاه الغير أمامه واققراره حديث ، فبالله ليقبل المتشككون في الحديث كم يجب أن يكون الرسول ﷺ قد ترك من حديث ؟! وفعله وقوله

(١) الآية ٤٤ في سورة النحل

(٢) الآيات ١٧ : ١٩ في سورة القيامة .

(٣) من الآية ٧ في سورة الحشر .

وفعل غيره وقوله أمامه حديث طويل ثلاث وعشرين سنة ١١ .

إذا فلو استعرضنا ما بقي لنا من صحيح الحديث بما كان يجب أن يخبره من حديث رسول الله ﷺ لوجدنا أن ما بقي دون ما كان يجب أن يكون . . فقد تركنا الكثير حتى نصحح المقاييس والمصافي التي نأخذ عنها ما قاله رسول الله ﷺ . . ولئن يترك شيء مما قاله خير من أن يدخل على حديثه شيء مما لم يقله والذين أرادوا (بكلمة حق أريد بها باطل) أن يكون مرجعنا في كل أمر إلى القرآن فقط فعليهم أن يوجدوا لنا في القرآن تفاصيل أركان الاسلام فقط . . لا أقول كل تعاليم الدين .

ان هؤلاء الذين أسرفوا على أنفسهم واجترأوا على هذه الفرية هم بأنفسهم ويقولهم هذا شهود على أن حديث رسول الله ﷺ المصطفى صادق النسبة إليه لأنه قال عن هؤلاء أيضا أحاديث فلو لم يقولوا ذلك لما وجدنا من الواقع مصداقا ذلك لما قاله رسول الله ﷺ من حديث فقد قال : يوشك رجل يتكلم على أريكته يقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال حللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه الا وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله . . فلو لم يكن هؤلاء قد افترؤا هذه الافتراءات لشككنا في حديث رسول الله ﷺ إذا فقولهم هذا دليل على صدق ما يدعون كذبه .

قيمة الحياة والموت

دائما رأي الاسلام هو فصل الخطاب في أي أمر يتناقض فيه النقاش وتتعارض فيه الآراء . . فالحياة في نظر الاسلام كما أقول دائما أهم من أن تنسى ولكنها أتفه من أن تكون غاية وقول الله . . ﴿ولا تنسى نصيبك من الدنيا . . ﴾^(١) يدل على الشق الأول وقوله ﴿اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة . . ﴾^(٢) تدل على الشق الثاني ، واذا كنا نقصد بالحياة هذا الوجود المحس وما عليه من حركة قهرية تسخيرية أو حركة ارادية تخييرية فان الحياة دائما هي محور الحركتين الحركة التي تحدث بدون ارادة منهم أو اختيار ، والحركة التي تحدث منهم بالارادة ومرجحاح الاختيار . . واذا كانت كل الأجناس ما دون الانسان تعمل في خدمته فليس من المعقول أن تكون الأجناس الخادمة أطول عمرا من السيد المخدم وعلى ذلك يجب في عرف العقل والمنطق والتدرج في الحلقات أن يكون الانسان أسمى موضوع في هذه الحياة وأن كل ما عداه في خدمة ذلك الانسان .

والذين يتكاسلون في الحياة الدنيا ولا يعبأون بها ويضعون كل اهتماماتهم في الحياة الأخرى الموعودة نقول لهم : ان الحياة الأخرى الموعودة السعادة فيها على قدر توفيقك واخلاصك في حركة حياتك الأولى ، والأخرة ليست موضوع الدين ولكنها جزء على موضوع الدين والجزاء على الشيء غير موضوعه فيجب أن نقول لهم إن الدنيا والحركة فيها هي موضوع ذلك الدين لذلك يجب أن تكون الدنيا مهمة بحيث لا تنسى ولا تهمل .

والذين يقولون بأن الدنيا هي الغاية ولا شيء بعدها نقول لهم : ما ذنب الذين يشقون حياتهم الدنيا ليسعدوا سواهم أين يكون جزاؤهم ان لم تكن الا هذه الحياة

(١) من الآية ٧٧ في سورة القصص .

(٢) من الآية ٢٠ في سورة الحديد .

الدنيا؟ . . لو نظرنا هذه النظرة لكان هؤلاء الذين يشقون لاسعاد غيرهم هم أحق الحمقى لأنهم فوتوا على أنفسهم موضوعا واحدا هو الدنيا ولا عوض له في شيء اسمه الآخرة . .

وقضية الموت في نظر الاسلام قضية تمد الواقع بأصل عقدي ، فالموت في نظر الاسلام واقع يجب أن يكون حتى يحقق الخطوة الجزائية فيما بعد الموت . . وواقع الموت يشهد بأنه لا مقياس له ولا ارتباط بزمان ولا بمكان ولا بحال مما يدل على أن سبب الموت هو خالق الوجود . . خالق الموت . . والموت من دون أسباب هو السبب ولذلك لا يتوقف على عمر ولا على صحة ولا على سبب مرثي أو غير مرثي فقانون الموت هو اللاتقانون من حيث المكان والزمان وهذا أوقع في نفس الذين يتربص بهم الموت وان غفلوا هم عن الموت لأن عدم ارتباطه بواحد مما تقدم يحتم على الانسان الحي أن يتوقعه في أية لحظة وتوقعه في أي لحظة يتطلب حتما الاعداد له دائما بحيث يكون الانسان مستعدا لاستقباله واذا كانت الحياة أول صفاتها الغرور فيجب أن يندفع هذا الغرور بأنه استبقاء أمر غير مطمئن اليه ولا موثوق به ولهذا يجب أن يستقبل الحي الحياة باليقين فيما ينقص هذه الحياة وهو الموت ولهذا نجد الحق سبحانه وتعالى يقول ﴿الذي خلق الموت والحياة . . ﴾^(١) حتى يستقبل الانسان الحياة وقبلها ما ينقص هذه الحياة وهو الموت الذي هو حصانة للانسان من الغفلة ومن الغرور .

ونظرة المؤمن للحياة والموت يجب أن تكون نظرة التساند لا نظرة التعاند ، ونظرة التعاضد لا نظرة التعارض ، لأن الحياة الدنيا في نظر الايمان حياة موقوتة وحياة هي موضوع المحاسبة وما دامت موضوع المحاسبة فيجب أن يفسح الموضوع لحال المحاسبة . (والحساب يأتي بعد الموت الذي يأتي في نظر الاسلام استكمالا لقضية الحياة وتعلية أيضا لهذه الحياة ، وأعني بذلك أنها الطريق الوحيد الى الحياة الخالدة السعيدة . . فبعد أن كانت حياتنا الدنيا مبنية على حركتنا نحن في الأسباب ستكون الحياة الأخرى نتيجة لاستخدامنا الأسباب ولكن طواعية لأمر الله ولكل ما نشتهي دون تعب أو نصب الا أن تنعم) . . .

(١) من الآية ٢ في سورة الملك .

إذاً، فالموت ينقلني من الحياة التي تتطلب مني نصيباً وجهداً إلى حياة لا تتطلب مني في تحقيق مطلوبات النفس إلا أن يمر الخاطر بالنفس ، فلو لم يكن هناك موت لفاتت الحياة الأخرى بما فيها من راحة للمؤمن وظل على حياته الشاقة المتعبة الناصبة .

المساواة بين الرجل والمرأة . . خرافة أم حقيقة ؟

لا يختلف الناس حول قضية جنس يتنوع الى نوعين لأن هذا شيء واقع في كل ما يقع عليه الحس من نبات وحيوان وانسان وأيضا في الجماد ، فكل شيئين ينشأ عنهما شيء ثالث لا بد أن يتزاوجا لينشأ عنها التكاثر وذلك في النبات والحيوان والانسان أمر واضح ، وفي الجماد في دائرة ما عرفنا منه لا بد من موجب وسالب ففي الكهرباء مثلا موجبان لا ينتجان وسالبان لا ينتجان بل لا بد لايجاد الشرارة من موجب ومن سالب وذلك أمر سيصل اليه البحث فيه الى كل ألوان الجماد التي لا نحس فيها حركة الآن وان كان له حركة في الواقع فالجنس اذا انقسم الى نوعين لا بد أن تكون هناك أشياء مشتركة يجتمع فيها النوعان كجنس ولا بد فيها من أشياء مختلفة يفتلق منها النوعان والا لكانا نوعا واحدا فلو لم يوجد لكل نوع خصائص تميز عن النوع الأخر لما انقسم الجنس الى نوعين .

فالزمن وهو ظرف للأحداث ينقسم الى نوعين الى ليل والى نهار فلو لم يكن لكل من الليل والنهار خواص لما انقسم الجنس (الزمن) فالليل يعني الظلمة والسكون والنهار يعني النور والحركة وهما متكاملان في نظام الكون وعملية الحياة لذلك يلفتنا الله في قضية انقسام الجنس الى نوعين والى أهمية ذلك الانقسام وضرورته بقوله سبحانه ﴿قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة . . من الا غير الله يأتيكم بضياء اللات تسمعون﴾ (١) فمعنى ذلك أن لنوع الزمن وهو الليل مهمة ونوع الزمن وهو النهار مهمة ولو حاولنا التسوية بينهما لزال الحكمة من وجودهما وعلى هذا الأساس فالانسان جنس ينقسم الى نوعين : ذكر وانثى لا بد أن يكون لكل نوع خواصه وخصائصه بحيث لو سوينا أحدهما بالآخر زالت الحكمة في التنوع ، فالانسان كجنس له أمور يشترك فيها النوعان ، لذلك فان طلب

(١) الآية ٧١ في سورة القصص .

المساواة بين النوعين احالة لأن لكل منهما خواصه ومميزاته . . ومن العجيب أن نطلب
المساواة بين نوعين قالبهما مختلف وتكوينها متباين لا أقول معنويا فحسب ولكنه تباين
عضوي موضوعي حتى في تكوين ذرات جسميهما وفي الظواهر التكوينية لمراى كل منهما . .
والذين ينادون بمساواة المرأة بالرجل . . لم لا يقولون بمساواة الرجل بالمرأة ؟ يطلعون من
المرأة أن تقوم بعمل الرجل فكان من الواجب أيضا أن يطلبوا للرجل القيام بعمل المرأة والا
جاروا على مبدأ المساواة التي يطلبونها ، فاذا قامت المرأة بالعمل المطلوب من الرجل وظلت
هي بعملها الخاص الذي لا يؤدي الا من جهتها . . لكان معنى ذلك القاء حمل جديد على
المرأة . .

وهكذا فهم لا يطلبون مساواتها ولكن يطلبون غبتها وظلمها فلرأنصفت المرأة نفسها
لرأت في الذين يطلبون مساواتها بالرجل فيما تمنح اليه فكرة المساواة خصوصا لها ، ولو
أنصف الذين يطلبون مساواتها لطلبوا لها أن تزاو كل أعمال الرجل والا يقتصر طلب
المساواة على الأمور الهينة اللينة غير الشاقة ولا المجهدة ولا المتعبة .

تسع زوجات وأربع . . لماذا ؟

لم يبيء الاسلام بمبدأ التعدد لأنه جاء والتعدد أمر قائم في الصلة بين الرجل والمرأة ، فقد كان التعدد قائما قبل الاسلام بلا حد فكأن الاسلام جاء بحد التعدد وقصره على أربع بالنسبة لغير الرسول حتى أن الرسول خاطب من كان عنده أكثر من أربعة بقوله (أمسك أربعا وفارق سائرهن) مما يدل على أن الواقع كان أكثر من أربع فالذين لا يفهمون هم الذين يرمون الاسلام بأنه جاء بالتعدد والحق أنه جاء بوضع حد للتعدد ، ولكن خصوم الاسلام ينتقلون الى شيء آخر ، وهو أن الرسول لم يلتزم بقوله (أمسك أربعا وفارق سائرهن) .

ان امسك الأربع استبقاء لحقوقهن الزوجية كلها ولكن مفارقة البقية هي التي تحرم عددا من النساء من زوجية كانت قائمة ، ولكن هذا الحرمان يقطعه الا تمنع أي امرأة من هذا النوع من أن تجد لها زوجا آخر في حد الوحدة أو الأربع .

ولكن بالنسبة للرسول ﷺ لو أنه أمسك أربعا وفارق خمسا لأن زوجاته وقت هذا التشريع كن تسعا وزوجات الرسول أمهات المؤمنين ويحرم على أي مؤمن أن يتزوجهن فمعنى ذلك أنه سيفارق خمسا لا الى عوض ، لهذا استبقى الله كل نساء الرسول ساعة التشريع له ويلاحظ أن الرسول ﷺ لم يستثنه الله عددا ولكن استثناه معدودا ، بمعنى أن الرسول ﷺ عنده تسع بخصوصهن بحيث لومات واحدة أو متن جميعا لا يحل له أن يتزوج فانه يقول ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن . . ﴾ (١) .

إذاً ، فللرسول ﷺ هؤلاء المعدودات بذواتهن ، وليس له عدد تسع بحيث إن طلق

(١) من الآية ٥٢ في سورة الأحزاب

يستكمل ، أو ان توفيت واحدة يستكمل ، فالرسول ﷺ لم يوسع عليه في ذلك كما يظن
حمقى الخصوم وانما ضيق عليه فللواحد من أتباعه أن يدير عدد الأربعة فيما يشاء من
معدودات بالموت أو بالطلاق .

ومن الدعاوى الكاذبة التي يروجها الذين يحاولون أن يدخلوا على المرأة بطريق أن
الاسلام هضم حقها في الميراث وفاتهم أن يعرفوا ان ذلك خاص بالأخت مع الأخ ويجب أن
يتنبهوا الى أن الاسلام كان يجب أن يسأل سؤالاً عكسياً :

لماذا حابى الاسلام المرأة في الميراث!؟ لأن المرأة لا تكلف في أمر معاشها شيئاً
والرجل هو المسؤول عن التزامات هذا المعاش فحين تأخذ الأخت نصف نصيب أخيها
فإنها ان ظلت بدون زوج فذلك كافئها ، وأخوها سيتزوج امرأة يعولها وان تزوجت هي
فستذهب الى رجل يعولها ويظل ما ورثته بدون التزام مصرفي .

فلو نظرنا الى قضية الاسلام في ذلك وجدناها قضية عادلة ، فالابن ذو الحظين
مطلوب له امرأة يقوم بكل التزاماتها والبنت ذات الحظ الواحد ستكون في رعاية رجل لا
يكلفها من أمر الحياة أي شيء اذاً فكان من الواجب أن نسأل لماذا حابى الاسلام المرأة . .
لا لماذا هضم حقها . .

الاسلام

الاسلام .. يقتضي مسلما ، ومسلما له ، ومسلما فيه ..

والمسلم : هو الذي يسلم أمره ، والتسليم لا يكون للمساوي أبدا ، ولكن لمن هو أعلى وأقوى . فحين أبني بيتا أسلم نفسي لمهندس ، وحين أمرض أسلم نفسي لطبيب .. وهكذا ، ولذلك يجب أن نسلم زماننا لمن اتفقنا على أنه لا إله الا هو ، وما دمننا أسلمنا له يجب أن ننفذ كل ما يأمر به . وهذا هو الاسلام .

والمسلم اليه : هو الله القادر على كل شيء .

والمسلم فيه : هو حركة الحياة .

والاسلام لله .. انما جاء نتيجة الايمان بأنه جل شأنه له الكمال المطلق ، ومستغني عن البشر ، لأن من شروط المسلم اليه ألا يعود عليه نفع من هذا الاسلام ، ولو عادت عليه منفعة ، لشك المسلم في قدرته . فالعطاء من المسلم اليه ، يجب أن يكون عطاء المستغني .

الاسلام اذن هو الانقياد السلوكي لأوامر الله .

التقوى

قد تورث بعض الآيات القرآنية الخاصة بالتقوى خلطاً لدى العقل البادى . . فكيف نجيب - مثلاً - الآية قائلة ﴿ . . واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ﴾^(١) ، ويأتي في نفس السورة ﴿ . . فاتقوا النار . . ﴾^(٢) ١٩ فكيف تجتمع التقوى مع الله . . ومع النار ١٩ .

ان التقوى تعني اتخاذ الوقاية من شيء لا يقدر الطرف الآخر على مواجهته ، وعلى هذا النحو يمكن فهم تقوى النار ، ولكن كيف نتقي الله ؟ بمعنى أن نجعل بيننا وبين الله وقاية المفروض أننا نكون في معية الله دائماً ، وتوضيح ذلك . . ان الله سبحانه له صفات جماله وصفات جلاله . . صفات الجمال : مثل الغفار والرحيم ، والجلال : مثل القهار ، وذو البطش الشديد .

مع صفات الجلال يجعل الانسان بينه وبينها وقاية لهوانه أمامها ، ولأن من متعلقاتها النار بأهوالها . وبذلك تتفق التقوى في الحالين . . تقوى النار : التي هي من متعلقات صفات الجلال ، وتقوى الله : اذ يجعل الانسان بينه وبين صفات جلال الله وقاية . . . اذن فالمعنى واحد .

وحيث يلتزم الانسان بالتقوى لا بد أن يمثل للأوامر ، ويمتنع عن النواهي ، لأنها - أي التقوى - تدفع الانسان الى مخافة الله القهار .

(١) من الآية ١٩٤ في سورة البقرة

(٢) من الآية ٢٤ في سورة البقرة

الاحسان

الاحسان : يقال أحسن (فلان) . . هذا من الناحية اللغوية ، أما شرعا فلا يقال في الزكاة (أحسن) ، لأن (أحسن) تقال حين يعمل الانسان عملا فاضلا ليس مأمورا به ، ويقول الله تعالى : ﴿ان المتقين في جنات وعيون . آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين . كانوا قليلا من الليل ما يهجعون . وبالأسحار هم يستغفرون﴾ . حين يهجعون ويستغفرون انما يفعلون ذلك تطوعا منهم وليس كفرض مفروض عليهم . ثم يستطرد القرآن ﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾^(١) ولم يذكر هنا كلمة (معلوم) بعد (حق) لأنه ليس بفرض .

مقام الاحسان - هذا هو مجاله - ان تفعل أمورا ليست فرضا عليك ، والاتقان في ذاته احسان أيضا . ومثالا على ذلك : الموظف الذي يلتزم بمواعيد العمل ، ولكنه قد يفقد روح الاتقان ، وعندما يتقن الموظف عمله يعد ذلك امتيازا ثانيا فوق امتياز الالتزام بالمواعيد .

فمرة الاحسان يعطي الشكل ، ومرة أخرى يعطي الموضوع .

وبذلك يكون للاحسان مرتبتان : الأولى : أن يقوم الفرد بفوق ما افترض عليه ، والثانية : مراقبة المكلف بالعمل مراقبة دقيقة ، بحيث يتقن العمل كأنه يرى المكلف ، فان لم يكن يراه فهو مرئي منه .

(١) الآيات ١٥ ، ١٩ في سورة الداريات .

العلاقة بين المفاهيم الثلاثة

من غير المفهوم وضع خطوط فاصلة تعزل بين كل من المفاهيم الثلاثة :
الاسلام والتقوى والاحسان . لأن التداخل بينهم لا يمكن التغاضي عنه . فمثلا
لسان حال المحسن يقول : يا من آمنت بك وكلفتني . . أنت رحيم بي ، كلفتني دون
ما تستحق ، ولذلك سأفعل فوق ما أمرتني به ، ولعل الترابط هنا واضح بين الايمان
والاحسان .

والارتباط وثيق بين الثلاث مراتب على هذا النحو : يوجد اسلام لمن أسلمت
له قيادك ، فتنقاد لأوامره ، وتمتنع عن نواهيه ، لتؤدي ما افترض عليه خشية منه ،
ثم تزيد في ذلك مرحلة . . أن تتطوع بشيء لا تعاقب على تركه .

الشرك

الشرك يعني وجود الله مع اثبات الشركاء معه وهو على نوعين . . أولهما :
افتراض اتفاق الالهين ، والثاني : اختلافهما .

الأول : هو اشتراك الإثنين في شيء واحد ، أو اجتماع المؤثرين على أثر واحد
فمثلا : توجد قطعة حديد والاثنان كل منهما يستطيع حملها بمفرده ان اجتمعا على
الحمل في حدث واحد ، صار ذلك تحصيل حاصل من كليهما تجاه الآخر وان اتفقا
على أن يساعد كل منهما الآخر في حمل قطعة واحدة . . بحيث يحدثان حدثين منفصلين
تصبح النتيجة عجز الأول فيما يحدث الثاني ، وكذلك عجز الثاني فيما يحدث الأول .

الثاني : ان كانا مختلفين تتحول المشكلة الى افتراض هل ينفذ الحدث أم لا
ينفذ ، والحدث ذلك اما موجود أو غير موجود يريد أحدهما وجوده ، والثاني لا يريد ،
وان وجد صار ذلك هزيمة لمن لا يريد وجوده وان لم يوجد صار ذلك هزيمة لمن يريد .

وبذلك يمتنع الشرك بكل صوره ﴿ . . وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله
بما خلق ولعلنا بعضهم على بعض ﴾^(١) لأنه لو حدث ذلك الاضطراع ، لأصبح هناك
إله عال ومعلو عليه . ثم قد يتبادل الاثنان الموقعين في اضطراع آخر مما ينتفي مع
الكمال المطلق الذي يتصف به الخالق . فهؤلاء الشركون المساكين حين يرون شيئا له
فاعلية في الكون مثل الشمس عليهم أن يدركوا أنها مسخرة لله . لأن العبادة معناها
اتتمار العابد بأمر المعبود . ومحورها هو اتباع منهج المعبود . فالذي يعبد الشمس
نسأله : ماذا قالت لك الشمس لتفعله ؟ ستأتي الاجابة بالنفي قطعاً ، فمن أين
للشمس بمنهج يسير عليه عابدها ؟ لقد عبدها الشرك كمظهر القوة . وفي ذات
الوقت ، هي عابدة لله لأنها تسير وفق منهجه الذي ارتضاه سبحانه لها والمتشمل في
النواميس الكونية التي تخضع لها .

(١) من الآية ٩١ في سورة المؤمنون .

الفسق

الفسق معناه في الأصل خروج الرطوبة عن قشرتها . . أي ان البلحة حينما تنضج ، تسمح لأشعة الشمس بتبخير السوائل بداخلها فتقل حجم الرطوبة عن القشرة ، ثم تخرقها بعد ذلك . فسمي الخارج عن المنهج الذي أرسله الله . . فاسق . أي خارج عن السياج المضروب له ، وركيزته : افعل ولا تفعل ، والذي يضاد ذلك فيفعل حيث ينهى عن الفعل ، ولا يفعل حيث يؤمر بالفعل . . يعد فاسقا خارجا عن أمر الله . .

وهنا تحفظ يجب مراعاته ان الفسق ينقسم بقسمين أولهما : فسق في الأصول وثانيهما في الفروع . . فيكفر الأول ، ولا يكفر الثاني .

الرياء

الرياء : فساد الرياء أنه توجيه العمل لغير مجز عليه فالمرائي يبحث عن جزاء أدنى من الأصل ، ويمكن أن تشبعه مجرد كلمة من انسان اخر . . تأثيرها وقتي محدود . وذلك نتيجة عدم استصحابه ضخامة الجزاء الذي وعده به الله ، فيبحث عن دفع شر عاجل أو جزاء عاجل : مثل ابعاد نفسه عن شبهة عدم التدين ، أو لجلب الاحترام والوضع المميز بين الناس .

وهذا جزاء واه ضعيف أمام الجزاء الأبقى الذي أعده الله لعباده المخلصين ، فالرياء جوهره : الحمق في تقدير الجزاء . والمرائي في نظر الشرع - بالرغم من ذلك - مسلم ، اذ يقول الله : ﴿ . . يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا ﴾^(١) وبذلك لم يجردهم الله - سبحانه - من ذكره .

(١) من الآية ١٤٢ في سورة النساء .

العلاقة بين المفاهيم الثلاثة

مدلول الثلاثة مفاهيم يدور حول كلمة الاله ، فمن يؤمن بالله مع غيره . .
مشرك ، ومن يخرج عن حدود المنهج . . فاسق ، ومن يعمل لمن لا يجزي . . مرائي .
بمعنى آخر . . الشرك : إله مع غيره ، والفسق : تعد لحدود الله ، والرياء :
العمل لغير الله .

هي اذن مفاهيم ثلاثة علاقتها بلفظ الإله علاقة متنافرة .

ليل ونهار

القرآن كله حينما يتكلم عن الليل والنهار . . يتكلم على أن الليل والنهار خلفه ، وأنها آيتان من آيات الله ، ولكل واحد منهما مهمة ، فالليل لتسكنوا فيه ، والنهار لتبتغوا من فضله ، وحيث يوجد نهار تنبعث الحركة ، وحيث يوجد ليل ينتشر السكون .

ماذا يحدث الآن في هذا الصدد ؟! ما يحدث هو أن الناس قلبت المعايير . فحينما تدخل الكهرباء قرية من قرى مصر - مثلا - وما يصحبها من مظاهر . . يقولون : إن الحضارة دخلت هذه القرية ، وخاصة حينما توغل القرية في السهر ، وفي الاعتداء على فترة السكون . كيف يسمون هذه حضارة ؟! ان مثل هذا الاعتداء يضر بكل ألوان النشاط في القرية . . لماذا ؟ لأن كل ما يعمل لا بد له من فترة راحة .

بالنسبة للانسان هذا أمر واضح . فالراحة ليست للقضاء على الحركة وإنما لتصعيدها وتنميتها واستبقائها . كل ما يخالف ذلك يعني مخالفة النظام الذي وضع للمخلوقات .

لنا اذن أن نقرر أن ابتغاء الفضل يكون في فترة الحركة : وهي النهار ، والراحة في فترة السكون : وهي الليل ، وهي فترة ضرورية لأن الانسان - على سبيل المثال - له ادراكات كالأنف للمشمومات ، والأذن للمسموعات . فكل حاسة لا بد لها من فترة راحة . فالأنف إن ظلت تشم عطرا على الدوام ، ستفقد القدرة على الشم عند مرحلة تتعطل فيها آلتها ، فلا بد لها من فترة راحة لتأخذ هواء نقيا .

والآن ماذا يخيف علماء العالم . . ؟ ما يخيفهم هو أن العالم مهدد بالصمم . . لماذا ؟ لأن الأذن في حالة استقبال مستمر .

فكل الذي يعمل لا بد له من استجمام . . أي طلب الراحة للعمل ، والخالق ارتضى لنا الليل للسكون والخلود للراحة ، والنهار لنضرب في الأرض .

يوم أن تضطري الظروف الى عكس هذه القضية ، لا بد أن يكون هذا ظرفا استثنائيا وليس قاعدة ، وقد يتعرض الفرد لذلك بحيث يستيقظ في الليل لمداواة مريض ، فيضطر الى النوم نهارا . وقد يتعرض النوع لذلك : أي أناس مهمتهم تقتضي الاستيقاظ ليلا كالحراسة الليلية . هاتان الحالتان ليستا بقاعدة ، ويجب أن يعلم أننا نعكس الحياة لهؤلاء . . فلا بد من تعويضهم حتى لا يستمروا هكذا على الدوام ، لأننا بذلك نعكس لهم قضية وجودهم وانسجامهم مع الكون ، ولذلك نلاحظ وجود نظام (التناوب) في القيام بهذه المهام الاستثنائية ليتمكن أهلها من العيش بين الحين والآخر متحركين في نهارهم ، وساكنين في ليلهم . . متسقين بذلك مع نظام الكون من حولهم . .

ومن الأخطاء التي ترتكب اليوم خروجنا على طبيعة كل من الليل والنهار ووظيفتهما . . الأسلوب المتبع في العمارة القائم على حجب ضوء النهار الطبيعي ، والاستعاضة عنه بالضوء الصناعي . . بصرف النظر عن الأضرار التي يمكن أن تحدث فيما بعد . وفي هذا تشابهت الحضارة الحديثة بـ (المنبت) : الذي لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ، فيجهد دابته جهدا مميّتا للوصول الى غايته . . بغض النظر عن استخدامها في أغراض أخرى . لذلك لا بد للدابة من فترات راحة تتخلل هذا الجهد لتكملة المسير ، ثم لقضاء سائر حاجات صاحبها . هكذا الحضارة الحديثة - في كثير من جوانبها - لا تكتثر للعديد من الأخطاء والأضرار التي تنجم عن المكتشفات والمخترعات المستحدثة .

الانسان والمخلوقات

ان الانسان وسط الوجود المحيط به بمثابة (السيد) فالكل في خدمته ، وهو لا يخدم أحدا . الكل مسخر له ، وهو غير مسخر لأحد . . وان كان - في ظاهر الأمر - يخدم بعض المخلوقات ، فهي خدمة ظاهرة تعود له في النهاية . . مثل رعايته للأرض والحيوان . وكل شيء يصب في خدمته اما بالمباشرة واما بالواسطة . . الجماد يعطي للنبات والحيوان والانسان ، والنبات لا يعطي للجماد ويعطي فقط للحيوان والانسان ، والحيوان يعطي للانسان .

الانسان يأخذ من الجماد والنبات والحيوان مباشرة ، ويأخذ أيضا من كل هذه بالواسطة . . فان أخذ النبات من الجماد شيئا يعود النتاج في النهاية للانسان وهكذا الحال مع الحيوان حين يأخذ من النبات .

الوجود - على هذه الصورة - يمكن تقسيمه الى سيد ومسود . . خدام ومخدوم ، والانسان لا يستطيع الادعاء انه صنع هذه الأشياء المسودة لتخدمه ، لأن فيها أمورا كثيرة لا تدخل تحت طاقته ولا قبل له بها ، وهي تؤدي له خدمات قبل أن يوجد له عقل يفكر ، و طاقة تفعل . .

لا بد اذن أن يبحث الانسان عن قوة أكبر منه ومن المسودات جعلتها جميعا مسخرة له . . فيبحث عن سيد له هو الآخر . ان لم يفعل ذلك ، أصبح تافها ، لأن المخلوقات جميعا لها مهمة فيما عداه . . لا مهمة له ، كل هذا التسخير . . يجب أن يدفع الانسان للبحث بعقله عن المهيمن على الكون ، وهذا البحث هو بداية الاستدلال ، واذا ما جاء للانسان خلال رحلة البحث . . رجل شق عليه صمته ليخبره عما يبحث عنه ، يجب عليه أن يرهف له السمع ، وأقل قواعد الذوق أن الانسان - ذلك الصنعة - لا يحدد مهمة نفسه ، لأن الصنعة لا تحدد مهمة نفسها ، ولا

يحدد أحد مهمتها الا صانعها ، هنا يقع أول غلط للانسان بأن حدد مهمة نفسه ،
واذا فسدت الصنعة لا يصح القول : ان يا صنعة أصلح نفسك ذاتيا ، بل تعطيها
لصانعها لكي يصلحها ، فساد الكون اذن جاء من تحديد الانسان لمهمته . وقيامه
باصلاح نفسه حين تعطب ، بينما الصواب أن يقوم صانعه بهاتين المهمتين .

وبالاستقراء . . نجد أن الكون كله كما سبق ، مسخر لخدمة الانسان فهو
الغاية ، وأيضا الوسيلة : لأنه يتفاعل مع الموجودات لتعطيه نتائجها في النهاية ، وهل
هناك رحمة أكبر من ذلك ؟ أن يكون الانسان هو الغاية والوسيلة معا .

ويبرز هنا خطأ ثالث ارتكبه الانسان بمحاولته التفاعل مع هذه الموجودات ،
والتعامل معها من خلف أوامر منشئ الوجود وبعيدا عن الهدى النبوي . . في حين
أنه سخر للانسان الوجود من حوله .

الانسان اذن من خلق الله سواء آمن به أم لم يؤمن . والدنيا تعطي أكثر لمن
يحسن التفاعل والتعامل معها وفق قوانين الطبيعة . فلا نتعجب حين يأخذ الكافر
زهرة الحياة وامتعتها المادية . لأنه اتبع القوانين المادية المحددة لاستغلال الكون من
حوله ، ولكنه خاسر في الآخرة وحابط عمله .

مجال التزود من الدنيا مفتوح - على هذا النحو - لكل من يريد . . بشرط
اعمال الفكر في اطار قوانين الطبيعة ، وسعي الانسان في هذا المجال يستلزم طاقة
حركة نشطة ، وهو ما يتطلب فترات راحة .

العمل والراحة

ومن الحقائق المسلم بها ، ان كل ساعة عمل يقابلها ساعة راحة ، وقد اقتضت الحكمة الالهية تقسيم الزمن الى قسمين : الليل والنهار . . الاول للسكن ، والثاني للعمل ، ولكننا لا نحسن وضع الحركة في ظرفها الطبيعي ، ونعتقد بنقلنا مهمة النهار الى الليل . . اننا نحطم حواجز التخلف ، في حين يعد ذلك انتكاسا وارتدادا ، ويظهر هذا في النظم المعمارية الحديثة التي تعتمد الى حجب نور الشمس نهارا ، والاستعانة بالنور الصناعي بينها الضوء الصحي : هو الذي ينبعث مع عدم تعرض البصر لمصدره . . مما يتحقق في الشمس دون أي تدخل من الانسان . .

وفي المدن . . نلاحظ أن الليل يزدحم بالحركة مع توفير الضوء الصناعي كمناخ ملائم لها ، وذلك عنادا لسنة الله في خلقه .

ان محاولات البشر اصطناع وسائل حديثة لنقل مهمة الليل الى النهار وبالعكس . . تؤدي الى القضاء على الانسجام القائم بين الانسان والكون .

وباستعراضنا لما سبق في اطاره الانساني العام يتأكد لدينا أن استيقاظ الانسان مع قدوم النهار ، ونومه مع قدوم الليل . . قانون ينطبق على جميع البشر : مسلمين وكافرين . .

وحيث يصدع الداعي بأذان الفجر ، أخذاً المسلم من نهاية وقت سكونه ، وبداية حركته ، يكون ذلك بمثابة منبه للانسان : ان استقبل يومك بحركة مبرورة مبروكة . . بالاستجابة لنداء من خلقتك . فالاسلام يتسق مع طبيعة الانسان وامكانياته ، التي تدفعه الى الخلود للراحة ليلا ، والسعي والحركة نهارا . والمسلم . . ان رأى لديه بعض الوقت في فترة نومه وراحته له أن يتهدج وكانوا قليلا من الليل ما

يهجمون . وبالأسحار هم يستغفرون﴿(١)﴾ .

وما يجب أن يلتفت اليه العقلاء . . ان الفترة الواقعة بين آذاني العشاء والفجر . . كافية لتوفير الراحة والحيوية لمن بلغ سن الرشد - أي التكليف - فها هنا ارتباط وثيق بين الانسان . . ككائن قادر على الكسب والحركة ، وكمكلف فرضت عليه الصلوات الخمس . . ابتداء بالفجر وانتهاء بالعشاء :

فالله - سبحانه وتعالى - حين شرع نظام اليوم . . على هذا النحو ، قدر أن يكون ذلك الزمن كاف لراحة الانسان . . المتميز بسعيه للكسب ، وهو ذات الانسان المكلف بالصلاة . فكان النظام الزمني متسقا مع عنصري الحركة والعبادة .

يستتبع ما سبق ذكره . . ضرورة ابتداء اليوم - للانسان عامة والمسلم خاصة - مع آذان الفجر ، وانتهائه مع آذان العشاء ، وبذلك نصصح نمط الحياة اليومي تمشيا مع الفطرة ، تلك التي جاء الاسلام ليقرها .

(١) الايتان ١٧ ، ١٨ في سورة الداريات .

مقدمة لسورة الاخلاص

مقاصد القرآن ثلاثة : عقائد ، وأحكام ، وقصص .

وسورة الاخلاص أخذت الثلث الأول كله وهو العقائد التي تركز في الاسلام على التوحيد . .

ولتوضيح أمر التوحيد نقول : ان المناهج الموجودة على ظهر الأرض ، هدفها جميعا من وجهة نظر أصحابها ، تصحيح حركة الانسان بحيث لا يشذ عن الصواب ولا يخطيء في حركته .

وما دام الانسان ليس وحيدا في الكون ، فان أهم ما يصوب تحركه هو ألا تتعارض حركات البشر المختلفة مع بعضها ، لأن هذا التعارض يجعلها حركات متعارضة متعاندة لا متساندة .

وهذا التعاند هو سبب فساد الحياة . فلا يمكن بالتالي أن تتفق الحركات الا اذا كان الأمر بالحركات واحدا . .

فالوحدانية- بالضرورة- أساس استقامة حركة الحياة . . وفي الآية الكريمة : ﴿قل هو الله أحد﴾ نجد مدلولاً عميقاً لكلمة «أحد» ونستوعب هذا الفرق أكثر ، بالترفة بين كلمتي واحد ، وأحد .

فالواحد : فرد لا يوجد له نظير ، ولكنه قابل للتركيب من عدة أجزاء . وبذلك لا يكون « أحد » لأن الأحد غير مركب .

فالتركيب يعني أن الكل في حاجة الى الجزء الذي هو وحدته الأساسية .

وترتيب سورة الاخلاص بعد سور « الكافرون » و « النصر » و « المسد »

ترتيب ضروري .. لماذا ؟ .. لأن الأولى تقطع العلاقات تماما مع الكافرين .. كأن المنهج الذي نزل من عند الله على رسوله ﷺ ، عورض من الكافرين ؛ فكانوا يصرون على النقيض الذي هو الكفر والشرك ، واذن ، فلا تفاهم ..

ويلاحظ أن القطع ، جاء من قبل الرسول ﷺ ، مرتين بشكلين مختلفين : أولهما ﴿ لا أعبد ما تعبدون ﴾ والثاني ﴿ ولا أنا عابد ما عبدتم ﴾ وفي ذلك ترسيخ لمعنى التوحيد في الأذهان ، لأن الظروف قد تضطر الانسان الى قطع العلاقات في الوقت الحاضر ، ثم يعود مستقبلا تحت ضغط ظروف مغايرة ، الى اعادة العلاقات مرة أخرى ..

فأكدت السورة على قطع العلاقات مع الكافرين تحت أي ظروف ..

ويستفاد من معنى قطع العلاقات ، الاعتراف بوجود خصم ، وبدين هو عليه يعيش .. لكن أیظل الوضع هكذا فجاءت سورة النصر ﴿ اذا جاء نصر الله والفتح ﴾ مشيرة الى القضاء على الكفر ، وقد يعني ذلك أن كل الكافرين سيؤمنون بدين الله ، لذا جاء الاستثناء القرآني مؤكدا وجود كفار معاندين مثل أبي لهب يجاربون الدعوة . ولذلك كانت سورة « المسد » ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب .. ﴾ الثالثة بعد السورتين السابقتين ، لتستثني صناديدا من صناديد الكفر من الايمان . بعد ذلك تأتي سورة الاخلاص لتقرر حقيقة أن مصدر كل ما سبق من الآيات ، هو اله أحد ، فكل ما قيل هو كلام ثابت لا معقب عليه ، ولا تغيير فيه .

وبذلك ، انسجمت كل السور مع بعضها .

ونشير هنا ، الى تلك الدعوى الخاطئة التي تطالب بتغيير القرآن وجعله حسب نزوله لا حسب الترتيب الالهي الذي نزل به جبريل وبلغه لرسولنا الكريم ﷺ . . .
فالسور نزلت بترتيب تاريخي تبعا للحوادث . ولكن ترتيبها في القرآن جاء على نحو آخر وفقا لمنهج معين لمخاطبة الانسان ..

ومثالا على ذلك ، انني قد اذهب الى السوق لشراء أثاث المنزل فتقع عيني اول

ما تقع على المطبخ فأشتره ثم غرفة النوم فأشترها ثم غرفة المعيشة فأشترها . . وذلك لا يعني مثلاً أن المطبخ أهم في الترتيب من غرفة المعيشة أو النوم ولكن الظروف الجاتني الى الشراء بهذه الصورة عكس الترتيب الذي أتبعه عند ترتيب وضع الأثاث في الحجرات . . اذن هناك فرق بين ظروف تحدث قبل ظروف النزول تاريخيا ، وبين هيكل عام يتجمع فيه الحدث بقصد معين . .

تفسير السورة

ان الله سبحانه وتعالى ، ليس كليا له أفراد ، لأنه واحد . وليس كلا له أجزاء لأنه أحد . ا

فمعنى الكل : انه مركب من أجزاء تعطي كلا واحدا ، وكل جزء لا يقال له واحد ، وانما الأجزاء في مجموعها واحد مثل الشجرة مكونة من جذور وساق وأوراق . الخ . فلا يسمى الساق مثلا شجرة وانما مجموع هذه الأجزاء تشكل الشجرة في النهاية .

أما الكلي فيطلق على كثيرين متفقين في الحقيقة مثل : انسان وانسان وانسان . . فالكلي لا بد له من أفراد مستقلين أو وحدات مستقلة بذواتها كل منها يحقق معنى النوع مثل الانسان .

فالله جل شأنه ليس كلا لأنه أحد لا أجزاء له . . وليس كليا لأنه ليس هناك آلهة مثله . .

و ﴿قل هو الله أحد﴾ تنفي الأجزاء في ذات الله . لذلك ان قيل إن الأب والابن ممكن أن يكونا إلهًا ؛ فانها لن يكونا إلهًا أحدا لأن صفة الأحد تمنع تعدد الأجزاء .

و ﴿الصمد﴾ : أي المقصود ، وأصلها (المصمت) - لغة - أي الذي يتحمل الأعباء ، والصمد يقصد في تحقيق الأشياء .

ووحدة المقصود أو أحدية المقصود - مع تعدد القاصدين - تدل على أن للواحد كمالا مطلقا لا ينتهي . .

والله سبحانه وتعالى مقصود حتى ممن لم يطعه . . وهذا يدل على ذاتية

الكمال . . بدليل أن الانسان يخضع لناموس في ذات خلقه ، فتحمل به أمه ، ثم يخضع صاغرا للدورة التنفسية ، وتعمل الأعضاء بداخل جسمه بدون ارادة منه ، ويسري عليه قانون الحياة والموت . . كل هذا يعني الطاعة الاجبارية من العباد لله سبحانه وتعالى حتى الكفار منهم . .

وهذا انما يدل على جوهرية الخير في الحق جل شأنه . ولذلك السبب فالله غير قابل للأغيار ولا يفعل .

الحديث يجرنا هنا الى تناول ﴿الحمد لله﴾ من سورة الفاتحة ، لنستجلي الأمور حول النية والقصد . . فحين أقول : إن الكوب لفلان مثلا . . فابتداء أنا حكمت بوجود كوب ، فصار بذلك بديهية فوق مستوى المناقشة . وتبقى المشكلة فيمن يستحق الكوب . . كذلك حين نقول ﴿الحمد لله﴾ نعني أن الحمد قضية مسلمة معترف بها ، ولكن المشكلة هي : لمن يكون الحمد ؟ فهناك نعم كثيرة تستوجب الحمد ، والانسان مثلا يتمتع بنعم لم يخلقها ولم يوجدها بنفسه ، وخلقت بلا تدخل منه . فالحمد في منطق العقلاء يجب أن يكون موجودا كمحاولة للتعبير عن الشكر والامتنان مثلا . .

والحمد لله . . تدل أيضا على الحصر بأن تقدمت كلمة (الحمد) على (الله) فدللت بذلك على حصر (الحمد) (لله) .

وحتى لو لم نحصر الحمد لله وجعلناه للبشر ، اذا تتبعنا الأمر سنجد محصورا في الله أيضا ، لأن خالق البشر - المحمود - هو الله . ومن فضل الله أنه خلق لنا ما يعيننا على شكره . فهب أنه لم يوجد لنا صيغة مشتركة نحمده بها ، فقد يعطي ذلك الفرصة للبلبغ لكي يتفوق على الجاهل مثلا . .

وهل هناك حمد يتوجه للفضائل وحمد للفواضل . . ؟

انك قد تعجب بعمل بارع على الرغم من انعدام الفائدة بالنسبة لك ، مثل بناء هندسي محكم ؛ فهذا هو تقدير الفضل في ذاته . . وأما الفواضل فهو ما ينعم به

عليك وتلمس فائدته مثل تذوق طعام جيد . وهؤلاء الذين سلبوا بعض النعم مثل البصر ، وهم متعلقون بالله في ذات الوقت ، متعلقون بفضائل الذات وليس بفواضل النعم ا

حين نتناول الآية الكريمة ﴿لم يلد ولم يولد﴾ فيهما : ما يتعلق بمقام مولد الاله كما يزعم البعض . . وفي ذلك نزل القرآن لمعالجة مشكلة قائمة بالفعل مثل القول بأن المسيح مولود .

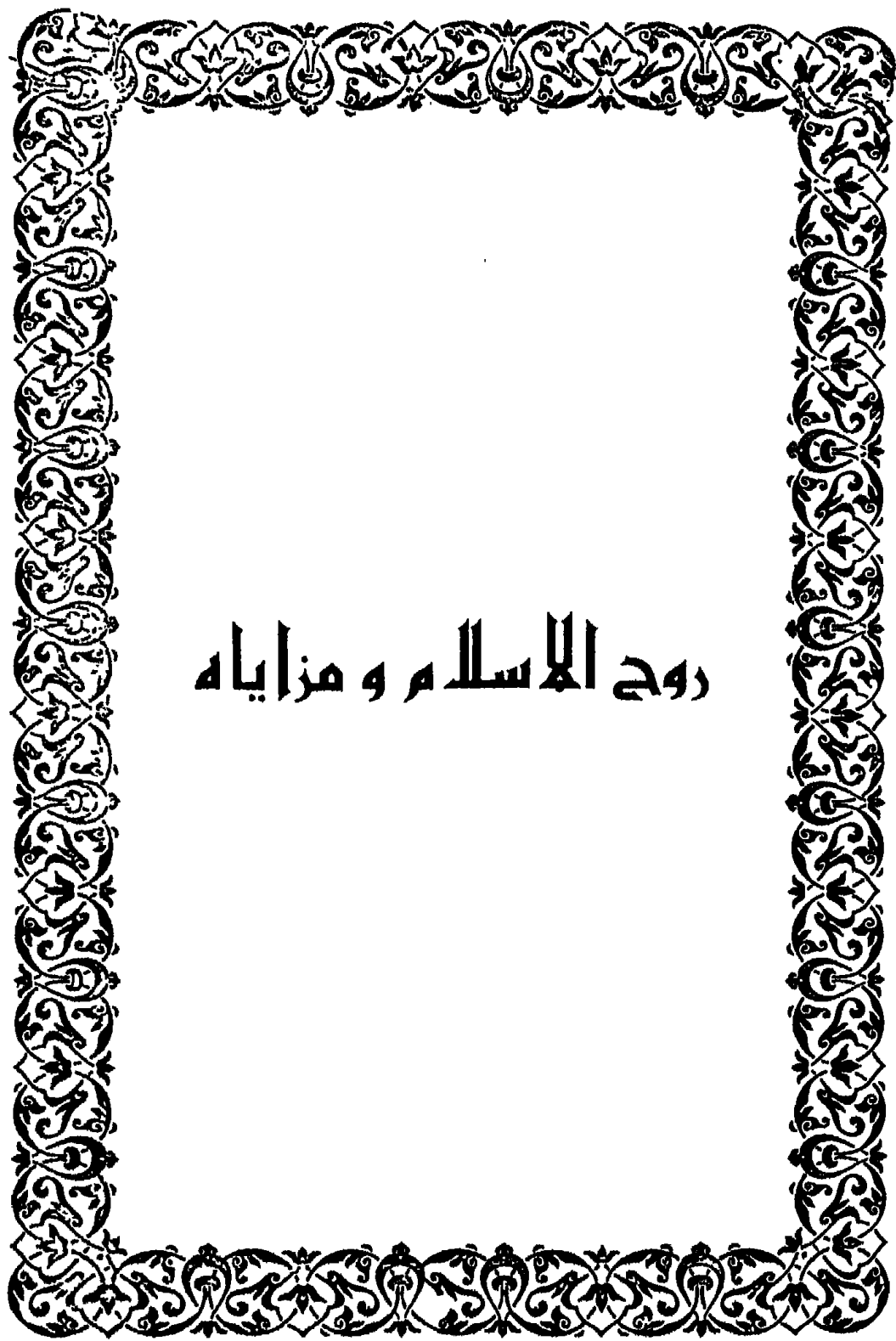
وحين تأتي طبيعة الاله مركبة من أكثر من جزء ، تتهدم دعوى الالهية لأن الأحد لا يتكون من أجزاء كما سبق القول . كما أن هذه الدعوى الباطلة كانت ستجد لها بعض الحجج لو وضعت نظريتها في آدم وهو من جاء بدون أب ولا أم فكان أليق إصباح هذه الصفة به . . وحيث لم تطلق عليه فكان ذلك أولى بالألا تطلق أيضا على عيسى ا

أما ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾ : فمن الجائز أن يسير الكون بعالم الأسباب ، وقد يفتن بعض الناس بالأسباب فتغنيه عن الله . . أتكون هذه الأسباب المخلوقة لها الكفاءة لمساواة خالقها . . ١٢ .

وإذا كان الله قد أعطى بعض خلقه قوة السببية في اتيان الأشياء ، فيجب الا يندع الناس بهذه الأسباب لأنها هي - في ذاتها - تنكر ذلك ، لأن عطاءه ذات وعطاء المخلوقين عطاء سببية ، وهو عطاء يمكن أن يسلب منهم . والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿أفأرأيتم ما تحرثون . أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . . .﴾ (١) .

والانسان يجب ألا يأخذ الأسباب ويدعيها لقوته ، ويستأثر بها لأنه هو ذاته مردود لله . . ألم يكن شابا وصار كهلا ؟ . . . ١٢ . . . فهو ذاته يخضع لهذه النهاية وهو في النهاية عائد الى الله خالق كل الأسباب .

(١) الأيتان ٦٣ ، ٦٤ في سورة الواقعة .



روح الاسلام و مزایاها

روح الاسلام :

أنظروا كيف استقبل الاسلام الرسالتين (اليهودية والمسيحية) هل حكم على كل اليهود بشيء يكون نقيصة فيهم . . أو حكم على كل النصارى بحكم من هذا القبيل ؟ .
بالطبع لا . . انه يعلم أن كثيرا من اليهود يملكهم الحق ، ويملكهم الدليل ولذلك قال تعالى :

﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ . (آل عمران ٧٥)

لقد أنصف الاسلام المؤمنين باليهودية وأنصف أيضا المؤمنين بالنصرانية . . لأنه لو قام على كل يهودي وكل نصراني بالحكم ضدهم لقال الذين تراودهم أنفسهم بالايان بمحمد تصديقا لما جاء في كتبهم عنه . . لقالوا : كيف يحكم محمد علينا مع أننا نفكر في أنه الحق . . ونحن نعلن ايماننا به . .

أي أن قول كل من القرآن والرسول منطقي مع واقع الناس جميعا ولم يظلم أحدا من أهل الديانتين لأنه أثبت أن منهم من يؤمن بالله وينفذ أحكامه ومنهم من لا يؤمن بالله ولا ينفذ أحكامه كالمؤمنين بمحمد تماما . . منهم من ينفذ أحكام الله ومنهم من لا ينفذها .
قضية الالتقاء :

ان القضية الالتقائية التي تمثل التقاء السماء بالأرض قضية متفق عليها بين الأديان . . ولذلك يجب أن يفطن أهل الديانات السماوية الى تلك القضية . .

فعلی الرحب والسعة ، وليسعهم كرم الاسلام ولتسعهم السماحة ما دام منهج المسلمين ومنهج الله محققا ولا يعنينا أن يخطئوا في تصورهم للقوة السماوية وهي الله . . فيصورونه بكذا أو كذا . . ما دام منهج الله قد أدى في الأرض . . والاسلام حين يحترم ذلك يحترم نفسه . فكما أن الاسلام أغلبية في أمتنا فهو في أمة أخرى أقلية . . وهو حين

يسود سماحة الاسلام ويقر حضانه من لا يؤمن بالاسلام يكون قد وضع الاسوة لأن تكون
أقليتنا في بلاد غير اسلامية محوطة أيضا بالرعاية والعناية والأمن وبالاحتياط على أقل تقدير
لا ديننا ، ولكن معاملة بالمثل . .

* * *

منهج الاسلام :

الاسلام انما جاء لسيطرة منهج الله سواء آمنت بالله أو لم تؤمن لأن ايمانك بالله لا يزيد
الله شيئا انما هو يريد أن يطبق منهج الاسلام ، ونحن نرى أن منهج الاسلام في أوليات
تطبيقه لم يجمال المسلمين - مثلا - أمام اليهود . . لم يجمالهم وانما جامل الحق الذي أنزله
الحق في كتاب الحق . . ومن الأمثلة مثال اليهودي الذي اتهم ظلما بسرقة درع لأنهم وجدوا
عنده درع مسلم مسروق . . فقالوا ان زيدا اليهودي هو الذي سرق الدرع . .

وقال زيد انه لم يسرق شيئا . .

لكنهم تتبعوا أثر الدرع الذي كان في جوال من الدقيق ، فوجدوا بقايا الدقيق
مستمرة الى بيت اليهودي . . فتبعوا سرب الدقيق حتى البيت . . ووجهوا لليهودي
الاتهام . . فدافع عن نفسه قائلا :

. - أنا لم أسرق شيئا . . وهذا الجوال أودعه عندي واحد من المسلمين .

وشاع الأمر وأرادوا أن يرفعوه الى رسول الله ، فالمسألة دقيقة . . فهناك مسلم هو
الذي سرق بينما الدرع وجد عند اليهودي . . ومال فكر المسلمين الى إنصاف المسلم على
اليهودي ظلما حتى لا يشمت اليهود بالمسلمين . . وقد تكون هذه الفكرة جميلة في ذاتها . .
فشاوروا الرسول في هذا الأمر وكان أن حسمه الله . . . يقول تعالى لرسوله ﷺ :

﴿إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين
خصيما ، واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيفا ، ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان
الله لا يحب من كان خوانا أثيما﴾ . (النساء ١٠٥ - ١٠٧)
فكان ان حكم بالأمر لليهودي على المسلم ، لأنه لو لم تتدخل السماء في هذه

القضية لا تهم الناس منهج السماء واتهموا المبلغ لمنهج السماء لأن كل نفس لها ساعة صفاء تعرض فيها الأمور عرضا سويا بدون شيء . . فيقولون كيف ظلم ذلك وكيف ظلم هؤلاء؟ .

اذن فسيكون الأمر تشككا في منهج السماء وفي المبلغ لمنهج السماء وتكون المسألة مسألة سيطرة قرة على قوة ، ولا يكون لمنهج السماء دخل . .

وحين ينزل الله ذلك القرآن على النبي ﷺ ، يكون ذلك دليلا على أن الله هو الحق ولا يمكن أن يؤيد غير الحق . . ولا يمكن أبدا أن يكون لرسول الله ﷺ ميل الى انسان اختان نفسه لأن الله لا يجب من كان خوانا أثيبا . . يقول تعالى :

﴿وما أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا﴾ .

(النساء ١٠٩)

ثلاث قضايا محسومة :

أنى الاسلام سمحا وعادلا ثم دعا الأديان الى كلمة سواء . . قال تعالى :
﴿تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله﴾ .
(آل عمران ٦٤)

فهل يجادل أحد من اليهود أو النصارى في هذه القضية ؟ ماذا نعبد اذن ؟ لا يمكن لأحد أن يجادل في : ألا نعبد الا الله ، وألا نشرك به شيئا . .

وهذه أيضا قضية لا يجادل فيها . .

ولا نتخذ اربابا من دون الله . .

وتلك قضية ثالثة . .

فأى قضية من هذه القضايا يجادل فيها . .

فقد جاء القرآن بثلاث قضايا لا يمكن لعاقل أن يجادل فيها . ويكون أمر الخلاف والحكم في الخلاف لمنهج الله وحده .
غيرة عمر وفتنة علي :

قال عمر رضي الله عنه في علي رضي الله عنه وكرم وجهه :
« بشس المقام بأرض ليس فيها أبو الحسن » .

ولهذا القول قصة .. فقد دخل صحابي - أظنه حذافة - على عمر فسأله السؤال التقليدي : كيف أصبحت ؟ ..

أجاب الصحابي : أصبحت أحب الفتنة ، وأكره الحق وأصلي بغير وضوء ولي في الأرض ما ليس لله في السماء .

فغضب عمر .. ثم دخل علي .. واذا رآه كذلك قال : مالي أراك مغضبا يا أمير المؤمنين .. فأخبره بما دار بينه وبين الصحابي ..

فقال أبو الحسن : صدق يا أمير المؤمنين ..

فتعجب عمر قائلا : أو تقولها يا أبا الحسن !! .

فقال : نعم .. أصبح يجب الفتنة .. يجب ماله وولده ..

﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ .

وأصبح يكره الحق .. يكره الموت ومن منا يحبه يا أمير المؤمنين !! .

وهو يصلي بغير وضوء .. على النبي ﷺ ..

وله في الأرض ما ليس لله في السماء .. فله زوجة وله ولد ..

وعندئذ قال عمر رضي الله عنه : « بشس المقام بأرض ليس فيها أبو الحسن » .

ومما سبق نتبين أن بعض الألفاظ تحتل معان متعددة .. وحين تطلق هذه الألفاظ

فإن الدهن يذهب الى معنى هو القمة من هذه المعاني .. فحينما يسمع الانسان كلمة الفتنة

لا يخطر على باله المقابلة بين حب المال والولد وبين الفتنة . .
وعندما يسمع الانسان « يصلي بغير وضوء » ينصرف تفكيره الى الصلاة .
فكان بعض الألفاظ تحمل معان عديدة . . والعقل المدقق والفكر المحقق هو الذي
يستطيع أن يقيس ما قيل على من قال . . فحين نسمع انسانا ورعا يقول : أصلي بغير
وضوء . . فصدور هذا الكلام من ذلك الرجل يجعلنا ندرك أن الصلاة هنا هي الدعاء . .
أو الصلاة على رسول الله ، ولا يكون المقصود بها الصلاة المختومة بالتسليم لأن الطهارة من
شروطها . .

اذن فالقرينة في صرف اللفظ الى معنى مقبول تتعلق بالمقابل نفسه . . وها نحن نرى
في المثل السابق . . كيف أن عمر رضي الله عنه وهو الذي انفعل ضد الكلمات أولا هو
نفسه الذي انفعل بها اعجابا بعد ذلك . . مما يدل على أن العقل مهمته هي التفكير والالتيان
بالأشياء المناسبة للمواقف . .

الجنود العشرة :

والشاهد أن سيدنا الامام عليا كان من المعروف عنه أنه قوي في الفتيا . . وأراد
البعض أن يمتحنوا قوة علي في الفتيا . . فطرحوا فيما بينهم سؤالاً مضمونه : أي خلق الله
أقوى من الآخر؟ . .

وجلسوا واجتمعوا وراح كل واحد منهم يدلي برأيه ولم تتفق الآراء على شيء الى أن
مر الامام علي رضي الله عنه فقالوا : يا أبا الحسن ما أشد جنود الله ؟ . .
وكانه يقرأ مسألة مدروسة في كتاب . . وكأنه لم يفاجأ بالسؤال فبسط يديه دليلاً على
أنه ينتظر شيئاً يجيء وينتهي . . وفرد أصابعه وقال : « أشد جنود الله عشرة » . .
هكذا أجاب . . وكانها مسألة مدروسة . . ثم جلس ليذكر مسائل مرتبة تصادف ما
قالوه بالرد عليه . .

قال : أشد جنود الله عشرة . . الجبال والرواسي . . وكانوا قد قالوا ذلك . . والحديد

يقطع الجبال . . اذن فهو أقوى من الجبال . . والنار تذيب الحديد . . فهي أقوى ولكن الماء يطفىء النار الا أن السحاب المسخر بين السماء والأرض يحمل الماء . . والرياح تقطع السحاب . . وابن آدم يغلب الريح فيستتر بثوبه ويمضي لحاجته . . والسكر يغلب ابن آدم ، فيطوحه ، والنوم يغلب السكر . . والهم يغلب النوم . . فأشد جنود الله هو الهم . .

فاذا نظرت الى القضية في ترتيبها المنطقي الطبيعي . . فانظر الى الهم وهو معنى من المعاني يستبد بالنفس الانسانية ويبدد طاقتها وملكاها . . ولا يجعل المصيبة فيها فات ولكنه يخشى المصيبة فيها هو آت . .

ثم انظر الى قيمة الايمان ، فهو ينزع من نفس الانسان ذلك الهم . .
فلماذا تغتم ؟ . .

فان كانت المصيبة التي أصابتك من عمل يديك فهي تربية لك . . كأن ترسب في الامتحان لأنك لم تذاكر ، ولذلك يقال : « ما ضاع من مالك ما أدبك » .
صنعة الله :

ان الأمور التي تصيبك نوعان :

نوع لحركتك فيه دخل .

ونوع آخر لا دخل لحركتك فيه .

في النوع الأول نسألك : لماذا أنت حزين . . ما دام هذا هو فعلك أنت . . فلا غريم لك . . اذن فحزنك يكون على نفسك وان كنت عاقلا فينبغي أن تستفيد من التجربة وان كنت ستستفيد من التجربة فكأنك لم تخسر شيئا فتكون تجربة يمكن تعويضها . .

لكن في النوع الثاني . . حيث لا دخل لحركتك ولا لاختيارك في أمر ما فيجب أن تعلم أن الذي أجرى هذا الحدث أجراه لكي يصلحك . . فلأنه حكيم . . لا يجري عليك الا ما يصلح شأنك . . وفي مثل هذه الأمور لا تدع عقلك يقول لا . . رافضا هذا الأمر . . بل قل : هذا الأمر هو صنعة الله . .

ونأتي الى مثل بشري :

هل رأيت من البشر صانعا أخرج أحق يأتي الى صنعته فيتلفها؟ ..
فاذا شاهدت نجارا يسك بالمنشار ويعمله في دولاب جميل فهل تتصور أن النجار يتلف دولابه أم يصلحه؟ ..

بالطبع هو يصلحه رغم ما يبدو من الوهلة الأولى .. فما يجريه الصانع على صنعته هو اصلاح لها .. لكنك قد تدرك ذلك أو لا تدركه ..

ولهذا فلا بد أن تطمئن الى أن كل عمل وقع عليك من غير اختيار منك أو حركة لك هو عمل ينطوي على خير لك .. فأنت مردود لله .. ووالدك سبب في وجودك ، وأنت تعلم أن السبب في وجودك تحمل بطاقة العاطفة الحبيبة لك ما يجعله يتعب تحقيقا لراحتك أنت ، وليس له من خلقك الا السببية .

اذن .. الذي خلق السبب في الابداد الا يكون على الأقل مثل أبك؟ ..
وحيث أن من له أب لا يحمل هم شيء من الأشياء .. فيتترك مشكلة تدبير الطعام وغير ذلك على عاتق هذا الأب .. فماذا يكون اذن شأن من له رب !! ..
مفهوم الاسلام :

ما دمت أنت في كون .. فالأشياء التي تجرت عليك .. وكنت فاعلها .. قد أدبتك ، فانتفع بها .. وان كانت بعيدة عنك لا دخل لك فيها فهي ممن خلقك ورباك وهو حكيم لا يجري عليك الا ما يصلحك وان لم تر أنت وجه الاصلاح فيها .. ونخذ مثلا .. ولدك الحبيب حين تأخذ بيده الى طبيب لتطهير جرح في يده .. الولد في هذه الحالة قد يكره المعالج ، ويكره الوالد ، ويكره من يمسه لإعطائه الحقنة ومن يعطيه الدواء ..

لكن هذا كله عمل يراد به خير الولد الا أنه لا يدرك ذلك لكنه حين يكبر ويكون راشدا ويصبح له أبناء سيدرك الحكمة فيما فعل به قديماً .. وذلك بسبب ما يفعله حديثا فيمن دونه فكرا ووعيا ..

فميزة الايمان أنه يبعد الهم الباعث على اليأس من الانسان اذ يدرك الانسان أن له

أها . . هو فوق كل الأسباب . . وما دام هو فوق الأسباب فنحن نأتمنه على منهجه الذي جعله لنا لنصلح في حركة هذه الحياة . . منهجه الذي يتمثل في الأمر بأن نفعل هذا وما نفعل ذلك . .

فالحق سبحانه وتعالى حين يشرع المنهج يشرع للمنهج قواعد وهذه القواعد هي التي نسميها بالآركان . .

ومعنى الأركان أي الشيء الذي بني عليه الشيء المراد . . فإذا ما سمعت الرسول ﷺ يقول :

« بني الإسلام على خمس » . .

فهذه الخمس ليست هي الإسلام ، وإنما هي الأركان التي بني عليها الإسلام . . إذن . . فالذي يفسر الإسلام بأنه « الخمس » ، ويقصر الإسلام على العبادات نقول له أنت جمدت الإسلام ، وجعلت الينابيع التي جعلها الله ركناً للإسلامية هي الإسلام . . بينما الإسلام شيء مبني على هذه الأركان . . فلما تقول بني البيت على القواعد الخمس مثلاً . . فما البيت هنا . . انه هو الغرفة ، والمرافق . . ولكن لولا هذه الأركان لما كان البيت .

لذلك يجب أن نفهم أن الإسلام إنما جاء ليشمل كل حركة في الحياة من قمة لا إله إلا الله إلى إمطة الأذى عن الطريق . . فكل عمل من هذه الأعمال يصلح به حركة الحياة يكون هو الإسلام . .

ليس الإسلام أن نصلي ونصوم ونزكي ونحج ونؤمن باليوم الآخر . . لأن تلك هي الدعائم التي بقي عليها الإسلام ، فلو أن إنساناً كلفك ببناء قصر ثم وضع لك الأسس والأركان التي يقوم عليها القصر . . ثم ترك الباقي . . أيكون قد أدى لك معنى القصرية الذي تريده ؟ . . بالطبع لا .
مراد خصوم الإسلام :

ما هو مراد خصوم الإسلام ؟ . .

ما هو مراد القوم المفتونين بعقولهم ليقننوا لحركة الحياة بغير ما قنن الاسلام ..
قالوا : المساجد مفتوحة فليصل من يصلي .. والزكاة ليخرجها من يجب كما يجب ..
والحج .. حج كما تشاء .. لكن .. غير هذا وذاك مرفوض .

والحال هنا تماما كمن بنى الأركان وترك ما يبني على الأركان .. ولهذا يتمنى خصوم
الاسلام أن يقنعونا بأن الاسلام أمر تعبدى ينحصر في الأركان الخمسة .. وبهذا ينزول
الاسلام عن حركة الحياة .. ليتحركوا في الحياة كما يشاءون . ونحن نقول : لا .. فليس
الاسلام كذلك ، لأنه جاء ليحكم حركة الحياة .. ولذلك قالوا : ان رسول الله ﷺ علمنا
كل شيء في الحياة حتى القراءة .. ورغم أن المراد من الاسلام ليس هو الأركان وحدها
وانما ما يبني على الأركان لا يكون قويا الا بهذه الأركان .. جاء الاسلام على أثر
المسيحية ، والمسيحية جاءت على أثر اليهودية ، ومن يقرأ التوراة لن يجد فيها أبدا شيئا
يتعلق بقيم الحياة .. فكلها تتعلق بمبادئ الحياة .. ورغم ما قاموا به من بعض الشروح
في التلمود فانك ستسخر من محتواه وستدهش كيف يكون هذا دينا .. ففيه مثلا أن ربنا في
عصر كل يوم ينزل ليلعب مع الحوت ، وأن ربنا يذاكر التلمود في الليل مع الملائكة .. وأن
ربنا لما أراد أن يعاقب فرعون مصر وأهلها الذين ظلموا بني اسرائيل .. قال لبني
اسرائيل : ميزوا بيوتكم بعلامات لأنني أريد أن أهدم على فرعون .

فكان الله - في هذا التصور - لا يعرف الا بمعرفة البشر ، ولا يعلم الا بما يعلم
البشر .. وأذكر أيضا انهم جعلوا من ربنا شخصا يقعد على صخرة ويمد رجله .. الى آخر
كل هذه المسائل المادية الصرفة .. ولهذا كانت الحاجة ماسة الى روحانية صرفة ، فجاءت
المسيحية ثم جاء الاسلام منطقيا مع واقع الحياة ..

الاسلام بين معسكرين :

جاء الاسلام والعالم معسكران :

- معسكر ملحد بالله لا يؤمن الا بالمادة ..

- ومعسكر يؤمن بالتقاء السماء بالأرض في منهج يحمله رسل الله الى خلق الله ، فكان

الاسلام كعهده منطقيا مع واقع الحياة ، يستقبل كل أمر بما هو أهل له ..
استقبل الالحاد بلا هوادة وعاداه عداوة سافرة لأن الخلاف معه اثما هو في قمة
التدين ، وهو وجود اله قادر مدبر لهذا الكون ..
وواجه القوم الاخرين الذين يؤمنون بوجود الاله ويؤمنون ببلاغ من السماء الى
الأرض على لسان رسل يصطفاهم الله سبحانه وتعالى ..
الاسلام وأهل الكتاب :

كيف استقبل الاسلام ما نسميهم أهل الكتاب من يهود ونصارى ؟ استقبلهم
استقبالا سمحا .. استقبال سلام ، استقبال أمن .. فذكر كل الخصال الكريمة التي كرم
الله بها رسولي الديانتين العظيمتين ..

- كرم موسى تكريما لا حد له ..

- وكرم عيسى تكريما لا حد له ..

ونفى عن عيسى كل ما يمكن أن تتهم به أمه .. كرم الرسولين تكريما يقر مبدأ التقاء
السماء بالأرض ..

ولذلك فبالمقارنة بين الفرس الذين كانوا يمثلون المادية والالحاد ، والروم الذين كانوا
يمثلون أهل الكتاب نجد أن أهل الكتاب كانوا أقربهم الى قلب رسول الله والمؤمنين به ..

ولما نشأت المعركة بين الروم وبين فارس وهزمت الروم حزن رسول الله .. وحزن
المؤمنون برسول الله معه لأن العداة بين المسلمين وأهل الالحاد عداة في القمة ، ولكن
الخلاف بين الاسلام وبين الديانتين العظيمين خلاف قد يكون في تصور الاله ، وتصور
الاله هي المشكلة للديانتين . ولكن التقاء السماء بالأرض وخضوع الأرض لمنهج السماء أمر
متفق عليه .. ولذلك كان قلب رسول الله وقلب المؤمنين به مع أهل الكتاب من
الرومان ، وفي ذلك ينزل الله قرآنا يتلى ليدل الناس جميعا على أن الاسلام أحب الدين
كفروا بمحمد ولكنهم مؤمنون بالله عن الذين كفروا بالله ..

اذن فعصبية محمد ﷺ لربه أقوى من عصبية نفسه ، فالذين كفروا برسول الله

أقرب الى قلب رسول الله من الذين كفروا بالله . . ولذلك حزن رسول الله حينما هزم المنكرون لله المؤمنين بالله وان كانوا كافرين بمحمد . . يقول تعالى :

﴿ ألم ، غلبت الروم ، في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلبون ، في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾ .

(الروم ١ - ٥)

اذن فنصر أهل الكتاب على المنكرين للألوهية الملاحدة يجب أن يفرح به المؤمنون بالله لأننا مؤمنون في القمة وان كنا مختلفين في الرسول الذي بلغ . .

نحن مؤمنون برسولين بلغا . . وهم وقفوا عند محمد موقف النكران ومع ذلك فالقلوب المؤمنة وبشارة الله للمؤمنين بأن الله سينصر من آمن بالله وان كان كافرا بمحمد على الذين كفروا بالله . . فهل رأينا سماحة أحلى من هذه السماحة في الاسلام . . يكون قلب المؤمنين بمحمد مع الذين يكفرون بمحمد لأنهم آمنوا برب محمد وان اختلفوا في التصوير الايماني للاله الذي يؤمنون به .

* * *

البشرى بالنصر ودلالاتها :

وما زلنا نتحدث عن المعركة بين الفرس والروم . . فنقول : كيف يتأتى لرسول الله وهو النبي الأمي في الأمة الأمية أن يحكم في نهاية معركة بين أكبر قوتين في الأرض : قوة فارس في الشرق ، وقوة الرومان في الغرب . . كيف يتأتى له أن يحكم ويفصل في معركة تكون بعد بضع سنين وليست معركة آتية . . فلو أن المعركة كانت في نفس الوقت لقلنا ان عند محمد ﷺ أخبارا بامدادات تصل الى قوة الروم لتنتصر على الفرس ، ولكن حكم محمد على نصر الروم يمتد الى بضع سنين . . . وهي مسافة زمنية واسعة . .

فكيف أمكن لمحمد أن يحكم في مصير معركة ليس هو طرفا فيها . . ومن ناحية ثانية

هو لا يعلم بما يجد في خلال هذه السنوات من قوة هذا أو ضعف ذلك ..

ثم ها هو .. يطلقها قضية .. إن الله سينصر الروم على الفرس .

﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ .

هذا شيء يدل على أن الرسول الكريم ينطق عن ربه الذي يعلم الأحداث كما تقع ولا يمكن أن يطلق رسول الله قضية قرآنية تتلى وتحفظ ويتعبد بتلاوتها ، ثم تأتي بضع سنوات لتكذب رسول الله فيها قال - وما كان لهذا أن يحدث - والا لتعرضت الدعوة كلها لهزة عنيفة تؤثر على الايمان بمحمد وبرب محمد ..

اذن فالذي أطلق القضية هو الله .. وهو واثق تمام الثقة من أن الأمر سيحدث كما

قال .

وبالفعل ففي بضع سنين نصر الله الروم على الفرس وصادف ذلك أن نصر الله

المؤمنين على الكافرين في يوم بدر فصدق قول العزيز الحكيم .

اذن فانتصار أهل الكتاب على أهل الالحاد شيء يفرح المؤمنين لأن قضية القمة

متفق عليها والخلاف في المنهج الذي جاء به رسول الله .

* * *

منهج الله

التعجيل بالجزاء :

جعل الله سبحانه وتعالى رسالة الاسلام رسالة خاتمة ، فليس لاحد أن يستدرك عليها ، ولا أن يتزايد فيها ، وكل شغل المؤمن بها إن كان حاكما أن يرعى حدود الله لتنفيذ كما أراد الله ، وان كان محكوما فعليه أن يطبق منهج الله فيها ولايته فيه على نفسه ، وفيها ولايته فيه على ما سواه ، وليدع كل مخالف لمنهج الله فيها ولايته عليه ليلقى من الحق جزاءه في الدنيا وليكون عبرة لأن الله لا يؤخر كثيرا من قضايا الكون الى الآخرة والا لعاث الذين لا يؤمنون بالآخرة في الأرض فسادا فلو لم يأخذ الله كل ظالم للبشر بمخالفة منهج الله في الحياة الدنيا لتشكك كثير من الناس في مناهج الله ، ولذلك نجبرنا الحق بأنها قضية سائرة في الزمن .
يقول تعالى :

﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون﴾ .

(الأنعام ١٢٩)

ندرك من هذه الآية أن الظالمين الذين يفسدون في الأرض بظلمهم وطغيانهم لا يسلط الله عليهم الأخيار . . لأن الخير دائما لين الطبع رفيق القلب . فرحم الله طبعه وقلبه من أن يحمله عبء الانتقام . . فيسلط الله على من ظلم ظلما آخر نزعت من قلبه الشفقة والرحمة ليؤدب هذا الظالم . .

والأخيار مطمئنون لأن الله لم يكلفهم حتى مجرد تأديب الظالمين .

والذين ينظرون في التاريخ قديما وحديثا لا يجدون ظلما في الأرض الا مني بأظلم منه . . والتاريخ الحديث الذي عشناه يشهد ذلك كله . . فكم من ظالم عذب بأدوات استجلبها ليظلم بها الناس .

كل ذلك مشهود لنا . . ليطمئنا الله على أن الله يدفع الناس بالناس ، ومن سنة الأخيار مع الأشرار أن يدفعوهم بالكلمة الطيبة والأسوة الحسنة . . ومن لم يقبل ذلك ، ولم

يرض به سلط الله عليه من يلوي يده ويذل عنقه ، ويذيقه من جنس ما أذاق سواه . .
هذا هو منطق واقع الحياة . .

عدو واحد :

ان الذين يؤمنون بمنهج الله من مختلف الديانات عليهم أن يواجهوا عدوا متحدا عليه وهم الملاحدة الذين ينكرون صلاة السماء بالأرض ، وعليهم جميعا أن يتركوا تصوراتهم في الله وعلى المنطق الحق أن يقول ما قاله الله عن نفسه تصورا في ذاته وتصورا في صفاته ، فان لم يقتنع أصحاب الديانات الأخرى بها فيكفيها أن نقول كما قال الله : ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ .

(الكافرون ٦)

تطبيق منهج الله في الدولة :

ما دام منطق الحق في الاسلام قد وجدت له أمة فيها غالبية اسلامية . .
وما دامت قد وجدت دولة تحب أن تكون أيضا دولة اسلامية يطبق فيها منهج الله . .
علينا عندئذ أن نناقش الذين لا يرضيهم أن يطبق منهج الله . . فنسألهم :
إذا سيطرت قوة من البشر على أمر دولة من الدول وهذه القوة من البشر تشكل أغلبية
فقبنت ما شاءت من قوانين البشر أيكون للأقلية أن تخرج على ما قررتها الأغلبية ؟ . .
الواقع يقول لا . . فالأقلية مطالبة دائما بأن تنفذ ما أقرته الأغلبية ولو كان من صنع
البشر أنفسهم . .

وبهذا المنطق . . إذا كانت الأغلبية قد ارتضت ديننا لله وقالت إننا لا نحكم بما شئنا
وإنما نحكم بما شاء الله . . ولم تقل ان هذا الدين من عندها حتى يظن أنها أمة تريد أن
تستعلي على طائفة لتحكمها بما شاءت . .

فما هو وجه الاعتراض اذن في تطبيق منهج الله الذي اعتنقت الأغلبية تطبيقه ؟!

أين منهجهم ؟ :

ونقول : ان كان عند إحدى الديانات منهج ينظم حركة الحياة من ألفها الى يائها . . فليتقدموا به الينا - وان وجد ذلك - سيقارنه العقلاء بما عندنا من دين الله . . فان وجدناه خيرا مما أنزل الله فليطمنئوا الى أننا سنأخذ به . .

ولكن الحق لم يدع للناس مجالا فأنزل القرآن على محمد عليه الصلاة والسلام وجعله مهيمنا على ما سواه . . يقول تعالى :

﴿ وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ﴾ .

(المائدة ٤٨)

التصدي للملاحدة :

على الذين يريدون لمنهج الله في الأرض أن يسيطر أن يكتلوا قواهم ضد أعداء الله والملاحدة بالله لأن شغلهم بالتصورات في ذات الله وفي صفات الله أمر تعدى منطقة التعقل . . وبالتالي ليس لنا أن نتعصب له الا إن جاء مما اتفقنا على الايمان به . . وعلى الذين يرون في دينهم حقا . . أن يعرضوه بسماحة هذا الدين ، ، لأننا يحكمنا مبدأ وهو أننا لا نكافئ من عصي الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه .

الذي يعصي الله فينا لا نكافئه نحن بمعصية الله . . والا فقد أعطيناه حجة على أننا متساوون في المعصية ، وهذا هو التقريع السلوكي الذي يجب أن يكون عند منطلق الغالب بمنهج الله في الأرض .

وعلى هؤلاء المعارضين أن يعرضوا دينهم عرضا سمحا لأن الحق أعلن ذلك وهو أن الدين - أي ما يكون في الاعتقاد - لا يمكن أن يكره عليه .
الاكراه بين القلب والقالب :

الانسان يكره (بضم الياء) قالب الانسان . . (والقالب أي المادة) . . يكرهه بالقوة فقد يفرض عليه بالقوة أن يحظمه أو يسجد له أو يمدحه بالشعر . . وهذا كله يدخل في اكراه القالب لكن هل يستطيع أحد اكراه قلب واحد على أن يحب شيئا ما ؟ . . بالطبع . . كلا . .

اذن فالعقائد لا يكره عليها ولو أراد الله أن يخضع الخلق جميعا لفعل ، يقول في كتابه
العزیز :

﴿لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ، ان نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت
أعناقهم لها خاضعين﴾ .

(الشعراء ٣ - ٤)

ولكن هل يريد الله أعناقا ، أم يريد قلوبا؟! انه يريد قلوبا . .

أما من يكره على مبدأ من المبادئ - حتى في مبادئ البشرية - فانه يكون غير مؤمن
به . . ونفس الشيء يتجسد اذا رأيت بشرا يكره بشرا على مبدأ من المبادئ بقوة السوط
وجبروت السلطان . . لأنه لو توفر الايمان بالمبدأ فلا حاجة له الى القوة لفرضه . .

وللمسألة بعد آخر . . وهو مدى اقتناع الشخص الذي يلجأ الى أسلوب القهر . .
فكأن لسان حاله يقول : (ان لم يكن وراء المبدأ سوطي وقهري وظلمي وجبروتي فلن يقتنع
الناس بهذا لأنني أنا شخصا غير مقتنع به) .

اذن فاذا رأيت اكراها على مبدأ أو اقناعا أو ارشادا الى رأي فاعلم أن صاحبه غير
مقتنع به . .

ولهذا . . فان الله يريد قياد القلوب ، وما دام الأمر كذلك فعلى المؤمن أن يعرض
منهجه عرضا سمحا ولا يحاول أن يكره على المبدأ لأن الاكراه على المبدأ سوسة تنخر في ذلك
المبدأ .

منهج الداعية :

انك اذا أكرهت انسانا على المبدأ تسلل اليه النفاق ، وفعل ما يفعل من شر لهذا
المبدأ ، ولذلك يقول الحق :

﴿لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ .

(البقرة ٢٥٦)

فالأمر واضح ، حيث تنتفي الحاجة الى الاكراه . . اذن . . حين لا يتبين الرشد من الغي يأتي الاكراه . . ولذلك حين يعرض الحق المنهج ، ويعرض منهج الداعية اليه . . تتمثل الأسوة في رسول الله ﷺ . .

﴿وإنا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ .

(سبأ ٢٤)

فالهدى أمر واحد والموافق له منهج واحد . . فاما أن يكون أنتم « الكفار » . . واما أن نكون نحن . .

فالرسول الكريم مطمئن الى أن منهجه لو عرض لا بد أن يحقق الفوز . . ولهذا طلب من خصومه أن يقفوا ازاء هذه المسألة موقفا سليما غير غوغائي ولا جماهيري لأن الجماهير تلقي تبعة الأحكام بعضها على بعض . .

فعندما تشب مظاهره يقول كل واحد كلمة ثم يرمي تبعة مسؤ وليتها على سواء . .

ولذلك يقول الحق لهؤلاء الذين عارضوا منهج محمد ﷺ :

﴿قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ، ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾ .

(سبأ ٤٦)

مثنى أي يجلس كل اثنين مع بعضهما البعض ويتناقشان في مسألة محمد عليه الصلاة والسلام . . والسبب في تحديد عدد أفراد المناقشة باثنين أو فرادى أنه في حالة الاثنين يقل الكلام خارج الموضوع محل المناقشة . . ولا يكون هناك فرصة لطرف ثالث يقول ان فلانا انهزم أمام فلان بما يدفع المتناقشين الى اللجوء الى الجحجج الباطل وصولا الى الانتصار . وفي حالة انفراد الشخص بنفسه فهذا اعادة الى أن يتفكر في الأمر فيتبين زيف الادعاء بأن بمحمد عليه الصلاة والسلام جنة . .

ولهذا فساعة يعرض الحق المنهج يريد من كل واحد منا ألا يلقي تبعة عقيدته على
سواه . .

ولعلنا نذكر ما قاله شوقي رحمه الله في قصة مصرع كليوباترا عن معركة « اكتيوم »
التي كانت بين كليوباترا وبين خصومها وكيف تحولت الهزيمة الى اشاعة بالانتصار . . وراح
الشعب يردد أناشيد الانتصار المزعوم . .

ومثل هذا أيضا حدث في التاريخ الحديث .

والشاعر أحمد شوقي رحمه الله يصور الموقف تصويرا دقيقا حتى لا تكون أحكام
الحقائق خاضعة للغوغائية . .

ففي مكتبة قصر كليوباترا يدور حوار بين موظفين في المكتبة أحدهما يدعى ديون . .
يقول الموظف لزميله :

اسمع	الشعب	« دسون »	
	كيف	يوحون	اليه
ملا	الجو	هتافا	
	بحياتي	قاتليه	

ثم يقول مؤكدا على كثرة هتافهم لقاتليهم وأثر ذلك في الشعب :

أثر	البهتان	فيه	
	وانطلق	الزور	عليه
يا	له	ببغاء	
	عقله	في	أذنيه

ولذلك فالأمر في العقائد لا ينبغي أن تخضع للغوغائية وكل واحد عليه أن يأخذ

قضية العقائد على أنه مسؤول عنها . . ولن يشفع له أن يقول : «لني سمعت فلانا يقول» . . ولن يشفع له أن يقول ان جماع الغوغائية أو الجماهيرية كان هكذا . . فان كل واحد معلق من عرقوبه ، فعلى الانسان أن يناقش قضية العقائد بعيدا عن الغوغائية التي تسير وراء الصياح كالنعام والطغام . .
اسأل الله سبحانه وتعالى أن يبصرنا تبصيرا يتبعنا دائما الى منهج الحق .

* * *

تقسيم الأرزاق ومقومات الحياة

تقسيم الأرزاق :

يقول الحق : ﴿فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله
واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ .

(الجمعة ١٠)

من هنا نعلم أن وقت الانسان يجب أن يكون بين أمرين : بين انشغال بالمنعم لتأخذ
منه شحنة الطاقة على حركتك في النعمة وبين حركتك في النعمة . . فقوله تعالى :
﴿فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ هذا أمر . . كما أن قوله : ﴿إذا نودي للصلاة
من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع﴾ . . هذا أمر . .

والأمران بمن له حق الأمر في خلقه وهو الحق ، فاذا ما طبقنا الأمر الأول ﴿إذا نودي
للصلاة﴾ . . ذهبنا الى نداء الله ، ثم لم نطبق الأمر الثاني فقد تركنا شقا مهما في التكليف .
فالضرب في الأرض بالحركة هو المقصود الأساسي لخلافة الانسان في الأرض ، فاذا لم
يضرب الناس في الأرض بالحركة واقتصروا على ما تأتيهم الأرض من خيراتها فانهم يكونون
قد قصروا في منهج الله سبحانه .
لم تخلق الرزق :

ما دام الضرب في الأرض للحركة ، فيجب أن يربط الحق هذه الحركة بما يهب
الانسان أولا وهو رزق نفسه ، فيقول سبحانه : ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾ . .
(الملك ١٥)

هذا أمر للكادح وقيد لنفي غرور الكادح بقوته ، فلا تظن أن حركتك ومشيك
وضربك في مناكب الأرض مشقة وجهادا وتعبا . . فانه هو الذي جاء لك بالرزق لأن
حركتك مهما كانت لم تخلق الرزق ولكنها وصلت الى الرزق الموجود في الأرض ، والحق

طمأننا عليه في خلق الأرض أولا حين قال :
﴿قل إنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين﴾ .

(فصلت ٩ - ١٠)

فكان الأقوات مطمورة في الأرض منذ خلق الله الأرض .. كل عملك لا يوجد الرزق ولكن يوصلك فقط الى الرزق .. هذا هو معنى ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾ ..

وفي مناكبها مشقة .. أي لا بد أن تكون الحركة في الحياة حركة مشقة .
فلسفة العمل :

يجب على الذين يعملون أي عمل أن ينظروا لا الى ما يعطيهم جزاء العمل ولكن الى ما يحلل لهم جزاء العمل ..

أناس كثيرون من العاملين يأخذون قول الرسول : « أعطوا الأجير أجره ... » .. ويغفلون قوله : « قبل أن يجف عرقه » ..

معنى ذلك أن يكون العمل قد أقرقه ، فأي عمل شكلي صوري يخليك من المسؤولية الشكلية ولا يعطيك العرق والمجهود في ذاته لا يحلل لك اجرا .. وكل فساد في الدنيا ناشىء من شكلية العمل دون العرق في العمل .. هذا هو فساد الدنيا كلها ..

شكلية في العمل لتخلي نفسك من مسؤولية المسيطر عليك وكأنه لا المسيطر عليك الا بالبصر المحدود والرقابة المحدودة .. ولو علمت أن المسيطر عليك لا تأخذ سنة ولا نوم لكانت رقابتك له أولى من رقابة المائل لك ..

كل فساد في الحياة الآن ، كل مشقة نشقاها الآن ، وكل مظهر من مظاهر المتاعب الآن ترجع الى أن الناس ذكروا أجر العامل ولم يذكروا عرق العامل . ويجب علينا ان أردنا أن تستقيم لنا أمور الحياة أن نذكر الأمرين بنفس الدرجة .

خداع النفس :

ان الذي يخدع انما يخدع نفسه . . لان الانسان لو كان مع مساو له في السيطرة والقيومية لمان الامر ان تستغفله اما ان تكون بمرأى من قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، فاعلم ان كل حركة لك محصية عليك ولن يتأخر امر ذلك الى الاخرة ، وانما لا بد ان يلقاه الانسان في الدنيا حتى يعصم الله فساد حركة الحياة من الذين لا يؤمنون بالاخرة . . اذن فالحركة في الحياة ، المشي والضرب في المناكب . . كل ذلك يجب ان تلاحظ فيه أنك الآن قادر وقد تكون عاجزا بعد ذلك .

حكمة المعجز :

المعجز موجود في بعض سمات الأفراد . . ولذلك نجد الشذوذ في الخلق هو القلة ، فاذا أحصينا الشواذ في الخلقة في بلد تعدادها عشرة الاف . . (الشواذ مثل المجانين والعرج والعمي . . الى آخره) سنجد أنهم أقلية . . أي دون العدد بكثير . . وقد نثر الله هذه الأقلية في كونه ليلفت الى نعمه الغافلين عن نعم الله عليهم . .

انك لا تشعر بنعمة عينيك حتى ترى أعمى يتعثر . . حينئذ تفيق لنفسك . .

ولا تذكر قوة رجلك الا اذا رايت أعرج . .

ولا تذكر قدرتك على الحركة وانفعال جوارحك لارادتك الا حين ترى انسانا لا تستطيع جوارحه ان تنفعل لارادته ، كأن يريد أن يتحرك فلا يتحرك . . لتلف عصب الحس الموصل . .

اذن . . فهؤلاء جعلهم الله وسائل ايضاح ليذكرك بالغفلة عن نعمه . . ولهذا كانوا

قلة . .

ما ذنب العاجز ؟

لماذا اختار الله بعض الناس ليكون فيهم المثل . . ما ذنب هؤلاء المعجزة . . ما ذنب هذا ليكون أعمى مثلاً ؟ . . انك تنظر الى ما أخذ منه ، ولكنك تغفل عما أعطاه الله له نظير ذلك ، فلو أنك نظرت الى مشمول ظاهرة من ظواهر القدرة ، وحللت كل نعم الله عليه

لوجدته فقد أعطي نعمة تعوضه عن المفقود ..

عميت جنينا والذكاء من العمى
فجئت عجيب السطن للعلم موثله
وصار ضيياء العين للقلب رافدا
لعلم اذا ما ضييع الناس حصله

فنحن نلتقي بعبارة ينشئهم الله حتى من منطقة عجزهم .

وهؤلاء الذين يحفظون صور المعجز في أجهزة الحياة قد تكون هذه الصور مصدر القوة في أشياء أخرى لأن العاجز اذا رأى نفسه مأخوذاً منه شيء دون نظير حاول جاهداً أن يجد في نفسه ملكة ينميها حتى يعوض النقص الذي فات ..

وكثير من العباقرة كانوا أصحاب عجز في بعض الأجهزة ..

اذن فالحق سبحانه وتعالى حين سلب شيئاً أعطى شيئاً ، لأن الله لم يتخذ ولداً ، وما دام لم يتخذ ولداً فجميع الخلق بالنسبة له سواء ، يعطيهم بمجموع متكافئ ، ولذلك وضعنا نظرية قديمة وقلنا ان اللباقة لها درجة ، والدقة في الحساب لها درجة ، وللذكاء درجة ، ولنجاعة الأولاد درجة .. وهكذا لكل شيء درجة ..

فاذا أحصينا المجموع وجدنا أن مجموع كل انسان مساو لمجموع غيره من الناس .. ولكن التفاضل يكون بالتقوى ..

لكن الإنسان حين ينظر الى تميزه يقتصر على ذلك ويفعل النظر الى تميز غيره .. فلو أنك رأيت نفسك نظيفاً حسن المندام ورأيت انساناً آخر غير ذلك فينبغي - اذا كنت عاقلاً عقلاً ايمانياً - أن تسأل نفسك عن الميزة التي يتميز بها هذا الذي دونك في الزي والمندام ، بحيث يعوض ما أنت فيه من ميزة .. اذن .. لا تحقره لأنه ناقص في هذا الشيء .. بل حقر نفسك لأنك ناقص فيما يقابل الزائد فيه .. ولذلك يقول الحق :

﴿لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم﴾ .
(الحجرات ١١)

انك ان جمعت درجاتك ودرجاته فستجد أنه أحسن منك في بعض الأشياء فكل واحد أخذ حقه بالميزان ..
نصيب المجنون :

سئلت مرة : ماذا أخذ المجنون من الدنيا ؟ . . المجنون الذي خلقه الله انسانا ، والانسان مكرم بعقله . . فهل سلب العقل نزع لقيمة التكريم ؟ . .
قلت له : ماذا يريد العقلاء الأقوياء في كل أجهزة جسمهم ؟ . . ماذا يريدون في هذه الحياة الدنيا ؟ . .

هم يريدون أن تكون لهم الكلمة ، يريدون إذا قالوا قولاً أن لا يرد لهم القول . .
يريدون أن يتصرفوا بآرادتهم دون أن يلومهم أحد على شيء . .

قلت له : وكذلك أعطي المجنون . . انه يضربك وتضحك له ، فلا تسأله عن فعله ولا يسأله الله يوم القيامة عن فعله . . فهات انسانا أخذ هذا من الدنيا . . ان الغاية التي يسمى اليها الانسان نالها المجنون . . ولذلك تجده العجب ، فبينما نسميه مجنوناً في حركة الحياة . . اذا به يجعله الله في لحظة من لحظات حياته بقوة عقلك في كل حياتك . . فكيف ذلك !!؟ . .

الانسان منا قد يعرف الحقائق الا أن عقله يستر عن النطق بها ، أما المجنون فيقول كلمة الحق ولا يبالي . . يقول الكلمة التي لا تستطيع أنت أيها العاقل أن تنطق بها . .

وهذا يقودنا الى معنى كلمة « عقل » لماذا أسموه « عقلاً » ؟ . . عقل أي هناك أشياء يعقلك عنها . . لا يجعلك تتفوه بها . . أما المجنون فلا يبالي . .

اذن المجنون في لحظة من لحظات جنونه أخذ ما لم تستطع أن تأخذه أنت من كل لحظات عقلك في الحياة . .

المساواة في الرزق :

ان الحق سبحانه وتعالى حسنيا ينثر رزقه في جميع جهات الحياة على خلقه . . اعلموا أن الرزق متساو . . ولكن الله لا يريد اناسا مكرهين . . بمعنى أن تنساوى وتتطابق الصفات بين الناس فتنتفي حاجاتهم بعضهم لبعض . . فان الله يريد أن يربط الوجود بعضه ببعض ربطا نفعيا . . فتكون أنت مضطرا إليّ وأكون أنا مضطرا لك . . ولا يتأتى ذلك الا اذا اختلفنا في مواهب الحياة . .
احترام قدر الله :

الذين يأخذ الله منهم بعض المزايا ويعطيهم بعض مظاهر العجز لو فطنوا الى حقيقة ذلك لاحترموا قدر الله فيهم ، فلا يتأبون على القدر . . فيأب مثلا رجل أراد الله أن يكون أعمى البصر وان كان قد أمدّه ببصيرة . . وبعد ذلك يحاول أن يظهر نفسه وكأنه ليس كفيفا فيلبس نظارة . . وآخر قصير القامة يلبس حذاء ذا كعب عالٍ ويصنع على رأسه طربوشا طويلا لكي يبدو أطول نا هو عليه فيصنع مسحا . . وذلك لأنه لم يحترم قدر الله فيه ، لكنه لو احترم قدر الله فيه لكان قدر الله فيه له خير . .

ويقول المثل القديم : « اللي بيدي العمى حقه يبقى مفتوح » .

رزق السلب :

يقول تعالى : ﴿يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون﴾ .

(البقرة ٩)

وهو القائل جل شأنه :

﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ .

(الكهف ١٠٣ - ١٠٤)

فكيف يسمى الانسان بعد ذلك الى أن يكسب مالا دون أن يؤدي ما يقابله من عمل فيقتنص القروش - كما يقولون - من هبوب الريح بأن يضحك على هذا أو ذاك . . أو يضحك على الدولة ، فلا يذهب الى عمله ويكلف زميلا له بالتوقيع في دفاتر الحضور بدلا منه . . وهذا نخر بأن لك ربا رقيبا عليك ، فليس صحيحا أن الرقابة تقتصر على من يسك بدفتر الحضور والانصراف . .

ولتذكر هنا أن الرزق لا يتمثل فقط. في الأموال التي تكديها . . فهناك رزق السلب وهو المهم في الحياة . . فالكثير من الناس يعيشون في أمن واطمئنان واستقامة ويربون أبناءهم تربية طيبة بما يدهش الفريق الآخر من الناس الذين يتساءلون . . كيف يستطيع هؤلاء الحياة بهذه الكيفية ؟ .

وتتمثل الاجابة في بند رزق السلب - في حالة عدم وفرة رزق الايجاب - لأن هناك بنودا أخرى عند الله . .

اذن . . وبهذا المنظر . . تكون الزكاة ثماء . . اذ يسلب الله عن المزكي المصارف . . فكان المال قد زاد بهذه الطريقة .

فاذا كنت تملك مائة أصبحت بالزكاة ٩٧ لكن ربنا سبحانه وتعالى منع عنك وسلب عنك مصرفا يأخذ خمسين ، فكان مالك أصبح مائة وخمسين . . وهذا يعني أنك زدت في الحقيقة . . هذا من ناحية المزكي . .

الزكاة تطهير وثناء :

ماذا عن أثر الزكاة بالنسبة للمزكى عليه . . وكيف تكون تطهيرا له وثناء ؟ . .
- هي تطهير له . . لأن المزكى عليه وهو ضعيف ينظر الى واحد أقوى منه بما قد يحرك في نفسه قوى الغيرة والحقد والكراهية والغل .

لكنه حين يرى انسانا أنعم الله عليه ثم مد يد المعونة اليه بما أنعم . . يقول :
النعمة عند هذا الانسان نفعتني ، وبهذا يطهر قلبه من الغل والحقد على هذه النعمة . .

- وهي أيضا ثناء له . . لأن المعطي حين يعطيه ما لا تعطيه حركته في الحياة بهذا المال . . وكذلك تدله على أنه في مجتمع ايماني متكافئ ، وأنه لا يستقبل أحداث الحياة وحده ، وأنه اذا عضته نائبة فإخوانه المؤمنون جميعا من حوله . .

اذن . . فهو لا يبالي بأحداث الحياة ما دام هناك أناس تربطهم به أحوه انسانية ،
والخير عندهم متعدد اليه . . فيتم بذلك السواء لرحولته ، والسواء لغونه ، والنهائ
لشخصيته .

أما ان انقبض الناس عنه فسيرى أنه يواجه الحياة وحده ، هم أعزل . . فلا يحسن له
النهائ المشار اليه . . ولا النهائ في أمله في الحياه . .
الزكاة والحافز . . أو التأمين على الحياة :

حين يذوق المزكى عليه حلاوة العطاء من المزكى يحلو في نفسه ذلك فيحب أن يكون
هو أيضا مثل ذلك المزكى ويأمل أن يقوم بدوره . . فيشغل في الحياة وبضرب فيها ليذوق
هو أيضا ويذيق غيره هذه الحلاوة . .

اذن فالزكاة إنما شرعها الله تطهيرا ونماء . . وان بدت في ظاهرها نفعا بمفاسك . .
لكن مقاييس الله فوق ذلك كله . . فاذا تحرك الانسان وفي ماله أنه يتحرك لنفسه ولكل
ضعيف ضمن أنه ان ضعف في متغيرات الحياة ، فيسجد اناسا يتحرك لأنفسهم وله
أيضا . . وذلك هو التأمين على الحياة . . حين يؤمن الانسان على ما يحفه من حياته . .
تعب القلب وتعب الجوارح :

حينما شرع الحق سبحانه وتعالى المنهج الايماني ضمن للناس مقومات حياتهم في هذا
المنهج . . وما دام قد ضمن لهم مقومات حياتهم في هذا المنهج . . يطالبهم بالان يشغلوا
بالرزق انشغال تعب قلوب . .

وهناك فرق بين أن يتعب بدنك وبين أن يتعب قلبك ، والأخير هو المنهي عنه في أمر
الرزق . .

فالرزق مطمور في الأرض فان كنت قويا ذهبت اليه لتجده وان كنت ضعيفا سيذهب
اليه أخ مؤمن يتحرك حركة تسعه وحركة تسعك .

اذن فمنهج الله يضمن هذه المسألة . . ولهذا لا ينبغي أن تشغل انشغال القلب
وتتعب تعب .

ان الكثير مما لا يفوق بين تعب البدن أو الجوارح وتعب القلب أو النفس .
التوكل :

للمؤمن قلب وجوارح .. وحيث تتعب جوارحه ينبغي أن يتوكل قلبه ..
الجوارح تعمل والقلوب تتوكل .. وتلك هي مسألة المؤمن .. أما من يتصور أن
التوكل يعني الانصراف عن العمل ويدعي أن الله يرزقنا كما يرزق الطير .
نقول له .. ان الطير ليس مخلقة بأن تزرع وعملها هو أن تنال رزقها وتمضي ..
ولهذا نقول لمن أراد أن يتحرف باليقين والتقوى ويعمل من التوكل حرفة .. نقول
له : سنحضر لك مائدة شهية ونضع الطعام على المائدة فأرنا كيف تتوكل - بمفهومك - ولا
تمد يدك الى الطعام فهل تنفخ اللقمة وحدها الى فمك؟! ..

اذن هذا الشخص كذاب التوكل ..

ان التوكل هو ان نعبد بدينك ويرتاح قلبك ..

* * *

الجوع والخوف :

في الدنيا أشياء اسمها المخوفين .. المتعبين .. المقلقين .. حيث الخوف من بطش
السلطان والقلق على الرزق .. ولذلك قال تعالى :

﴿قل يبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ .
(قريش ٤)

وهذان العاملان .. الجوع والخوف هما سر متاعب الدنيا كلها .. ولهذا .. يأمرنا
الله أن نتركها لأنه يصممها لنا ، وأن ننصرف الى أعمالنا في الدنيا .

ويقول في الحديث القدسي - لضبط ميزان المجتمع :
« لا تخافن من ذي سلطان ، ما دام سلطاناً باقياً ، وسلطاناً لا يتفد أبداً » .
سبحانه . . يطعم ابن آدم الأيغوش من صبر البرزق فالخزائن مملأه . . خزائنه لا
تنفد أبداً . .
أثقل الأثقال :

كنت أحدث اخواننا عما قاله أحمد شوقي رحمة الله عليه في حفل تكريم السيد نصير
بطل حمل الأثقال . . فبعد أن قال فيه :

شرف نصيرا رفع جبينك عاليا
وتلق من أوطانك الإكليلا

وصل الى المعاني الدقيقة . . الى العطاء الالهي . .

فيقول شوقي في قصيدته مخاطبا السيد نصير :

- أحملت انسانا عليك ثقيلًا
- أحملت دينا في حياتك مرة
- أحملت يوما في الضلوع غليلا
- أحملت طفيان اللثيم إذا اغتنى
- أو نال من جباه الحياة قليلا
- أحملت ظلما من قريب غادر
- أو كاشح بالأمس كان خليلا
- أحملت منا في النهار مكررا
- والليل من مسد اليك قليلا
- أحملت في النادي الغبي إذا التقى

من مادحيه الحمد والتبجيلا

فيكون الشخص عبي اللسان بنادي بفصيح العرب ، ويكون بخيلا ويقال له يا
حاتم . .
كل هؤلاء الذين عددهم احد شوقي وكل هذه الصور تبرز أثقال الحياة مقارنة
بأثقال الحديد . .

تلك الحياة وهذه أثقالها
وزن الحديد بها فماد ضئيل

اذن فالمتاع الحقيقية هي متاع القلب وشغل المخ « فما الحمل الا ما وعاه
الصدر » . وهذا هو ما يريد الله أن يمنعنا عنه ، أما تعب الجوارح والعضلات فهو
مطلوب . . بل إن الله يغفر للرجل اذا بات كلا من عمله . .

* * *

مراحل اليقين وتجديد الولاء الإيماني

لمن الكلمة؟! :

تتجلى عظمة الايمان في أنك لا تسلم لي زمامك ولا أسلم لك زمامي ، وانما أنا وانت نسلم زمامنا لله . . فلا يكون هناك طغيان لواحد منا على غيره في الأرض وتبفى الكلمة لله . . فلماذا يحرص البعض على أن يستذلوا الناس باسلامهم لناهجهم !! وادا كانوا يريدون الخير حقا فما الغضاضة في أن نسلم جميعا وجوهنا لمن هو أعلى منا . . لله سبحانه وتعالى . .

مفهوم العلماء :

الى جوار اسم الاسلام ووصفه للذين اتخذها شكلا وميزة لأمة محمد ﷺ . . فقد اتصف الاسلام بصفة أخرى ، وهي أن كل أمة محمد ﷺ امتداد لرسالة محمد ﷺ ، طالما لم يعد هناك رسل ولم يعد هناك أنبياء ولذلك عدة اعتبارات . . أولها أن المنهج محفوظ والمطلوب فقط هو البلاغ للمنهج . . ويظن البعض أن العلماء الذين يحملون المنهج للناس هم فقط العلماء المعممون والذين تعلموا في الأزهر الشريف وتعاطوا صناعة الدعوة . . وهذا غير صحيح . . لأن كل من علم حكما من أحكام الله فهو عالم به ولذلك قيل « نضر الله وجه امرئ سمع مقالة فوعاها وأداها الى من لم يسمعها فرب مبلغ أوعى من سامع » . .

التشريع الكامل :

قد نتعرض لأشياء لا نخطر على قلب الذين شغلوا أنفسهم بالتشريع لمصالح الناس . .

الجزار الذي ينفخ الذبيحة لكي يسليها ، يحرم عليه الاسلام أن ينفخها بفمه . ويحتم عليه أن يستعين بمنفاخ حتى لا يدخل النفس - بفتح الفاء - في الذبيحة . فمن كان منا يعرف أن هذا النفس يخرج عملا بثاني أكسيد الكربون وبأشياء ضارة أخرى من الجسم؟ لم يكن أحد يعرف ذلك . .

صورة أخرى عن العجين . أى تشبع من تشريعات البشر يقضي بأن الخباز عليه أن يضع لثاماً على فمه وأمه شعافه أن يعطس في العجين .

فمن الذى قال ان الدين بمرص لمثل هذه الجزئيات ثم بقول لك بمقتضى الولاية الايمانية في أي أمة اسلامية ، إن من حرم المصروف الذي حرمه الله نعمة البصر أن يعين له ولي الأمر في المسلمون فائداً مبصراً يكون رزقه على بيت المال ..

فأي تشريع هذا!!! ..

أى تشريع هذا الذي يصمن كل حركة الحياة؟! من الذي قال إن المحتسب الذي يراقب تنفيذ الناس لمنهج الله يمنع الحلاق من ممارسة عمله في اليوم الذي يأكل فيه مصلاً إن مهنته تقتضي أن يكون نفسه في أنف زبونه؟! ..

ان قائل هذا الكلام لا بد أن يكون قوله تشريعاً عالياً . ومع ذلك يتهمون شرع الله بأنه ناقص . بقولهم عندئذ . لا . . ان النقص في ايمانكم أنتم . . انكم لم تستطيعوا حمل أنفسكم على منهج الله ، محاولتم أن يكون الله على دينكم لأنكم لم تستطيعوا أن تكونوا على دين الله . .

وما دامت حركة الحياة مسطمة هذا التنظيم الاسلامي فأي خلل في الوجود وأي قببح فيه يجب على وفي الأمر أن يبحث عن سببه وسيجد أن شيئاً من منهج الله لم يطبق . . فعل سبيل المثال اذا ذهبت لشراء فاكهة من الفاكهي وكان صديقك وكانت الفاكهة غير جيدة انه في هذه الحالة سيبصرك بحقيقة هذه الفاكهة وينصحك ألا تشتري منها وفي الوقت نفسه يسمي الى بيعها للآخرين . . وهذا الفاكهي نقول له : ان قضية الايمان مختلفة عندك . . لا لك لا تحب لأحبيك ما تحبه لنفسك ، فقد صنعت لنفسك ميزاناً دون ميزان الله . .

في حالة أخرى نجد أننا قببحنا الوجود وقبحنا نعم الله . . فنقطف العنب قبل نضجه ليلحق بأسمار السرق المالية في فترة ما . . وفي هذا سخط على النعمة . . لأن الله يريد أن يتمتع أعيننا قبل أن يتمتع أفواهنا . . يقول تعالى :

﴿انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعم﴾ .

ولا شك أن قطف الثمار قبل نضجها يؤثر على شحائها ومدتها ، فعمل العاص
يسخط على نعمة الله . . ومنشأ هذا السخط هو استعجال نعمة الله ، والجهل ، هو المذوم
في ذلك ، فلو تركوا عند الفاكهي ما لم يفسح ولم يشروه لدر الثمن الذي يدر الثمر الذي
يجني الثمر في غير أوانه . . وليت الناس يحسبون الثمر على الله
الاسلام بين العلم والتطبيق :

ثمة لفظة يجب أن ننبه اليها وهي أن نحمل امانة الاسلام كعلمه وسبحي الاسلام
كتطبيقه ، فهناك أمران هما تحقيق الاسلام وتطبيق الاسلام ، فبما أننا مسافرون أعدونا عن
تطبيق الاسلام كمنهج سلوكي للبشر فماذا يكون موقفنا ؟ . .

موقفنا على الأقل يجب أن نكون أمة نبني تحقيق الاسلام أي نعمل الاسلام كعلم ال
أن يأذن الله لخلقه برجل يحمل مسطرة سماوية فيرى العلم والتحقيق موحودين فيطبق
الاسلام . .

أما ان نرى أنفسنا بعيدين عن تحقيق الاسلام فنتركه . . فهذا هو الخطأ . . مطلوب
مننا أن نبقي على ضوء الشمعة الباقية وأن نحافظ عليها حتى لا تنطفئ . . فكل واحد
يأتي فيأخذ من هذه الشمعة قبسا يعمل منه حريقا . .

اذن . . أمة مصر ان لم تكن قد حققت الاسلام منهجا وسلوكا فهي مطالبة بنعمة الله
عليها أن تحافظ على الاسلام تحقيقا حتى تحفظ دين الله للدنيا . . وحتى يأذن الله لمن شاء أن
يجري الخير على يديه ليطبق منهج الله . .

اياكم أن تقولوا . . وما علمنا بعلم الاسلام ؟ . .

دعوا الاسلام محققا وان لم يكن مطبقا ، وبعد ذلك طبق الاسلام فيها ولايتك فيه على
نفسك . .

متى يسقط الحاكم بغير كتاب الله :

ان كل واحد فينا اذا طبق الاسلام فيها ولايته على نفسه لسقط الحاكمون بغير

الاسلام وحدهم . . ولو أن الحكام يعلمون أن الناس يحبون منهج الله لأنهم يرونهم يطبقونه في نفوسهم ، لتقربوا الى شعوبهم بتطبيق منهج الله . .

ان الحكام - في الوقت الحاضر - يتحسسون ما يرضي الشعوب ، فاذا علموا أن الشعب يطبق منهج الله فيما ولايته فيه على نفسه لعلم الحاكم عندئذ أن هذا الشعب عشق منهج الله . . فيتقرب الحاكم الى شعبه بتطبيق منهج الله لأن الشعب طبق منهج الله فيما ليس للحكومة فيه دخل . .

اذن فمهمتنا ذات شقين :

أولاً - أن نسعى ونلح ونجاهد في أن نطبق الاسلام . .

ثانياً - اذا لم يتحقق التطبيق فعلينا أن نحقق الاسلام ونصفيه علماً . . علماً يجلي عقيدة الاسلام تجلية صافية ، ويبين حقيقة القرآن ويبين أن الله كنز في القرآن كنوزاً سيفضي الزمن أسرارها حين يأتي ميلادها . . ويتحقق أن ذلك ليس من كلام البشر لأنه تعرض لأشياء لم تخضر على قلوب البشر أيام تنزيل القرآن . .

فعلينا الآن يجب أن نعد له بأن نجلي الاسلام عقيدة ، ونجلي الإسلام عبادة .
مراحل اليقين :

العقيدة هي الايمان . . والايمان هو اطمئنان القلب الى قضية ما . . بحيث لا تطفو الى المناقشة من جديد . . فهذا هو معنى الايمان . . ان الله موجود . . الله قوي . . الله قادر . . الله خالق . . وهذه هي قضايا عقديّة لا تطفو مرة أخرى لتناقش من جديد . . وان طفت الى العقل للمناقشة فلا يكون هذا ايماناً وانما نكون بصدد مشروع ايمان . . وهناك فرق بين أن نؤمن بالأشياء . . قلة وبين أن نؤمن بها متصورة .
فالمطلوب منك أن تتعقل الأشياء لأن التعقل يعطي الايمان . . والايمان لا يكون بالمحسوس أبداً . .

الايمان يكون بأمر غيبي ، ويتطلب توفر اليقين . . لكن اليقين له مراحل :

- اليقين يكون علما مرة .. ونسميه علم يقين ..
- ومرة أخرى نسميه عين يقين حين ينتقل الى شيء ما .
- ومرة ثالثة : لا يكون عين يقين لكنه يصبح حقيقة يقين ..
- أي أن اليقين الايماني يمر بثلاث مراحل : علما وعينا وحقيقة .

ولتفسير ذلك نضرب مثلا : .ان كنت أنا قد سافرت الى أندونيسيا ثم عدت الى طلابي وقلت لهم هبوا انني قلت لكم انني رأيت فاكهة في أندونيسيا حجمها في حجم البطيخ ولونها لون البرتقال، وطعمها طعم الموز، ورائحتها رائحة التفاح . فباعتراري أستاذًا لهم فسيصدقوني وعندئذ يقال انني نقلت لهم صورة علمية .. حيث يصبح عندهم علم يقين على مقدار توثيق كلامي .

ثم ندخل مرحلة أخرى .. اذا أحضرت للطلاب نفس الفاكهة ووضعتها أمامهم .. في هذه الحالة نتقل من علم اليقين الى عين اليقين .. ثم مرحلة ثالثة : اذا أحضرت سكينًا وشققتها وأعطيت لكل طالب قطعة .. نصبح هنا في مرحلة « حقيقة يقين » بالنسبة للطلاب .. أي أن حقيقة اليقين هي أعلى مستوى في اليقين . ولهذا عندما سأل النبي عليه الصلاة والسلام حذيفة قال : كيف أصبحت قال : أصبحت بالله مؤمنا حقا .. حقا .

فنبه الرسول الكريم الى المجازفة بكلمة « حقا » فباعتراري أستاذًا لهم فسيصدقوني وعندئذ يقال انني نقلت لهم، وسأله عن حقيقة ايمانه . فقال حذيفة :

« عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي ذهبها ومدرها . وكأنني أنظر الى أهل الجنة في الجنة ينعمون والى أهل النار في النار يعذبون » .

والملاحظ أن الذهب شأنه شأن الفضة .. وان المسائل الغيبية رأها حذيفة وكأنها حقيقة .. لهذا قال له النبي : عرفت فالزم .. اذن هذه حقيقة ..

والحق سبحانه وتعالى حين أراد أن يعطي لنا هذه المراحل اليقينية قال في محكم آيته :
﴿أهلأكم التكاثر ، حتى زرتم المقابر ، كلا سوف تعلمون ، ثم كلا سوف
تعلمون ، كلا لو تعلمون علم اليقين ، لترون الجحيم ، ثم لترونها عين اليقين ، ثم
لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾
(سورة التكاثر)

فجاء ﴿علم اليقين﴾ أولا ثم انتقلت الآيات الى ﴿عين اليقين﴾ وفي هذه السورة
اقتصر الأمر على هاتين المرحلتين . . علم اليقين ، وعين اليقين ولكن في سورة أخرى
تتضح حقيقة اليقين ، يقول تعالى :
﴿فلا أقسم بمواقع النجوم ، وانه لقسـم لو تعلمون عظيم ، انه لقرآن كريم ، في
كتاب مكنون ، لا يمسه الا المطهرون ، تنزيل من رب العالمين﴾ .
(الواقعة ٧٥ - ٨٠)

ثم يقول تعالى :

﴿ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون ، فلولا إن كنتم غير مدينين ،
ترجمونها ان كنتم صادقين ، فاما ان كان من المقربين ، فروح وريحان وجنة نعيم ، وأما
ان كان من أصحاب اليمين ، فسلام لك من أصحاب اليمين ، واما ان كان من المكذبين
الضالين ، فنزل من حميم ، وتصلية جحيم ، ان هذا هو حق اليقين﴾ .
(الواقعة ٨٥ - ٩٥)

وهنا لا محل للحديث ﴿ان هذا هو حق اليقين﴾ . . وعندئذ قد تتساءل لماذا ذكر
الله سبحانه وتعالى ﴿حق اليقين﴾ في مسألة الكفار ولم يقلها في مسألة أهل الجنة ؟ . .
فمعقول ان المسبب أن أهل الجنة المذمومين مكفونون من الله بعلم اليقين أما الكفار فهم

الذين يتشككون الى إن يأتي لهم حق اليقين ويصطلوها - أي النار .

* * *

اليقين بالموت :

لم يجعل الله للموت سببا محددًا ولم يجعل له شكلا محددًا ليكون الانسان دائما على استعداد أن يلقى الله في أية لحظة ، فهل ذلك مرتب عند الناس في حركتهم على اليقين بالموت ؟ . .

هم متيقنون ولكنه يقين أشبه بالشك ، ولذلك يجب أن يتذكروا دائما ذلك المنطق ، فيعطي الله الموت في الحياة صورًا متعددة ، فنجد جنينا يبهض ، ونجد جنينا يبهض في مختلف أعمار جنينيته ، فهذا ابن يوم وذلك ابن يومين . . الى آخره ، ونجد طفلا ونجد فتى ونجد يافعا ونجد مريضا يصح ونجد سليها يحتضر كل ذلك لماذا ؟ . .

حتى يبرز الله قضية اليقين بالموت ابرازا يظل في بؤرة الشعور .

الايان بالله :

في شأن مطلق اليقين بقضية ما لا يكفي أن تحمل نفسك على هذه القضية الا اذا واليت نفسك تذكير نفسك بالقضية ، والا تجعلها تذهب الى حاشية شعورك البعيدة ويكون المطلوب : أن تظل القضية في بؤرة شعورك دائما لتتصرف على مقتضاها .

كذلك الايمان بالله . . فالايان بالله يقين بأنه موجود . . ويقين بأن له الكمالات المطلقة ولكن قد توقن ذلك ، ولكن لا تعمل على مقتضاه . . وأنت لا تعمل على مقتضاه لأنك تغفل هذه المسألة وتصير في حاشية شعورك . . فاذا جلست لتتذكر انتهيت اليها .
لمجدد الولاء الايماني :

يريد الله أن يديم على الانسان قضيته . . قضية الايمان به استدامة لا يغفل الانسان عنها أبدا حتى تكون حركته في الحياة موافقة لمنهج الله الذي أنزله . .

كيف يتحقق ذلك ؟ . . .

لا يكفي أن تؤمن بل لا بد أن تجدد ولاءك الايماني دائما فالله يناجيك كل يوم خمس مرات ليذكرك بقوله « الله أكبر » . ليذكرك أن الايمان به أولى من كل حركة تشغلك عنه في الوجود . محس تقول الله أكبر . معنى ذلك أن أي شيء لا يشغلك عن هذا الإله . . لأن الله هم واهب حركتك ومحرك والمادة التي تتفاعل معها . . فلا تقل شغلني كذا . . لأن الله أكبر من كل ما يشغلك عنه . .

لأن الذي شغلك عنه من عطائه ، فكيف يشغلك عطاؤه عنه . . هل أنت تريد فقط أن تكون مع النعمة ؟ . .

ان الله يريدك أن تكون مع النعمة ولكن . . اذا دعاك المنعم تركت النعمة وذهبت اليه . .

ذلك هو حلال البغض الايماني فشرع الله لك الولاء الايماني بالصلاة تدعى اليها كل يوم خمس مرات . .

واذا نظرت الى ذلك الولاء الايماني . . لم يتركه لك الله تشريعا لتتفكر أنت وتذهب اليه كل يوم خمس مرات ولكن جعل لك شعارا ينادي ليذكرك . . « الله أكبر » . . معنى الله أكبر :

ان « الله أكبر » تعني أن كل شيء يشغلك عن الله هو أكبر منه فاذا ما ذهبت اليه وهو داعيك . . وهو ربك . . داعيك لا لتأخذ اليه شيئا من نعمته عليك لترده اليه ، فأنت لا تدخل عليه هدية مثلا . . وانما دعاك ربك لتأخذ أنت منه الهداية والهدية . . اذن فهو يحب لصحته أن ترتقي ولذلك يجدد لقاءه بها فيأمر تكليفا أن تذهب اليه والى دعوته كل يوم خمس مرات . . دعوة مفتوحة :

أروني مسيطرا على جماعة بأسرهم ويكلفهم أن يذهبوا اليه كل يوم ولو مرة واحدة !!؟ . .

ان الانسان قد غمر حياته كلها ولا يحظى بلقاء من يحكمه مرة واحدة ، واذا عن له ما

يريده يطلب ويكثر ويلج ويطرق الأبواب حتى يلقاه ، وإذا ما سمح له أن يلقاه ماذا يكون الموقف ؟ . . . يحدد هو الزمان ويحدد هو المكان والمدة . . . ويجدد موضوع الحديث . . . هذا ان قبل . . .

فكان ربك المستغني عنك يقول لك أنا أدعوك الى رحابي كل يوم خمس مرات ، وأنا لا أقتصر في لقاءك على خمس مرات ، فان أردت أن تلقاني كل لحظة فمرحبا ، فأنا لا أمل حتى تملوا ، وان أردت أن تديم معك وقتي كله فأنا لا أمل حتى تمل أنت .
ولذلك يجد المقربون الى الله أنهم بفريضة الصلاة عليهم أعزهم الله وجعلهم في رحاب حضرته ليديم عليهم عطاه . . . ولهذا قد نرى الرجل المقرب الى الله يقول ، وهو يدرك هذه المسألة التي ربما تمر على كثير منا دون فكر ودون وعي . . . يقول الرجل المقرب الى الله :

حسب نفسي عزا بأن عبدا
يحتفي بي بلا مواعيد رب
هو في قدسه الأعز ولسكن
أنا ألقاه متى وأين أحب

ومن العجيب في أمر الله مع خلقه أن يترك الله الأعلى انتهاء المقابلة للعبد . . . بينها جرت عادة العظماء أن ينهوا هم المقابلة بوقوفهم ، ومعنى وقوفهم انتهاء المقابلة . . . ولكن الله يظل معك الى أن تنهي أنت معه المقابلة . . .
عطاه الله وهداياه :

أي عظمة تجعل الانسان يفخر بأن خالقه المستغني عنه يدعوه الى رحابه كل يوم ، وإذا ما دعا داع الى بيته - والله المثل الأعلى - يعطي الداعي المدعو من التحف والافضال والاکرام ما يناسب منزلته ، فهذا يعصى قهوة وذلك يعطى شاياً وآخر يعطى فاكهة . . . كل يعطى على حسب قدره . . .

اذن فأنت اذا دعيت الى حضرة الله كل يوم خمس مرات فلكه العطف ونحية يجيبك بها في بيته ، وما دامت التحية على أقدار الداعي والمحيي ، فانظر الى هديتك على قدر ربك .. فماذا يعطيك .. يعطيك العطاء الخفي لأن كل معط يعطي على قدر ذاته وصفاته ..

أنت تذهب الى الطبيب فعطيك أمرا ماديا ودواء ماديا لأن الطبيب مادي ..

وتذهب الصنعة الى صانعها في مصنعه فيجد سلكا دقيقا مقطوعا أو سمارا صغيرا مفقودا قد عطل الآلة فصينته أن يضع هذا المسمار ، وهو هنا أعطي أمرا ماديا .. لأنه مادي يعطي من جنس ذاته .. ولكن ربك غيبي فهو يعطيك من جنس ذاتيته وغيبه فلا تقل ماذا أخذت لأن عطاءه غسي . فهو الذي أعطاك الطاقة ، أعطاك الشحنة ، أعطاك اليقين .. وهذا كله بعض من عطاء الله سبحانه وتعالى حين يناديك لتكون في حضرة ..

ان مثولك بين يدي الله خمس مرات كل يوم يديم ولاءك للحق وان حضورك الى بيته واطلاق ولائك له خمس مرات كل يوم وما ناله من فيض كذا خارج البيت فأنت فاعله بالضرورة لأن في ذلك استدامة للولاء له ..

اذن فمشروعية معنى الأركان الاسلامية هو الأساس الذي يبنى عليه احترام كلمة

افعل ولا تفعل ..



فضل الجماعة

صلاة الجمعة والولاء الجماعي :

ان الله حين شرع اركان الاسلام انما شرعها ليديم ذكر الانسان للاله الواحد ويديم ذكره لصدق الرسول المبلغ عن الله ويديم ولاءه له اعلانا في كل يوم خمس مرات ، ولكن الله لم يلزم في اللقاء إلزاما الا في صلاة الجمعة . . فقال تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون﴾ .

(الجمعة ٩)

لان الله لا يريد استدامة الولاء الفردي فقط ، وانما يريد استدامة الولاء الجماعي لان الولاء الفردي قد أعلنه وحدي ولكن الولاء الجماعي اعلان مني بالعبودية لله امام بقية خلق الله . . فحينئذ ينقطع في البشرية مظهر الاستعلاء . . كأن الله يقول لنا . . أنا أريد منكم جميعا أن تعلنوا عبوديتكم لي لا من وراء بعضكم البعض ولكن باجتماعكم معا حتى اذا ما رأى الضعيف - هذا الضعيف في مظهر الحياة الخارجية - اذا ما رأى القوي في حركة الحياة الخارجية مساويا له في سجوده لربه وخاضعا استقر في ذهنه أنه مساو له ، واستقر في ذهن الكبير أيضا أن غيره قد رآه في موقف الدالة لربه ، فلا مظهر للتعالي في أي صورة . . لذلك يلزمنا الله أن نعلن العبودية جماعة كل أسبوع مرة ﴿اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله﴾ . . ولنتذكر جيدا كلمة الى ذكر الله . . فكان هذا اللقاء يذكرك بعظمة القادر .

فقد ينعقد في نفس الانسان الضعيف أنه صار ضعيفا ، وفي نفس القوي ينعقد شعوره بأنه صار قويا . . تحييء صلاة الجمعة فتذكر الاخير بأنه عبد . . حيث يذهب ويستوي مع الناس جميعا بحيث يراه الضعيف . فأنت اذا ما رأيت رئيسك وقد وقف باكيا

لله . . بينما كنت تعبّر هذا الشئ هو في أي وقت رأيت فيه . . وعندئذ تدرك أنه ضعيف
مثلك وهنا سمعتم السواقة
لماذا البيع دون الشراء ؟
انظروا الى دفع الأداة المباشرة
﴿فاسمعوا الى ذكر الله وادروا البيع﴾ .

بالطبع لا يوجد بيع إلا إذا وجد شراء . فلماذا قال سبحانه وتعالى ﴿وذروا البيع﴾
واختار أحد ركبي الصيغة وهو البيع دون الشراء ؟ . السبب أن البائع دائماً يفضل البيع
لكن المشتري قد يشتري وهو خاره . هي أن الشراء قد لا يكون ممكناً في كل لحظة فقد تجد
المحل الذي تشتري به مغلقة أو قد يعرض على المحل كمبرر للتهرب من الشراء لعدم
الرغبة فيه . لكن لا أحد يحنق المبررات لكي لا يبيع لأن البيع يؤدي مباشرة الى
الربح . .

اذن ورد البيع دون الشراء لأن كل بائع يجب أن يبيع وليس كل مشتر يجب أن
يشترى في أي وقت . قد ثبت الآية امع الوان الصفة . .

وقد تنساءل ماذا نحبز المحارة والبيع في هذه الآية ؟ . . لأن كل عمل من
الأعمال له ميلاد رسمي فإذ طلت من نلمس أن يترك المذاكرة لن تتحقق الفعالية لأن حصيلة
المذاكرة لا تظهر إلا في آخر العام . وإذا كان المطلوب ترك الزراعة . . فالزراعة لا تظهر
حصيلتها إلا في وقت الحصاد . لكن الأمر يختلف في البيع فالبيع ربحه عاجل ومباشر إن
الله سبحانه وتعالى بأمرنا أن نترك أمتع الأشياء وأقربها ثمرة وهو البيع ونتجه الى الصلاة . .
لنكون جماعة ، وينحضر الاستشعار الولائي الجماعي وهذا هو الذي يكون المجتمع
المستطرق .

لفضل الجماعة .

انك اذا نظرت الى نوحه الله لنا حين نقرأ فاتحة الكتاب :

﴿أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب
العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين﴾ .

لأنك أنت الذي تقرأ وكان المفروض أن تقول «اياك أعبد وإياك أستعين» .

ولكنك تقول معبرا عنك وعن غيرك ، وغيرك يقول عنه وعن غيره ، نردد جميعا ﴿اياك نعبد واياك نستعين﴾ . . فلماذا؟ . . .

أنت قد لا تطمئن الى قبول عملك عند الله . . لكن اذا وجد جمع كبير لن يخلو هذا الجمع من عابد مقبول عند الله . . فاذا أنت ضمنت نفسك الى العابدين . . فقد يقبل الله تعالى الجماعة كلها وأنت بينهم . .

ومن هذا المنطلق نقول . . انك اذا رأيت انسانا مقبلا على منهج الله وأنت غافل عن هذا المنهج في بعض الأحيان فاياك أن تخسره لأنك في وقت من الأوقات ستحتاج الى الانضمام اليه . . لكي يقبل عملك معه . . فمن خيرك اذن أن يوجد أناس منقطعون لله بينهم وبين الله وفق . . لأنك حين تقول ﴿اياك نعبد﴾ فقد يعمك الخير . . ولهذا لا ينبغي أن يكون حظهم منك أن تسخر منهم وأن تلمزهم وأن تحتقرهم حتى لا تضيق على نفسك وتحرم نفسك أطواق النجاة في الحياة . .

فاذا رأيت رجلا متعبدا . . فلا تحتقره . . لأنه قد يقدم لك طوقا من أطواق النجاة حين تشترك معه في عمل ربما ان انفردت به لا يتحقق القبول . .

اذن برسوخ هذا المفهوم وتطبيقه يتحقق في نفس الانسان الولاء الجماعي واستطراق العبودية ويتيح الانسان لنفسه أن يجد طوقا من أطواق النجاة .

ولنفترض حالة قيام مظاهرة ، والجماهير تكرر المتأف . . ثم يكون القبض على بعض المتظاهرين . . سيقول كل من المقبوض عليهم : لست أنا الذي كان يهتف . . محتميا في ذلك بالجمهور . . فالجماعة هنا كانت في مصلحته . . ولهذا حين يرغب الله الناس على الحضور يوم الجمعة لصلاة الجماعة . . فهذا يكون لمصلحة الناس . الزكاة بالوقت :

ترى . . لماذا يتكاسل بعض الناس عن الصلاة ؟ هل لأن الصلاة تستغرق وقتا . . وأن وقت الصلاة يعطل حركة الانسان العملية في الحياة؟ . .

اذا كان الأمر كذلك . . نقول . . من أي شيء تستمد قيمة الوقت؟ . . هل لك

تتحرك فيه . . وما قصة الحركة ؟ . هل لتكون لك جدوى في الحياة فتكسب مالا ؟ .
ان الحق سبحانه ، تعالى اذا اطمأن الى أنك ضحيت بالوقت الذي تخسر فيه حركة
تؤدي الى كسب المال . . فأنت أيضا اذا ما تحدثت و جئت بالمال يديم الله ابتلاء عبوديتك
باعتبار أن المال الذي كسبه من الحركة يجب أن تخصصه لآخوانك الضعاف فيشرع
الله الزكاة . .

وحيثما بقرا المؤمن القرآن بعد أنه يقول له اخرج الزكاة ان كان عندك مال وكذلك
الفعل وتحرك لغرض الرخاء . وهناك فارق بين العبارتين : بين أن تؤدي الزكاة وأن تنفعل
وتتحرك في الحياة بقصد الرخاء . . يقول تعالى :

﴿ قد أفلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو
معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ﴾
(المؤمنون ١ - ٤)

قال تعالى ﴿ للزكاة فاعلون ﴾ ولا يقل « مؤدون » لأن مؤدون تعني وجود المال عند
الشخص وبالتالي يؤدي عنه ومه الزكاة ، أما « فاعلون » فتعني غير ذلك المعنى . . اذ
يرتبط معناها بحركتك في الحياة سبة الكسب لتعمل نفسك ومن تحب ومن لا يقدر على
العمل فتعطيه من فضل الله .

اذن عملية « العمل » تكون في بالك عند الفعل فلا تكون حركتك من أجل نفع
نفسك ومن تعمل بحسب لا بد من اضافة للضعيف الذي لا يقدر على العمل فيكون له في
مالك نصيب .

اذن ﴿ هم للزكاة فاعلون ﴾ لأن غير المؤمن يفعل ويتحرك في الحياة لنفسه ولأهله . .

وهنا تظهر فائدة الدين ، مهم الذي يصعد حركتك ، يعرفك أنك ان لم تكن متدينا
ستصنع لنفسك ولأهلك . . أي ان العرفي بين المتدين وغير المتدين أنه يصنع لنفسه ولأهله
ولن لا يقدر على الحركة . فيكون من أهداف حركته أن يفيض عنه شيء ينفقه في سبيل

الله . . ولهذا تكون قضية الزكاة من ماله في ثورة شعوره ساعة الحركة . فينظر في الكون على أنه ليس وحده فيه ، ففيه أناس كثيرون وبعضهم لا بعد ، على العمل ؛ قد جعلهم الله كذلك لا ضئلا منه عليهم بالرزق ولكن تربييا لفائدة الدرى في نفس الانسان حين يرى وهو قادر على الفعل انسانا آخر غير قادر على الفعل . . وكلهم خلق الله . عندئذ تتحرك في نفسه الاريحية . . فيقول : « وهبني أنا غير القادر » . .

اذن على القادر أن يتحرك حركتين حركة تسعه وتسع من يعول ، وحركة تسع من لا يتحرك ولو من باب الشكر لله الذي جعله قادرا ورفع عنه الضعف في تلك الحياة . . قضية القدرة والعجز :

ونصل الى أغيار الحياة . . ومعنى أغيار الحياة عدم ثبات المتحرك في الحركة . . حيث يصبح قوي اليوم ضعيفا في الغد . . وما دمت أعرف هذه الحقيقة فمن مصلحتي أن أعين الضعيف بحركتي . . حتى يمكن لمن هو أقوى مني فيها بعد أن يعينني فترة ضعفي . ولهذا لم يجعل الله أناسا قادرين على الدوام أو يجعل أناسا عاجزين طوال العمر . . بل عمل قضية القدرة والعجز فجعلها قضية مستطرفة في الخلق جميعا حتى يظل الانسان وهو قادر مستشعرا أنه سيعجز ، وحين يستشعر أنه سيعجز يكون من مصلحته أن يتحرك المتحرك القادر حركتين : حركة تتسع له ولأهله وأخرى تتسع للضعيف .

* * *



الله والنفس البشرية

الله والنفس البشرية

ان الانسان يتصل بالعالم الخارجي بواسطة الفطرة . نحس بها ولكننا لا نفهمها . . . فنحن حين نحس ونكره . . . مهما حاولنا تفسير ذلك الاحساس لا نستطيع أن نصل الى حقيقته . . . وعندما نولد نبدأ الفطرة عملها . . . قبل الحواس . . .

يقول فضيلة الشيخ محمد سولي الشعراوي في حديثه ان الانسان في صلته بالعالم الخارجي يتمتع بما نسميه الحاسة . . . أو الحواس . . . فأنت ككائن بشري حين تتصل بالعالم الذي يحيط بك . . . فانك تتصل به عن طريق حواس حددت بخمس هي : ان يسمع الانسان ويرى ويشم ويلمس ، يتذوق . . . هذه الحواس نفهم بواسطتها العالم الخارجي وتميز بواسطتها هذا العالم ، بل ونعطيه صغانه التي نطلقها عليه . . . فصغات الألوان مثلا نميزها بحاسة البصر . . . ونوع الطعام مثلا نعطيه لفظ الحلو . . . ولفظ المر . . . ولفظ الجيد . . . ولفظ الرديء . . . بحاسة الذوق الى اخر هذا الكلام . . . اذن فنحن نتصل بالعالم الموجود خارجنا عن طريق هذه الحواس . . . ولكن ماذا عن عالم ما هو داخل النفس البشرية . . . وكيف يمكن أن يتم الاتصال بين الانسان . . . وما هو موجود في داخله . . . هل يتم هذا الاتصال عن طريق الحواس . . . أو عن طريق أشياء أخرى يطلق عليها بعض الناس البدييات . . . وبعض الناس لفظ إهام خاص . . . وبعض الناس الفاظ أخرى . . . ولكن المؤكد أن هذا الاحساس الذي يتم بالنسبة لما في داخل النفس البشرية لا يتم عن طريق الحواس الخمس التي تتصل بها بالعالم الخارجي . . . وإنما يتم عن طريق أشياء أخرى يطلق عليها كما قلت إهام أو احساس داخل الى آخر هذا .

ولشرح الموضوع شيء من التمهيل . . . نبدأ أولا بالأشياء التي يصل اليها الانسان عن طريق حواسه التي توصله بالعالم الخارجي . . . فهو يرى ألوانا مختلفة . . . ويسمع أصواتا مختلفة . . . ويلمس أشياء مختلفة . . . ويتذوق طعاما مختلفا . . . ويشم روائح مختلفة . . . هذا هو اتصال الانسان بالعالم الخارجي . . . أما اتصاله بما في داخله فيأتي مثلا عن طريق شعوره .

بالجوع .. إننا لا نرى الجوع .. ولا نلمسه .. ولا نشمه .. ولا نتذوقه .. ولكننا نشعر به .. وما ينطبق على الجوع .. ينطبق على الأشياء الأخرى .. مثل الحب والكره مثلا .. الانسان يحب شخصا ما .. ويكره شخصا ما .. أو شيئا ما .. دون أن يكون لذلك سبب حسي معروف .

اذن فهناك أشياء في داخلنا .. تسمح لنا بأن نشعر شعورا معيناً .. هذا الشعور نحس به ونعرفه تماما .. ولكننا لا نراه بحواسنا .. ان الانسان مهما قال في شرح أسباب الحب والكراهية لا يستطيع أن يصل الى الحاسة التي تسبب الحب .. أو التي تسبب الكراهية .. فهذه الحاسة لا تدخل ضمن الحواس الخمس .. التي يتصل بها الانسان بالعالم الخارجي .. أو التي تحدد علاقة الانسان بالعالم المادي .. ومن هنا فان العلماء حريصون حينها يتحدثون عن الحواس أن يقولوا ان هذه الحواس هي التي توصل الانسان بالعالم الخارجي .. وان الانسان له ملكات وغرائز وشعور وإلهام .. وأشياء أخرى في داخله توصله بداخل النفس البشرية .. وتؤثر في هذه النفس ..

والذي لا يخضع للمنطق أن نحاول أن ننكر أن في داخل الانسان أشياء كثيرة غير الحواس التي توصله بالعالم الخارجي .. وان الانسان يستطيع أن يتصل بالعالم .. بينما ما بداخله يترك بلا اتصال أو احساس معين بل الحقيقة أن الالهام أو الشعور والاحساس بما في داخل النفس البشرية يوجد قبل احساس هذه النفس بما حولها من العالم .. تلك سنة الخلق .. فالطفل الصغير مثلا يحس بالجوع والعطش .. ويعبر عنها بالبكاء قبل أن يستطيع أن يستخدم حواسه في الاتصال بالعالم الخارجي .. وهو يحس بالحنان والدفء .. والحب والكره .. والقسوة .. والرحمة .. كل هذه الأشياء توجد في داخل نفسه مع دقائق الحياة الأولى .. بينما الحواس قد تنتظر أسابيعاً أو شهوراً قبل أن تستطيع أن تؤدي مهمتها بشكل يمكن أن يعبر عنه .

وإذا درسنا هذه الحواس الداخلية .. نجد أن أقواها هو احساس الانسان بوجود الله . هذا الاحساس الذي قد يفتقر الى شيء من الدقة بالنسبة لمعظمة الله وقدرته .. والكون .. ووجوده .. وكل شيء من هذا النوع .. ولكن هذا الاحساس يؤكد وجود قوة داخل الانسان تدفعه الى أن يشعر ويحس بوجود الخالق سبحانه وتعالى ..

أحاسيس النفس :

ولكي أوضح هذه النقطة . . أحب أن أقول ان النفس البشرية التي فيها أحاسيس لا نستطيع أن نحللها بدقة . . ولا أن نصل اليها لنعرف ما هي . . نحس أيضا هذه النفس احساسا يقينيا بوجود الله سبحانه وتعالى . . فاسم الله مثلا هو شيء لا تدركه الحواس الخمس . . لأنه أكبر من قدرتها . . ولكن تدركه حاسة داخل الانسان . . حاسة غير مرئية . . ومن هنا فان كلمة الله هي فوق قدرة الحواس الخمس . . نجد أن الأذن تفهمها عندما تسمعها . . ولا يمكن للأذن أن تفهم شيئا لا يوجد أصلا داخل النفس البشرية . . بحيث يكون التصور هنا ليس غريبا تماما . . على هذه النفس . . بل هو معروف لها بشكل قد لا نفهمه نحن . . ولا نستطيع أن نحلله . . ولكنه معروف . . فعندما يذكر لنا أحد اسم الله . . فان الذي يقفز الى عقولنا هو وجود قوة خارقة . . هي التي أوجدت هذا العالم . . وان هذه القوة خارج نطاق العقل . . بل وخارج نطاق الحواس . . اذن . . كيف ندرك وجود هذه القوة . . وكيف يكون اسمها مألوفا عندنا . . وهي خارج نطاق الحواس . . وخارج نطاق العقل . . هنا يأتي ما في داخل النفس . . وهو الالهام . . أو الشعور . . ليقول لنا ان هذه القوة رغم أنها فوق مستوى العقل والحواس . . فانها موجودة داخل النفس . . والنفس تفهم وتحس بوجودها . .

وفي العصر القديم بدأ الفلاسفة . . خصوصا فلاسفة اليونان يبحثون عما وراء المادة . . عما وراء هذا العالم المادي . . عن الخلق . . وعن القوة التي أوجدت هذا العالم . . الى آخر فلسفة اليونان القديمة . . عن ما وراء المادة . . من الذي قال لهم ان هناك شيئا وراء العالم المادي . . يجب أن يدرس كيف عرفوا أن هناك شيئا خلاف المادة . . مع أن الحواس الخمس لا تقول لنا شيئا عن المادة . . ونحن هنا لا نناقش فلسفة اليونان . . وسواء نجحت هذه الفلسفة أو غيرها . . أو فشلت . . موضوع لا يهمنا في هذه الحلقة . . وانما الأمر الذي يهمنا أنهم كانوا مدفوعين لينظروا الى ما وراء الطبيعة . . وأنه كانت لديهم أشياء داخل أنفسهم . . ليست أشياء حواسية . . أي لا تخضع للحواس ليفعلوا ذلك . .

بل ان الانسان منذ فجر التاريخ . . منذ بداية خلقه . . وهو يبحث عما وراء

المادة . . يبحث عنه بطرقه المختلفة . . وهو أحيانا يتخذ سبيلا أو اخر لاظهار خضوعه أو عبوديته لهذه القوة التي هي وراء المادة ولكن المهم في هذا كله . . أن هناك شعورا داخليا في النفس البشرية . . يقول لها ان هناك شيئا وراء الطبيعة . . ان هناك قوة ما وراء هذا العالم . . وان هذه القوة . . هي قوة عظيمة وخارقة . . هناك شعور داخلي في كل نفس بشرية لوجود الله . . تلك القوة التي هي وراء هذا الكون . . هناك شيء داخل النفس البشرية يجعلها تدرك أو تفهم أن العالم المادي الذي تراه لا يمكن إلا أن تكون وراءه قوة خارقة قادرة منظمة قوية . .
العالم والمادة :

ولكن هذا العالم المادي نفسه الذي نعيش فيه . . لا يمكن أن يخلق فينا هذا الشعور . . لا يمكن أن يقول لنا اذا استخدمنا حواسنا فقط أن هناك قوة قادرة قاهرة خلف كل هذا . . اذن لا بد أن هناك قوة أخرى خلاف هذا العالم المادي هي التي وضعت فينا هذا التصور . . وهو أن هناك شيئا خلاف المادة يجب أن يتم البحث عنه . . ومن هنا بدأ البحث والفكر والاتجاه نحو هذه القوة . . ولولم يكن هناك شعور في داخلنا . . واحساس قوي بوجود هذه القوة لما بحثنا . . ولما وجد كل هذا البحث عبر تاريخ البشرية .

على أن هناك ملاحظة أخرى أحب أن أسجلها . . هي أن الانسان حين يصل الى مرحلة التفكير في وجود الله . . أو المرحلة التي يعقل فيها أن هناك قوة خارقة وراء هذا الكون . . لا بد أن تكون قد مرت فترة من عمره . . فالانسان عادة لا يبدأ في التفكير في مثل هذه الأمور . . والتحدث عنها بعمق دون أن يكون قد تجاوز سن العشرين أو الثلاثين على الأقل . . ليكون لديه نضج العقل الكافي لمناقشة أمر عميق كهذا . . والسؤال الذي يجب أن يطرح هنا . . هو بأي منطق عبد هؤلاء الناس الله . . قبل الوصول الى هذه السن . . وكيف تفهموا كل هذه الفلسفة التي تحتاج الى عقل ناضج . . والى علم ودراسة وتأمل . . حتى يستطيعوا أن يصلوا الى أن هناك شيئا وراء المادة . . ولكننا نجد العقول البسيطة التي لم تقرأ كتابا واحدا . . تعرف أن الله موجود . . وتعبد به بفهم . . ونجد أولئك الذين لم يناقشوا هذا الموضوع على الاطلاق . . يعرفون وجود الله . . ويقومون بعبادته . . بل ان أكثرهم يحس بانسجام فطري غريب بأن الله سبحانه وتعالى . . ووجود الكون شيئا

لا بد منها . . وأن وجودهما حقيقة داخل النفس . .

ان هذا الشيء نفسه . هذا الذي يوجد داخل النفس البشرية ليؤكد أن هناك شيئاً وراء المادة . . وأن هناك قوة تدعى وراء هذا الكون . . دون أن تكون قد وصلت الى سن التوضيح والدراسة والعلسفة التي تؤهلها لمناقشة هذا الموضوع . . هذا في نفسه دليل على وجود الله سبحانه وتعالى . . فلفند عبده عن ايمان خلق في قلوبهم . . منذ اللحظة التي يولدون فيها . . واطلاقاً من هذا الايمان عندما نضجوا . . قادوا عقولهم الى التفكير . . وسواء سارت العقول في الطريق السليم . . أو ضلت الطريق . . فالإيمان بالله . . والبحث عنه . . ووجود شيء فوق العالم المادي موجود في النفس البشرية . . بالفطرة وليس بالعلم . . ولو وجد بالعلم لكان لا بد أن يبدأ عندما يبلغ الانسان سن التوضيح في التفكير . . ولو كان موجوداً بالعلم عندما وصل العلم الى مرتبة العجز . . عجز العقل البشري عن الوصول الى صفات الله وقدراته . . لتركت هذه القضية على أساس أنها فوق قدرة العقل . . ولكن بالرغم من أنها فوق قدرة العقل . . فهي قضية مثارة . . وأجهد الناس أنفسهم بها . . من واحد يحاول أن يصل الى وجهة نظره حول هذا الموضوع . . ومعنى هذا الجدل كله الذي يمضي ولن ينتهي . . ومعنى البحث عن أدلة عن القوة الموجودة وراء العالم المادي . . معانها أننا نعرف وجود الله بالفطرة . . وأنه يوجد داخل أنفسنا ما يؤكد أن الله موجود . . والا لما أُنهكت النفس البشرية قواها في هذا الجدل . . ولكن العقل البشري بعشر مئة مئة وسعيداً بالعالم المادي . . الذي خلق فيه . . ولا يحاول أن يصل الى أكثر من ذلك

رسالات السماء

ان الذين اتخذوا الها يعبدونه غير الله . . هم الذين وضعوا منهج العبادة حسب أهوائهم وأغراضهم . . ولكن رسالات السماء حددت للانسان طريق العبادة والطاعة . . وفرق بين عقل يخضع الخالق لحكمه وأهوائه . . وبين اله تخضع له كل العقول وتمعجز أمامه . .

والايمان بالله قضية مثارة . . أجهد الناس أنفسهم فيها . . كل واحد يحاول أن يصل الى وجهة نظره حول هذا الموضوع . . ومعنى هذا الجدل كله الذي يمضي ولن ينتهي . . ومعنى البحث عن أدلة عن القوة الموجودة وراء العالم المادي . . معناها أننا نعرف وجود الله بالفطرة . . وأنه يوجد داخل أنفسنا ما يؤكد أن الله موجود . . والا لما أنهكت النفس البشرية قواها في هذا الجدل . . ولكان العقل البشري يعيش مطمئنا . . وسعيدا بالعلم المادي الذي خلق فيه .

ولكننا اذا نظرنا الى أولئك الذين يعبدون المادة . . نجد أن نفوسهم في داخلها قلق رهيب . . رغم ما يحققونه من نجاح في العالم المادي ففي أمريكا والسويد مثلا . . أعلى نسبة في الانتحار في العالم . . مع أن هذا يخالف المنطق والعقل . . فالذي يقوله المنطق . . انه اذا كان العالم ماديا فقط . . وحصل هؤلاء الناس على كل ما تستطيع المادة أن تبهم اياه . . لكانوا أسعد الناس نفسا . . ولكنهم بشهادة الاحصائيات هم من أشقى شعوب العالم نفسيا . . وأكثرها عرضة للجنون . . لماذا ؟ . . لأنه يوجد في داخل النفس البشرية شيء ما يؤرقهم . . شيء ما لا يحقق لهم الانسجام بين هذه النفس والكون . . شيء ما يحول حياتهم التي فيها كل أنواع الترف الى جحيم نفسي . . ذلك الشيء هو عدم الايمان . . انه يورثهم أشياء كثيرة . . تحطم النفس تحطيا . . لماذا ؟ . . لان الانسان هنا منسجم مع الكون بحواسه الخمس . . التي يتصل بها . . بهذا الكون المادي . . ولكنه

ليس منسجما مع نفسه في فطرتها التي خلقت عليها في عبادة الله . . والايان به . . ومن هنا فانه رغم انسجامه مع الدنيا . . تنبى داخل نفسه . . لأن هناك شيئا داخل هذه النفس . . يورقه . . لا يعطيه الحياة الامنة المطمئنة . . ذلك الشيء هو الايمان . . بينما نجد أن هناك نفسا سسطه . لا تعطيهها الدنيا كثيرا . . ولكنها تعيش في اطمئنان غريب . . حياتها حلوة . . فإسها سعيد . . عيشتها مطمئنة . . يضيء داخلها نور الايمان بالغد . . ولا يدخل اليها ظلام البأس والقلق . . تلك النفس رغم أنها غير منسجمة مع العالم المادي في أنه لم يعطه كل ما تطلب . . إنما هي منسجمة مع داخلها بالايان بالله . . وهذا الانسجام يأحد مها كل الشقاء الذي يقود الى الجنون والانتحار . . ويدخل فيها العثمائية . . ويمنحها الحياة السعيدة .

اذن فانسجام النفس مع العالم المادي . . قد يورثها شيئا من الحرمان . ولكن عدم انسجام النفس مع داخلها . . عظمها تماما . . ويقضي عليها . . ولذلك كما قلت فان الايمان بالله هو من أقوى ما يسمه الفطرة . . أو الالهام . . أو الاحساس الداخلي الذي يجعل الانسان منسجما مع داخل نفسه . . مطمئنا في حياته . . وعدم الايمان يحطم الانسان نفسيا . . رغم ما يحبط به من معين مادي . . وهنا يكون الشعور الفطري الذي يولد مع النفس البشرية . . بأن الله موجود . . وأنه خالق كل شيء . . ومدبر كل شيء . . يكون هذا الاحساس هو أقوى احساس في داخل النفس وخارجها . . فلا يستطيع أن يعرضه الكون المادي . . وكما يسمح للنفس البشرية . . ولا يستطيع أن يعرضه الأحاسيس الأخرى التي تولد داخل النفس البشرية . . ونسميها الفطرة . . كالحب والكره . . والجورع . . الى اخره . . تلك الأشياء التي مهما تحدثنا عن أسبابها ومصدرها . . لا نستطيع أن نصل الى الحاسة التي تسبب هذه الأشياء . . فلا أحد يستطيع أن يصل الى الحاسة التي تسبب الكره . . أو التي تسبب الحب . . أو التي تسبب الحنان . . الى آخر هذا . . ومن هنا فان الايمان بالله يولد فيها بالعطرة . . ثم بعد ذلك نحاول أن نخضعه لتفكير العقل . . وهنا يحدث التصارب .

ولكن اذا كان يوجد داخل أنفسنا ما يؤكد وجود الله . . فما الذي أوجد هذا القلق في العالم . . وما الذي أوجد المذاهب المتضاربة . . ولماذا يحاول بعض الناس أن يثبت

وجود الله . . وبعض الناس أن ينكر وجود الله . ما سبب هذا التضارب العجيب الذي نراه . . ما دامت النفس البشرية يوجد فيها بالفطرة ما يؤكد وجود الله . .

الحقيقة أن الذي صنع هذا هو أن الفلاسفة وكل من حاول أن يخوض في هذا الموضوع . . وضع الخيال مكان المنطق . . ووضع التصور مكان التفكير . . ومن هنا فإن العقل البشري في محاولته أن يخوض فيها هو أكبر من قدراته . . لم يستطع أن يقدم ما يريده . . فانطلق الى الخيال .

وأريد هنا أن أضرب مثلاً يوضح ذلك . . إذا أقفلنا باب هذه الحجرة التي نجلس فيها . . ثم طرق أحدهم الباب فكلنا يعرف أن هناك شخصاً ما هو الذي طرق الباب . . هذه قدراتنا . . وهذه نقطة لا خلاف عليها . . فإذا بدأنا نسأل أنفسنا . . من الذي طرق الباب . . هل هو رجل أو امرأة . . قصير أم طويل . . أبيض أم أسود . . عربي أم أعجمي . . هنا تبدأ الخلافات . . لماذا؟ . . لأننا لا نحكم المنطق . . ولكن نحكم الخيال . .

وهذا هو ما حدث بالنسبة للفلاسفة . . لقد أرهقوا أنفسهم في تخيل الله . . مع أن هذا التخيل . . وما يستطيع أن يهبه هذا العالم من مال وأمان . . الى آخر ذلك . . ولعل أكبر دليل على ما أقول . . أنه في أكثر الدول المتقدمة مازيا . . أعلى نسبة من الانتحار والجنون . . خارج عن نطاق العقل البشري . . ومستحيل . . ذلك لأننا لكي نتخيل شيئاً ما . . فإن هذا الشيء يجب أن يشبه شيئاً في قدرات العقل . . فأنت حين تريد أن تشرح شكلاً معيناً لإنسان . . ولا يستطيع أن يفهمك . . تقول له : انه شيء يشبه الكرة مثلاً . . وحينئذ تكون قد نقلت لهذا التصور من خارج قدرة العقل البشري الى داخلها . . فاستطاع الانسان أن يتصور ذلك الشيء . . ولكن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء . . إذن كل ما سيقوله الفلاسفة هو من باب التخيل الذي لا يمكن أن يدركه العقل . . ولا يخضع لمنطق . . ومن هنا فإننا لو حكمنا المنطق لما اختلفنا . . ذلك أن الله سبحانه وتعالى أخبرنا بنفسه عما يريدنا أن نعرفه عنه . . وعن عبادته . . ولكننا نريد أن نتجاوز ذلك . . الى أشياء ليست في قدرة العقل البشري . . فنضيع . . ولو أننا تمسكنا بما قاله لنا الله . . لكان في ذلك المنطق السليم . .

اذن فان ما مة كد وجود الله . . موجود في قلوبنا بالفطرة . . وطريقة عبادة الله
وطاعته . . وكل ما يريدنا أن نعرفه عنه موجود في رسالاته التي أرسلها بواسطة أنبيائه
المختارين . . فالمطمن يقول اننا نتبع هذه الرسالات . . والخيال يقول : اننا نبحث عما فوق
قدرات العقل . . في غيباب حجبت عنا . . فنضيع ونتموه . . ذلك أن العقل له
وظائف . . ليست من بينها عالم الغيب .

على أن رسالات الله سبحانه وتعالى للبشر . . هي في حقيقتها أكبر دليل على وجود
الله . . ذلك أنه اذا كانت هناك قوة عليا . . قوة قاهرة قادرة . . تحكم هذا الكون . .
وهي التي خلقتنا فان العقل لا يستطيع أن يصل الى هذه القوة . . بمعنى
أنه لا يستطيع أن يقول ماذا برضي هذه القوة . . وماذا يغضبها . .
وكيف يقوم بالعبادة والشكر لها . . ذلك أن الله فوق قدرة العقل البشري . . ومن هنا كان
لا بد أن تأتينا نعاليم العباد من الله سبحانه وتعالى . . أي أن يقول لنا الله . . كيف
نعبد . . فالإنسان حين يمد الله تتم العبادة بالطريقة التي يحددها الله لعبادته . . أما اذا
ترك ذلك للعقل البشري . . فان كل انسان سيحدد لنفسه طريقا يعبد به الله حسب قدراته
وفهمه . . وتتضارب الطرق . . وتختلف . . بل وتتناقض مع بعضها البعض . . فكيف
يحدد المخلوق الطريقة التي يعبد بها خالقه . ان هذا انتفاص لقدرات الله وعظمته . . ومن
هنا كان لا بد أن يعرف الانسان طريقة عبادته لله . . عن الله سبحانه وتعالى . . ومن هنا
نزلت الرسالات السماوية يقول الله للإنسان : إنني أنا الله واذا أردت أن تعبدني فافعل كذا
تدخل جنتي . . واذا عصيتني وفعلت كذا وكذا فسيصيبك عذابي . . وأنا أحدد لك طريق
العبادة حتى لا تضل ولا تضيع . . كان لا بد للرسالات السماوية أن تهبط الى الأرض . .
الى الانسان لتدله على الخير والشر . . والايان والكفر . . وتبين له الخيط الأبيض من
الخيط الأسود . . .

ارسال هذه الرسالات في ذاته معجزة . . ذلك أن كل من عبد غير الله سبحانه
وتعالى لم تصله رسالة لتبعله طريق العبادة . . بل هو الذي اخترع هذا الطريق بعقله .
فالذين عبدوا الشمس مثلا . . لم تصلهم رسل من الشمس تقول لهم اعبدوني بطريق كذا
وكذا . . وافعلوا كذا ولا تفعلوا كذا .

بل هم الذين حددوها حسب أهوائهم . . وكذلك الذين عبدوا النار . . وكل من
عبد شيئاً آخر غير الله . . ولكن الله سبحانه وتعالى الذي هو فوق كل القدرات . . وفوق
كل العقول أرسل الرسالات الى البشر ليحدد لهم هو الطريقة التي يعبدونه بها . . ومن
هنا كان الفارق بين عقل يخضع الخالق لحكمه وأهوائه . . وبينه تخضع له كل العقول
وتعجز أمامه .

الانسان وقدرات الكون

وكل القوى التي خلقها الله للانسان هي أكبر منه كثيرا ولكنها مسخرة لخدمته . فالشمس لا تستطيع أن تقول لن أشرق اليوم . والمطر لا يستطيع أن يتوقف عن مد الأرض بالماء . والرياح لا تستطيع أن تخفي . . ذلك أن هذه القدرات الهائلة رغم أنها أكبر من البشر . فانها مسخرة لخدمته .

وان الله سبحانه وتعالى قد أخبر عباده بما يريد أن يعرفوه عنه . . حيث أنه سبحانه وتعالى فوق كل العقول . . وليس كمثلته شيء .

ومن هنا فأن ما ورد في الرسائل السماوية عن الله سبحانه وتعالى . . ومن خلال ما أتاحه الله للعقل البشري أن يعرفه عنه . . وضع الله معجزات في القرآن تدل على أنه الخالق . . وتنبأ الانسان بأشياء لم تكن متاحة للعقل البشري وقت نزول القرآن . . ولكنها بدأت بعد ذلك بالتدرج تدخل بعلم الله الى نطاق العقل البشري . . أي أن الله سبحانه وتعالى حين أنزل كتابه أراد أن يكون هناك عطاء فيه لكل جيل . . حتى قيام الساعة . . فالقرآن حينما نزل . . أعطى الذين عاصروه . . ثم أعطى الجيل الذي بعده . . ثم الجيل الذي بعدهم . . ثم جيلنا هذا . . ثم بعد ذلك هو سيعطي الأجيال القادمة . . وكل عطاء مختلف . .

ولكن يجب أن نفرق بين شيئين في الاسلام . . الشيء الأول هو : الفرائض وأحكام الدين . . والشيء الثاني هو ما يحتويه القرآن من معجزات وآيات . . وأشياء عن الكون . . وعن الخلق . . وعن كل ما احتواه القرآن من معان جامعة شاملة . .

الجزء الأول وهو المناسك . . أو طريق العبادات وكيفيةها . . هذا الجزء لا تبديل فيه ولا تعدم . . ولا تفسير . . وإعادة تفسير . . وإنما يجب أن يؤخذ وينفذ كما

أخذ ونفذ .. وفسر .. في عهد النبي ﷺ .. أي أن الصلاة مثلا .. لا يجوز لأي فرد مهما بلغ من العلم أن يبدل فيها .. وما يقال عن الصلاة .. يقال عن الصوم .. يقال عن كل فروض العبادة .. تلك الفروض قد أنزلت وفسرت .. وتم بيانها للناس وقت نزول الرسالة .. وهي تبين لنا كيف نعبد الله كما يريد الله سبحانه وتعالى أن يعبد .

أما الجزء الثاني وهو عطاء القرآن .. فكلما مر الزمن وجدنا للقران عطاء جديدا .. في أشياء أو حقائق كونية كانت غائبة عنا .. ثم دخلت الى منطقة العلم البشري بإرادة الله .. فأصبحنا نعيها ونفهمها .. وهنا أجد أن القران لا يتصادم أبدا مع حقائق الكون .. ولا يمكن أن ينشأ أي نوع من التصادم .. ذلك لأن الله هو القائل .. والله هو الفاعل .. والله هو الخالق ..

على أن هناك نقطة الغيب .. أو منطقة الغيب .. تلك التي اختص الله سبحانه وتعالى بها نفسه .. أو من ارتضى من رسله وعباده .. وتلك النقطة هي خارج العقل/البشري .. أو فوق طاقة هذا العقل .. وإذا دخلنا فيها .. تاهت العقول .. وانتقلت من الواقع الى الخيال .. وهنا تضل وتبتعد عن الحقيقة .

ولقد أجهد الفلاسفة أنفسهم على مر السنوات في الوصول الى وجود الله .. محاولين استخدام العقل بدلا من الرسائل السماوية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى .. ومن هنا فانهم أرادوا أن يستخدموا العقل فيما لم يخلق له .. ذلك أن العقل له وظيفة .. أو وظائف في الحياة .. ليس من بينها أن يصل الى وجود الله بعيدا .. أو غير مستخدم الرسائل .. أو الرسائل التي أنزلها الله لعباده .. فهذه الرسائل قد وضع فيها الله سبحانه وتعالى الأدلة وبين فيها ما هو في قدرة العقل البشري .. منذ يوم خلقه .. الى يوم القيامة .. ولكن الفلاسفة يريدون أن يتجاوزوا هذا .. بأن يقدموا للعقل البشري ما هو فوق طاقته .. هذا مستحيل .. فأنت حين تريد أن تجعل انسانا يفهم شيئا .. يجب أن تدخله في قدرة العقل البشري أولا .. فإذا وصفت له شيئا غامضا مثلا .. فإن العقل لا يمكن أن يفهمه .. ولكنك لكي تدخل هذا الشيء في نطاق الفهم العقلي .. فأنت تحاول أن تقربه من شيء يفهمه .. كأن

تقول مثلاً . . انه شيء بشبه الحد . . حينئذ فانك نقلت هذا الشيء من خارج نطاق الفهم العقلي . . الى داخل هذا النطاق . . واستطعت أن تجعل محدثك يفهم عن أي شيء تتحدث . . وله أن الفلاسفة الزموا أنفسهم بالمنطق والحقيقة . . لما كانت هناك مشكلة . . ولكنهم رفضوا ذلك . . بل أودعوا هم أن يحددوا أشياء لا تدخل في نطاق الحقيقة والمنطق . . باستخدام الخيال الذي لا يعتمد الا على الهوى . . ولقد قال لنا الله في رسالته هذا هو الطريق الى عبادتي . . وشرحه لنا . . وبين لنا الثواب والمعقاب . . وهذا دليل قوي على وجود الخالق . . ذلك أن الذين يعبدون الشمس والأصنام . . أو أي شيء غير الله . . فان هذه الأشياء لا ترسل لهم رسالات تقول لهم . . أو تبيّن لهم . . أو نعلمهم طرق العبادة . . ولذلك لم نسمع عن رسول أرسلته الشمس ليهدي الناس . . مع أن الناس عبدوا الشمس . . ولم نسمع عن رسول أرسلته صمم ليهدي الناس . . مع أن الناس عبدت الأصنام . . والأحجار . . والحيوانات . . وكل شيء في هذه الدنيا عبد بطرق ابتدعها الناس أنفسهم حسب أهوائهم . .

وإذا حكمنا المنطق وحده . . والعقل وحده . . فان الاثنين معا لا يقولان لنا أن ندخل في أشياء هي فوق القدرة البشرية . . بالرغم من ذلك . . فان الانسان رغم عجزه يحاول أن يخترق هذه الحجب . . بطريق الجهل . . وليس العقل . . ومن هنا فاننا لا نجد أي مدرسة فلسفية حاولت أن تخترق الحجب الى ما وراء المادة . . أو الى العالم غير المادي . . قد وصلت الى نفس النتائج التي وصلت اليها مدرسة أخرى . . بل ان كل مدرسة تصل الى نتيجة قد تكون مخالفة . . أو مناقضة للمدرسة الأخرى . . ولم تصل مدرسة من هذه المدارس الى نتيجة تقبلها كل العقول . . ومن هنا . . فان الرسائل السماوية قد حملت الينا فوق الاثبات بوجود الله الأدلة على عدم وجود أي شريك لله سبحانه وتعالى في هذا الكون . . فهي أوجدت الدليل على وحدانية الله سبحانه وتعالى . . وانه لا اله غيره . . وأن الله أحد . . ليس له شريك . . وذلك حتى لا يدخل الى العقل البشري أن هناك وجودا لأكثر من قوة كبرى خلقت هذا العالم وأوجدته . . وأوجدت كل شيء فيه . . وأعطت العلم

للإنسان ليسود في الأرض . . . ومن هنا فهي نفت أن يكون هناك إله للمسميات . . .
واله للأرض . . . واله للرياح . . . واله للنجوم . . . إلى آخر ما كان يصوره العقل
البشري في القرون الماضية . . . وما زال بعض الناس تصورونه حتى الآن بل أنها
قالت إنه رغم أن القوة في العالم مختلفة . . . أو موزعة . . . فهناك الشمس مثلا بمصادر
على الإنارة . . . وعلى الدفاء . . . وعلى انماء الزرع . . . وعلى اجرائ من تصريف مياهها . . .
كل هذه القدرات التي هي موجودة في الشمس . . . بحيث إذا . . . تمت إلى الأبد
أصبحت الحياة مستحيلة . . . وهناك قدرات أيضا في الريح والمواصف . . . تدمر . . .
ثم هي تنقل السحاب من مكان إلى آخر . . . وتبقي الحياة على الأرض كما فيها من
مواد لازمة لحياة الإنسان كالأوكسجين مثلا . . . بحيث إذا اختفت الريح من
الأرض . . . وانعدمت . . . أصبحت الحياة مستحيلة . . . وهناك مثلا الأمطار التي تعطى
الأرض مصادر المياه . . . والله خلق من الماء كل شيء حتى . . . إذا بوقفت الأمطار . . .
جفت الأنهار . . . وانعدمت الحياة على الأرض . . . وهناك الأرض نفسها التي يعيش
فوقها الإنسان . . . إنها هي الأخرى قوة أو قدرة من قدرات الله . . . إذا انمحرت هذه
الأرض . . . وتحطمت . . . وتناثرت . . . فإن الحياة تصبح مستحيلة . . .

كل هذه القوى . . . وغيرها هي قوى . . . أو قدرات . . . تؤثر في حياة الإنسان
تأثيرا جذريا . . . بل إن اختفاءها عن الكون قد يجعل الحياة منعدمة . . . ولكن هذه
القوى والقدرات . . . وغيرها . . . قدرة العلم . . . في اختراع أسلحة مدمرة مثلا . . .
تستطيع أن تفتت الكون . . . أو تلوث الكون . . . فتفنى الحياة من على الأرض تماما . . .
كل هذه القدرات أو القوى ليست في ذاتها آلهة . . . وليست هي التي تصنع أي
شيء . . . بل هي مسخرة لخدمة الإنسان . . . والذي سخرها هو الله سبحانه وتعالى . . .
فالشمس ليس لها إرادة مثلا تستطيع أن تقول : اليوم سأشرق . . . وغدا لن أشرق . . .
لن أرسل أشعتي إلى الأرض اليوم . . . بل سأحجبها عنها . . . وأرسلها غدا . . .
الشمس لا تملك هذه القدرة . . . لماذا؟ . . . لأن الله سبحانه وتعالى خلقها وسخرها
لهدف معين . . . ومن هنا فهي تقوم بوظيفتها فقط . . . ولا تملك . . . رغم أنها قوة
قادرة هائلة . . . لا تملك هذه الشمس التحكم في هذه القوة . . . بل هي مسخرة لأداء

وظيفة معينة لن يعطيها الله العقل لتفخر وتختار .. ولكن أعطاها الوظيفة والقوة ..
والقدرة لنعمل لما خلقت من أجله ..

وما يقال عن الشمس .. يقال عن الريح .. وعن الأصنام .. وعن كل
القوى الموجودة في العالم .. فلا الريح تستطيع أن تترك الأرض مثلا وتذهب بعيدا ..
أو أن توقف حركتها .. ولا الأرض تستطيع أن ترفض الدوران حول نفسها .. ولا
أي من هذه القوى التي سخرها الله للانسان تملك لنفسها أن تخرج عن الوظيفة التي
سخرها الله من أجلها .

بل ان الله سبحانه وتعالى سخر ما في السماوات والأرض للانسان .. فنجد
مثلا حصانا قويا جامحا .. يستطيع بقوته أن يقتل عدة أشخاص .. يستطيع أن يفتك
بهم .. ومع ذلك نحد طفلا صغيرا لم يبلغ العاشرة من عمره .. يمتطي هذا
الحصان .. ويقوده الى حيث يريد .. والحصان يمضي به .. ويطيعه .. فيطلب منه
أن يرقد بإشارة معينة .. فيرقد .. ويطلب منه أن يتوقف فيتوقف .. ويقوده الى
حيث يريد .. وأنت تقول ان هذا الطفل فارس ماهر .. هذا وجهة نظر العلم
الأرضي .. ولكن الحقيقة التي يجب أن نتذكرها .. أن الله هو الذي سخر هذا
الفرس بكل قدراته العضلية التي تستطيع أن تمزق هذا الطفل اربا .. سخره لخدمة
الانسان .. وخدمة هذا الطفل .. ولو أن هذا الحصان غير مسخر .. وله فكر ..
ويستطيع أن يتصرف .. لما استطاع طفل أو رجل مها كانت قوته أن يمتطيه .. وأن
يجعله يفعل كما يريد ..

هذه حقيقة كونية .. صحيح أن لركوب الحصان مثلا أو الجمل .. أو أي
حيوان آخر طرقا معينة .. يجب أن يتعلمها الانسان .. فتلك سنة الحياة .. ولكن
كل هذه القوى مسخرة أولا للانسان .. ولو لم تكن مسخرة له .. لما استطاع أن
يقرب منها .. رغم كل علوم الأرض .. وما تستطيع أن تبه .

وما يقال عن الحصان .. يقال عن الابل .. والبقر ..

اذن كل القوى في هذا الكون سخرها الله لخدمة الانسان .. وقال الله سبحانه

وتعالى لنا في رسالاته أنا الله أقول لكم انني خلقت في هذا الكون قوى خارقة أكبر منكم وأقوى . . وأشد لا تستطيعون السيطرة عليها . . ولا إخضاعها بملككم لتكون في خدمتكم . . فأنتم لا تستطيعون ان تدفعوا حرمة الشمس . . أو حرمة الأرض . . أو حركة الرياح . . وأنتم لا تستطيعون أن تسيطرؤا على غيركم من مخلوقاتي . . ولكني سخرت هذا كله لكم . . وجعلته في خدمتكم ليصنع لكم الحياة على الأرض . . بإذني وبأمري . . وجعلت هذه الأشياء مسخرة ليس لنا عمول بملكها . . لأقول لكم إنني أنا الله خالق كل شيء . . وهذا هو خلقي أمامكم . . دل هذه المعنى خضع لي أنا . . وأنا جعلتها في خدمتكم . . جعلتها مسخرة لكم .

هذا ما قدمه الله في كتابه ليتدبر فيه الانسان . . في وجود الله . . ومع ذلك فإن الانسان يترك هذا الكتاب . . ويذهب الى ما لا يعرفه . . ويحاول أن يتفلسف بعقله . . ويخلق من خياله أشياء عن الكون . . وكأنما لا يكفيه ما أعطاه الله له مما يستطيع أن يعمل فيه العقل البشري سنوات وسنوات طويلة . .

ومن هنا فإن دخول العقل البشري في منطقة لا يعلم عنها شيئاً . . وتركه ما أعطاه الله له . . مما يدخل في قدراته . . تبدأ المدارس الفلسفية المختلفة كلها تبحث عن الله . . بعيداً عن الله . .

الأسماء والمعاني

إذا قلت كلمة بلا معنى . . فان العقل لا يفهمها . . فالإنسان لا يستطيع أن يعقل
الا ما يعرفه . . فاذا قلت كلمة « الله » وجدت في كل لغة من لغات العالم . . ووجدت
معناها واحدا في العقول . . انه القوة القاهرة التي خلقت كل شيء . . ولكننا لم نر الله . .
ومع ذلك فان العقل يعرفه . .

كل ما في الكون مسخر للإنسان . . هذه هي الحقيقة التي أعلنها الله سبحانه وتعالى
في كتابه العزيز . . وهذه هي الحقيقة التي نجدها في الكون . . فهناك أشياء كثيرة أكبر من
قدرة الإنسان . . ومن قوته ملايين المرات . . وتستطيع أن تدمره تدميرا . .
ومع ذلك فهي مسخرة لخدمته . . فالشمس والأرض . .
والرياح . . والمطر . . والحيوانات . . والأنعام وكل ما في الأرض . . هو
ليعطي الإنسان الحياة عليها . . ويسرها له . . ولكن أحدا من هؤلاء جميعا لا يملك الإرادة
ليقول اني لن أخدم الإنسان اليوم . . أو اني سأعصي أمر الله . . بأن أكون مسخرا لخدمة
الإنسان . . فلا الشمس مثلا تملك الإرادة . . لأن تقول اني لن أشرق هذا الصباح . . أو
اني لن أرسل أشعتي للأرض اليوم . . ولا المطر يملك أن يقول انه لن ينزل ليسقي الناس
الماء . . ولا الهواء يملك أن يقرر أن يتعد عن الأرض ويحرمها من الأوكسجين اللازم
للحياة . . ولا الأرض نفسها تستطيع أن تتوقف عن الدوران . . أو تلقي بمن عليها . .
ولا الفرس أو الجاموس . . أو الجمل على قدر قوتها تملك عصيان الخضوع لطفل صغير
ضعيف يستطيع أن يقودها الى أي مكان يريد . . تلك القيادة والسيطرة من الطفل على
هذه الحيوانات القوية . . لا تأتي بأنه أخضعها بقوته هو . . ذلك أن قوته عاجزة أمامها
تماما . . ولا وجه للمقارنة . . ولكن الخضوع هنا يأتي بإرادة الله الذي سخر هذه الأشياء
للإنسان في الأرض . .

والإنسان قد عبد قوى كثيرة في العالم . . على أساس أن هذه القوى آلهة . . .

وبعض الناس عبدوا الشمس . . وبعض الناس عبدوا النار . . وبعض الناس عبدوا الأصنام والأحجار . . الى غير ذلك . . وقد جاء القرآن ليؤكّد أن الله أحد . . لا شريك له . . وأنه ليس هناك اله في السماء واله في الأرض . . واله للربيع . . واله للمجموع . . لأن كل هذه الأشياء مسخرة للإنسان . . وللخدمة للإنسان . . ومن هنا فانه اذا ذات هذه الأشياء لا تملك الارادة لنفسها . . فانها بالتالي لا تملك السيادة على غيرها . . ومن هنا فانه خاضعة لقوة كبرى . . هي الله سبحانه وتعالى . . وأنها كلها آيات من آيات الله سبحانه وتعالى تدل على وجوده . . وعلى عظمته . . وقدرته . . وقونه . .

بل إن الذين يكفرون بالله . . وينكرون وجوده . . هم في الحقيقة يثبتون أن الله سبحانه وتعالى موجود . . ذلك أن قولهم بأن الطبيعة هي منشأ الأشياء . . ومحاولاتهم انكار وجود الله سبحانه وتعالى . . تعني أنهم يحاولون انكار شيء موجود . . اذ ان الشيء غير الموجود لا يحتاج الى أي جدل . . أو انكار . . ولا يكون موضع سؤال . . فكيف يطرح على العقل انكار شيء غير موجود . . مادام هذا الوجود أصلاً غير حقيقي . . ان الجدل يحدث إعادة حول شيء موجود . . فهذا يؤكد . . وذلك ينكره . . ومن هنا بعض الجدل . . والجدل الذي يثيره الكافرون حول هذا الموضوع . . أساسه شعورهم بالفطرة . . بأن الله موجود . . ثم محاولتهم انكار ذلك باستخدام الهوى والأغراض الشخصية . . لأنهم يريدون أن يخضعوا شريعة الله لأهوائهم . . فمثلاً الجدل الذي يثار حول : هل الأرض كروية . . أو الأرض مسطحة . . أساسه أننا نرى أمامنا الأرض مسطحة . . ثم يأتي العلماء بعد ذلك ليقولوا ان الأرض كروية . . وينفي بعض الناس هذه الحقيقة . . اذن فالجدل هنا نتج عن أن الشيء نفسه موجود . . وأن هناك حقيقة تعرفها أذهاننا . . فالأرض موجودة . . وعيوننا تراها مسطحة . . ولكن لو لم تكن الأرض موجودة أصلاً . . لما نشأ الجدل أبداً عن : هل الأرض كروية أم مسطحة . . أي أن الأصل في انكار الشيء هو وجوده أولاً . . فوجود الأرض ذاتها . . ثم وجودها أمامنا منبسطة . . بدأ معه انكار كروية الأرض . . وكانت نقطة البداية . . فلو أن امرأة مثلاً ليس لها أطفال . . لا تجد انساناً يقول لك ان هذه المرأة عندها أطفال . . وأخر يقول لك لا . . ويثور جدل حول هذا الموضوع . . ذلك أن أحداً لا يدخل في جدل . . عن شيء غير موجود . .

ولكن هب أن هذه المرأة لها طفل . . وتخفيه عن عيون الناس . . بعض الناس رأوه . .
وبعض الناس لم يروه . . هنا يبدأ الجدل هذا يؤكد . . وهذا ينفي . .
اذن الأصل في حدوث جدل حول شيء هو وجوده أولا . . والأصل في محاولة
الكافرين انكار الألوهية . . وانكار وجود الله هو احساس بأن الله موجود . . وان هذه
حقيقة واقعية . . وهم يجاهلون نفيها . . لأنها لا تصادف أهواءهم . . والعجيب أنهم في
محاولتهم لهذا النفي أو الانكار لا ينتهبون الى أشياء تكذبهم . . فمثلا اسم الله تجده في كل
لغة من لغات العالم . . بل ان الاسم . . اسم الله سبحانه وتعالى في جميع اللغات له معنى
واحد . . وهو الله خالق هذا الكون . . وخالق الانسان . . وخالق كل شيء . . فمن
الذي أوجد هذا المعنى الموحد لهذه الكلمة في كل الدنيا . . وبجميع اللغات التي ينطق بها
أي بشر . . وكيف يمكن أن يحدث ذلك وهناك من ينكرون وجود الله سبحانه وتعالى . .
كيف يمكن لقوة كبرى لها اسم في كل لغة ينطق بها أي لسان . . وهذا الاسم في معناه . .
وفي قدراته موحد في جميع أنحاء العالم . . ومع ذلك فهناك من ينكر الوجود أصلا . .
ويجادل في ذلك . . ومن الذي وضع الاسم على كل لسان بهذه الصورة . . ومن الذي
وضع معناه في كل العقول التي تنطق به . .

واذا دققنا في علم اللغة . . وصلتها بالانسان . . فان أهم ما يدرس الآن بالنسبة
لاستخدام اللغة . . هو اتصال الكلمات بالعقل . . وهذا الاتصال هو الذي يعطي التأثير
الفكري للكلمة في ذهن الانسان . . أي ان المعنى يكون موجودا أصلا في الذهن . . وتأتي
الكلمة لتبرز صورة هذا المعنى الى العقل . . فاذا قلنا منزل مثلا . . فان له معنى معيناً في
عقولنا . . هو مكان يقيم فيه الناس . . مكون من عدة حجرات . . الى آخر ذلك . . ومن
هنا فانه اذا ذكرت الكلمة . . قفز المعنى الموجود أصلا في العقل . . لتكون مقبولة . . أما
اذا قلت كلمة بلا معنى لم يلحظها العقل . . ولم يعرف وجودها جيدا . . كأن تأتي لرجل
عاش في أرض سهلة لم ير جبلا في حياته . . ثم تقول له كلمة جبل . . انه لا يستطيع أن
يتصور ما معنى جبل . . ولا يفهم شيئا . . ذلك أنه لم يعقل هذا الشيء الذي تتحدث عنه
أو تقوله له . . ومن هنا فهو لا يفهمه . . ولا يعرفه . . لأنه لم يدخل الى عقله أولا . .
ولكنك اذا قلت كلمة الله . . فان العقول كلها تفهمها . . على أنها تلك القوة القادرة . .

القاهرة . . التي خلقت الدنيا كلها . . ولكننا لم نر الله . . فكيف نفهم هذه الكلمة . . لو
أن الله غير موجود فينا بالفطرة . . وغير موجود في عقولنا ونفوسنا . . لما فهمناها أبدا . .
ولما أخذت هذا المعنى العالمي الذي ينسجم مع النفس البشرية . . ان يقيننا بوجود الله هو
الذي يجعلنا نفهم هذه الكلمة . . ووجود الله فينا بالفطرة هو الذي يجعلها تدحل الى عقولنا
لأن أي كلمة لا يمكن أن تكون مفهومة الا اذا كان معناها ومدلولها موجودين في العقل
البشري أولا . . بل ان وجود هذا المعنى يجب أن يسبق الكلمة نفسها فأنت لا تستطيع أن
تحدث أحداً بكلمة جبل . . ويفهم ما تقول . . أو بكلمة « قوي » ويفهم ما تقول . . الا
اذا كان المعنى موجوداً أولاً في عقله . . قبل أن تنطق بالكلمة . . فالمعنى يوجد أولاً . . ثم
بعد ذلك توجد الكلمات الدالة عليه . . واذا راجعنا قواميس اللغة في جميع أنحاء العالم . .
نجد أن الكلمات الموجودة فيها هي لأشياء موجودة أصلاً . . وان هذه القواميس تراجع
كل عام لاضافة أسماء لأشياء وجدت . . ولم تكن موجودة في العام الذي قبله . . وذلك
يعني أن الشيء يوجد أولاً ثم بعد ذلك يعطى تسمية . . بل ان هذا في حياتنا اليومية . .
ملحوظ في كل شيء . . فهناك أسماء كثيرة في اللغة تضاف الى القواميس كل عام . .
وهناك علماء متخصصون يجتمعون في مجمع اللغة . . ليضعوا أسماء لمعاني أو لأشياء
وجدت . . ولم تكن موجودة . . اذن فالأصل ان يوجد الشيء أولاً . . ثم يضع الانسان له
الاسم . . ووجود اسم الله سبحانه وتعالى في جميع لغات الأرض . . ومعنى موجود في جميع
أذهان البشر . . دليل على أن الله سبحانه وتعالى موجود قبل أن توجد البشرية نفسها . .
وقبل أن ينطق لسان بأي لغة . .

وبهذا نكون قد وصلنا الى حقيقتين هامتين . . الحقيقة الأولى أن نفي الشيء لا يمكن
أن يكون مطروحا الا اذا كان الشيء نفسه موجودا . . والثاني أن معنى أي شيء يجب أن
يكون سابقا لاسمه . .

الحقيقة الثالثة التي وصلنا اليها . . أننا اذا أردنا أن نعرف شيئا عن الله سبحانه
وتعالى . . فأننا يجب أن نصل الى العلم الصحيح عن طريق ما أعطاه الله لنا . . مما يريدنا
أن نعرفه عنه . . وألا نترك ذلك . . وندخل في متاهات الفلسفة التي تحاول استخدام
العقل . . فيها هو فوق قدرة العقل . . وبذلك تضل ولا تصل الى حقيقة . .

فاذا أردنا أن نزداد قربا من الله . . ومعرفة به . . فيجب أن نتجه الى رسالات السياء التي أرسلها الله سبحانه وتعالى للبشر . . ليخبرهم بها عما يريد سبحانه وتعالى أن يعرفوه عنه . . وعن هذا الكون . . وعن الخلق والكون . . والحياة والبعث . . ذلك أن هذه الرسالات هي الطريق الوحيد لهذا العلم . .

يقول الله سبحانه وتعالى في قرآنه . . انه خلق آدم . . خلق الانسان . . وأدم هذا من خلق الله سبحانه وتعالى . . لم يخلقه طفلا له أب وأم . . وينمو . . كما هو الحال في المخلوقات البشرية التي نمت من سلالة آدم . . ولكنه خلقه رجلا كامل الرجولة . . رجلا لم يكن طفلا في حياته في يوم من الأيام . . ووجد آدم نفسه مخلوقا من الله سبحانه وتعالى . . رجلا كامل النمو . . تسجد له الملائكة . .

وقال لنا القرآن ان ادم خلق من تراب . . ومن هنا فان آدم في خلقه هذا لم يكن رجلا له ماض معروف . . بل لم يكن رجلا بلا ماض . . دخل الى الوجود بقدره الله . .

ثم قال الله سبحانه وتعالى . . ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ . . هنا قول الله سبحانه وتعالى هو منشأ العلم البشري . . فالله سبحانه وتعالى في هذه الآية أخبرنا أن العلم البشري . . أو العلم الذي أعطيته لكم أيها البشر . . يجب أن يبدأ بالطريقة التي وضعها الله سبحانه وتعالى . . وهي تعليم الأسماء . . وانني لكي يبدأ العقل البشري الذي وضعته في آدم الحصول على المعرفة . . يجب أن يتعلم أولا الأسماء . .

نأخذ نحن هذه القصة . . ثم نسأل أنفسنا أن الله سبحانه وتعالى قال : ان منشأ العلم الأسماء . . أي ان أي انسان لا يستطيع أن يبدأ التعلم الا اذا عرف معاني الأسماء تماما كما علم الله آدم . . مبتدئا بالأسماء . . نجد أننا بعد مرور أربعة عشر قرنا . . ورغم تطور كل رسائل الدنيا . . عاجزون عن أن نغير هذه الحقيقة التي أعلنها الله في القرآن . . فنحن حين بدأ العقل البشري خطواته الأولى في طريق العلم . . يجب أن يبدأها بتعلم الأسماء مهما اختلفت طرق التعليم وفلسفاته في العالم أجمع . . فنحن نأتي الى الطفل الصغير ونقول له : هذا كوب . . وهذا سلم . . وهذا طبق وهذه سيارة . . وهذا أسد . . وهذا فيل . . وهذه سماء . . وهذه أرض . . ثم بعد أن نعلمه الأسماء يستطيع هو أن ينطلق في

العلم كما يشاء . . . ولكننا لا نستطيع . . . ولن نستطيع أن نعلم الطفل شيئاً قبل أن نعلمه
الأسماء . . . لا نستطيع أن نبدأ بتعليمه أية معلومات . . . لا تدخل الى عقله الا اذا تعلم
معاني الأسماء . . . بل ان الطفل يظل لفترة طويلة في حياته بالفطرة . . . يتعلم الأسماء . .
فاذا خرج طفل مع أمه في نزهة . . . فانه يسأف عن اسم هذا . . . واسم هذا . . . واسم
هذا . . . واذا جلس في البيت فانه يحاول أن يسأل عن اسم أي شيء غريب يقع عليه
نظره . . . وكلمة ما هذا التي يقوها الطفل لأبيه وأمه . . . هي أكثر الكلمات ترددا في سني
حياته الأولى بالفطرة . . . لماذا؟ . . . لأن هذا هو منشأ العلم . . . مدخل العلم الذي وضعه
الله سبحانه وتعالى للعقل البشري . . . فاذا كنا بعد أربعة عشر قرناً . . . لم نستطع أن نجعل
الانسان يتعلم شيئاً الا اذا علمناه الأسماء أولاً . . . والأسماء هذه هي ما علمها الله لأدم . .
انطلاقاً للعقل البشري . . . ليدخل الى العلم والمعرفة . . . فاذا كان المدخل من الله . . . فهل
يكون العلم البشري من غير الله؟ . . .

معنى الوجود

وحيثما ندخل المسجد . . نجد عباد الله جالسين معا . . عقول كلها مختلفة في السن والثقافة والفكر والمركز الاجتماعي والطباع والعادات وكل شيء . . ولكنها كلها منسجمة في عبادة الله . . تركع معا . . وتسجد معا وتسبح معا . .

لقد أجهد الفلاسفة أنفسهم على مر سنوات طويلة في محاولة الوصول الى وجود الله . . باستخدام العقل بدلا من الرسالات السماوية . . ومن هنا فانهم أرادوا أن يستخدموا العقل فيما لم يخلق له . . ذلك أن العقل له وظائف ليس من بينها أن يصل الى وجود الله بعيدا . . أو غير مستخدم الرسالات التي أنزلها الله لعباده . . تلك الرسالات التي وضع فيها الله سبحانه وتعالى الأدلة ، ووضع فيها ما هو في قدرة العقل البشري منذ يوم خلقه . . الى يوم القيامة . . ولكن الفلاسفة يريدون أن يتجاوزوا هذا . . ويقدموا للعقل البشري ما هو فوق طاقته . . فيخرجون بذلك من نقطة العقل الى الخيال والتخيل .

والرسالات السماوية قد حملت اليها أن الله واحد لا شريك له . . ولا اله غيره . . ومن هنا فهي نفت أن هناك الها للسموات . . والها للأرض . . والها للريح والها للنجوم . . الى اخر ما يمكن أن يتصوره العقل البشري وما تصوره فعلا خلال القرون الماضية . . بل ان هذه الرسالات قد أخبرتنا عن كل شيء في هذا الكون يدخل أو سيدخل في مقدرة العقل البشري .

فالشمس - مثلا - لازمة للحياة . . وإذا اختفت أصبحت الحياة مستحيلة . . فلا الزرع ينمو . . ولا النهار يكون مضبنا . . ولا الأرض ستمضي في نظامها الحالي . . والهواء مثلا إذا اختفى من الأرض . . انعدم الأوكسجين اللازم للحياة وأصبحت الحياة بالنسبة للانسان والحيوان . . بنكوبتها الحالي مستحيلة . . وكذلك الماء والأمطار . . هي التي

تعطي الحياة كلها للأرض . . بل ان الأرض نفسها التي عليها الحياة . . اذا تفتتت أو انفجرت فان الحياة تنتهي . .

ومع أن هذه القوى كلها ضخمة هائلة . . تعطي الحياة للإنسان على الأرض . . الا أن الله سبحانه وتعالى أخبرنا أن كل هذه القوة مسخرة لخدمة الإنسان رغم أنها أقوى منه ملايين المرات . . ورغم أنه لا يستطيع أن يصنعها أو يخلقها . . فلا الشمس تستطيع أن تقول إنني سأشرق اليوم ولن أشرق غدا . . أو أنني سأبتعد عن الأرض وأغير نظام الكون . . ولا الرياح تستطيع أن تترك الأرض الى مكان آخر . . ولا الأمطار تستطيع أن تتوقف . . ولا الأرض نفسها لها أي اختيار فيما تحمل أو فيما يحدث فوقها . . لماذا ؟ . . لأن الله هو الذي خلق كل هذه القوى . وهو الذي سخرها لخدمة الإنسان . . ونحن حين نتدبر في خلق هذا الكون وقدرة الله . . نقف أمام هذه القوى الكبرى الهائلة التي هي بلا شك خارجة عن ارادة الإنسان . . بل وأقوى منه بلايين المرات . . ثم نتدبر . . هذه القوى الهائلة مسخرة لخدمة الإنسان . . لا تستطيع أن تعصي يوماً واحداً . . ثم نجد أن الله سبحانه وتعالى قد أخبرنا في كتابه العزيز أن كل هذه القوى مسخرة لكم . . وهنا نقطة يقف فيها العقل مع الحقيقة . . والحقيقة جاءت من الله . . والوقوف هنا والتأمل أصبح في قدرة العقل بما أتاحه الله لهذا العقل من قدرة . . فإذا بحثنا عن اسم الله . . وجدناه في كل لغة من لغات الأرض . . ووجدنا أن معناه واحد في العالم كله رغم اختلاف معاني الألفاظ في اللغات . . ولكن اسم الله في كل لغة وكل لهجة موجود . . ومعناه تلك القوة القادرة القاهرة التي خلقت كل شيء .

اذن لفظ الله معناه واحد في كل العقول . . وفي كل اللغات . . فإذا أضفنا الى ذلك أنه بالنسبة للبشر فان المعنى يوجد أولاً . . ثم اللفظ . . ذلك أنني لأستطيع ان أضع اسماً لما هو غير موجود . . بل ان الوجود يتم أولاً . . ثم يطلق الاسم . . وذلك لنعلم أن اسم الله الذي وجد مع النفس البشرية . . كان موجوداً قبل أن توجد هذه النفس البشرية وهو الذي خلقها وأوجدها . . بل ان تقبل العقل البشري لاسم الله سبحانه وتعالى معناه أن هذا العقل يعرف الله بالفطرة . . وان كان الله فوق قدرة العقول . . ومن هنا نعود مرة أخرى الى الرسائل السماوية . الى الآية الكريمة ﴿واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم

ذريتهم .. وأشهدهم على أنفسهم .. ألسنت بربكم .. قالوا بلى شهدنا .. أن تقولوا
يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين .. أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من
بعدهم .. هذه الآية الكريمة وهي التي أخبرنا بها الله .. تدلنا كيف أن الله يوجد فينا
بالفطرة رغم أنه فوق قدرة العقل .. فقد عرفنا وجود الله يقينا .. وهذه المعرفة موجودة في
داخلنا حتى وإن لم يدلنا أحد عليها .. ومن هنا فإذا ذكر اسم الله فأننا لا نحس أن انسانا
ينطق لفظا غريبا لا معنى له .. ولكننا نحس أنه ينطق لفظا نعرفه جيدا .. ونحس به في
داخلنا .. ونحس بقدرته وقوته .. وبأن الحياة لا يمكن أن تنسجم الا بوجوده .. وهناك
أميون لا يقرأون ولا يكتبون . وربما لم يقرأوا كلمة واحدة في حياتهم .. فإذا أخبرتهم عن
أي شيء في هذه الدنيا .. سألوك : ما معنى هذا الذي تتكلم منه .. نحن لا نفهمك ..
الا كلمة الله سبحانه وتعالى فانك اذا قرأتها عرفها الجاهل والمتعلم .. والصبي والرجل ..
والكهل .. وكل انسان يجلس أمامك .. ولن تجد أحدا يقف ليسألك : ماذا تعني بكلمة
الله .. اننا لا نفهم هذه الكلمة ؟ لماذا ؟ .. لأن الله يوجد فينا بالفطرة .. ومن هنا فإن
الطفل يعبد .. والانسان البسيط الذي لم يقرأ كلمة في حياته يعبد .. والانسان المتعلم
يعبد .. والانسان الذي تبحر في العلم ووصل الى أعلى مراتبه يعبد .. وكل هذه العقول
على اختلاف مستوياتها قد تعجز عن فهم مشترك لقضية من القضايا .. ولكنهم جميعا لا
يوجد بينهم تصادم في عبادة الله .

وأنت تدخل الى المسجد .. تجد عباد الله جالسين معا .. عقول كلها مختلفة ..
في السن والثقافة والفكر والمركز الاجتماعي والطباع والعادات وكل شيء .. ولكنها كلها
منسجمة في عبادة الله .. تركع له معا .. وتسجد له معا .. وتقرأ له القرآن معا ..
وتسبح له معا .. كل هذه العقول لا يمكن أن تجتمع وتنسجم هكذا الا اذا كان الله موجودا
فيها بالفطرة .. والا مصداقا للآية الكريمة ﴿واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
ذريتهم .. وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم .. قالوا بلى شهدنا﴾ .

على أن بعض الناس يحاول أن ينكر وجود الله .. ومحاولة هذا الإنكار في حدها
إثبات .. ذلك أنك لا تنكر الا ما له وجود .. فما هو غير موجود أصلا لا نجد أنك محتاج
الى إنكاره .. فالأرض مثلا بعض الناس يقول انها مبسوطه ، وبعض الناس يقول انها

كروية . ويحدث جدل . . أو حدث جدل في الماضي حول ذلك . . ولو أن الناس لم يروا الأرض أمامهم مبسطة . . ولو أن العلم لم يثبت للناس أن الأرض كروية لما حدث هذا الجدل . . فالجدل هنا حدث لأن هناك واقعا علميا يخالف واقعا تراه العين . . اذن فقبل النفي أو الجدل . . هناك وجود . . ومثل ذلك في كل شيء في الدنيا . . فإذا أردنا أن ننفي أو ننكر نظرية علمية . . فيجب أولا أن تكون هذه النظرية موجودة لتنفيها أو نحاول انكارها . . وإذا لم تكن النظرية موجودة أصلا . . فكيف ننفيها أو ننكرها ؟ . .

اذن محاولة انكار وجود الله قد سبقتها الحقيقة . . وان الله موجود فعلا . . وكل من يحاول الانكار انما يحاول أن ينكر شيئا موجودا أصلا ووجوده ثابت . . والا فما الذي يحاول أي كافر أن ينكره . .

محاولة النفي والجدل لا يمكن أن تتم الا بالنسبة لشيء موجود فعلا . . فإذا كان هناك انسان لم يرزق في حياته بأطفال . . هل يثور جدل حول وجود أطفال له . . الجدل يثور اذا كان لهذا الانسان طفل يخفيه . . بعض الناس رأوه . . وبعض الناس لم يروه . . وهنا يبدأ الجدل . . ولكن اذا لم يكن هناك شيء أصلا . . ففيم ساجادل . . الجدل هنا ومحاولة انكار وجود الله . . هي اثبات بأن الله موجود . . وأن هناك من يحاولون لهوى في نفوسهم أن يجادلوا في هذا الوجود أو ينكروه .

ويميضي فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي في حديثه فيقول . . لقد عبد الانسان قوى كثيرة على أنها آلهة . . عبدوا الشمس وعبدوا النار . . وعبدوا الأصنام والحجارة . . وعبدوا الانسان كآل فرعون . . كل هذه الأشياء عبدوها وأطلقوا عليها أسماء مختلفة . . ولكن هل اذا قلت أي اسم من هذه الأسماء يقفز الى النفس البشرية معناه ؟ . . أبدا . . فانت اذا قلت - مثلا - عن اله الشمس . . لم يفهم أحد شيئا . . واذا ذكرت اسم اللات أو العزى . . فان العقول لا تفهمها . . واذا قلت فرعون تجد كثيرا من الناس لا يدركون شيئا . . اذن فكل هذه الآلهة زيف وإفك . . ولا يوجد الا اله واحد هو الله سبحانه وتعالى . . الله الأحد . . الذي اذا ذكر اسمه . . وجدت كل عقل يفهمه . . وكل نفس تحسه . . وكل ما يشرك به من دون الله هرافك وزيف . . بلا أصل ولا حقيقة الا هو النفس البشرية . .

ثم نأتي بعد ذلك الى نقطة هامة جدا . . لقد خلق الله آدم . . خلقه وأمر الملائكة أن يسجدوا له فسجدوا الا ابليس . .

عندما خلق الله آدم . . لم يكن لأدم ماض . . لم يكن له أب يعلمه . . أو أم تلقته . . فمن الذي علمه . . الله . . وماذا علمه . . كما يقول القرآن ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ . .

ما معنى ذلك . . معناه أن منطلق العلم الذي أتاحه الله للعقل البشري . . يجب أن يبدأ بالأسماء ثم بعد ذلك ينطلق الى علوم الدنيا . . اذن الله حدد لنا منطلق علمه الذي أعطاه للبشر . . قال يبدأ علمي لكم بالأسماء . .

تعالوا لترى اليوم . . بعد كل هذا التقدم . . هل نخرج الانسان عن الدخول الى نقطة العلم من المدخل الذي حدده الله . . أبدا . .

إذا أردت أن تعلم الانسان بكل صنوفه وأجناسه . . فيجب أن تبدأ بالأسماء أولا . . تقول للطفل هذه شمس . . وهذا نور . . وهذا ظلام . . وهذا فيل ، وهذا أسد . . وهذا كوب . . وهذه سبورة . . أي أنك تعلم الطفل الأسماء أولا . . ثم تتركه بعد ذلك فيستطيع أن يستوعب علوم الأرض كلها . . ولكن يجب أن يدخل من نفس المدخل الذي حدده الله للعلم البشري . . عندما علم آدم أول البشر . . علمه الأسماء أولا . . بل إن أحدث طرق التعليم في العالم تقوم الآن بتعليم الطفل الأسماء والصور حتى يستطيع أن يستوعب العلم بسرعة . . ويتقدم الى العلوم الأخرى .

اذن لم نخرج الانسان في دخوله الى العلم من نفس الطريقة التي حددها الله . . ولن يستطيع الخروج عليها . .

وبذلك نكون قد وصلنا الى أربع حقائق هامة :

الحقيقة الأولى أن الله موجود فينا بالفطرة . . نعرفه ونحس بوجوده جميعا . .

الحقيقة الثانية : ان الوجود يسبق الاسم دائما وان الوجود سابق لمحاولة النفي

والانكار .

ثالثا : اننا اذا أردنا أن نعرف شيئا عن الله سبحانه وتعالى . . فإننا يجب أن نصل اليه عن طريق العلم الصحيح الذي أعطاه الله لنا في رسالاته ولا ندخل في متاهات الفلسفة . .

رابعا : ان الله قد حدد لنا مدخل العلم البشري للانسان عندما خلق آدم . واذا أردنا أن نتعلم فيجب أن ندخل نحن جميعا . . مؤمنين وغير مؤمنين . . يجب أن ندخل جميعا من الباب الذي حدده الله لنا وهو تعلم الأسباب .

الانسان والأمانة

ان السماوات والأرض والجبال .. رفضن أن يكون لهن اختيار في أمورهن .. وفضلن أن يكن مقهورات مسخرات لما يريد الله سبحانه وتعالى .. ولكن الانسان حمل الأمانة وأخذ حرية الاختيار في إفعال .. ولا تفعل ..

الله سبحانه وتعالى حينها يخاطبنا فانه يخاطب العمول جميعا .. ويجعل لكل منها قدرا من الفهم يحس به بقدره الله وعظمته .. وهذا من اعجاز القرآن الكريم ذلك ان القرآن يخاطب وجدان كل البشر .. وأنت حين تخاطب الناس تجد أن معرفة الله سبحانه وتعالى موجودة فيهم بالفطرة .. ومن هنا فانه اذا ذكر اسم الله فانا لا نحس أن لفظا غريبا يقال لنا .. ولكننا نحس يقينا أن هذه المعرفة موجودة في داخلنا حتى وان لم يدلنا أحد عليها .. ونحس بقدرته وقوته .. وبأن الحياة لا يمكن أن تنسجم الا بوجوده ..

وهناك أميون لا يقرأون ولا يكتبون .. وربما لم يقرأوا كلمة واحدة في حياتهم .. فاذا أخبرتهم عن أي شيء في الدنيا قالوا ما معنى هذا الذي تتكلم عنه .. نحن لا نفهمك .. الا كلمة الله سبحانه وتعالى .. فانك اذا قلتها عزفها الجاهل والمتعلم والصبي .. والرجل .. والكهل .. وكل انسان يجلس أمامك ..

وحينها ندخل المسجد نجد عباد الله جالسين معا .. عقول كلها مختلفة في السن والثقافة .. والفكر .. والمركز الاجتماعي .. والطباع .. والعادات .. وكل شيء .. اذا حاولت أن تتحدث اليها عن أي موضوع فانها لا يمكن أن تفهمه .. ولا تنسجم معه .. ولكننا نجدها كلها منسجمة في عبادة الله .. تركع معا .. وتسجد معا .. وتسيح معا ..

وينتقل فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي بعد ذلك الى خلق الانسان ..

فيقول ان الله سبحانه وتعالى خالق ادم . . وقال للملائكة : اسجدوا له . . وادم مخلوق بلا ماض . . لم يعلمه أحد شيئا . . ولم يرث حضارة ولا علما . . ثم قال الله سبحانه وتعالى : وعلم ادم الأسماء كلها . . فإله قد أخبرنا في كتابه العزيز أن مدخل العلم الى النفس البشرية هو الأسماء . . وحتى هذه اللحظة . . ورغم مرور هذه الفرون الطويلة لا يزال مدخل العلم البشري للإنسان هو الأسماء . . فالطفل اول ما يتعلم . . يتعلم أسماء الأشياء . . ثم بعد ذلك يستطيع أن يستوعب من العلم ما يشاء ولكن مدخل العلم الذي أتاحه الله للبشر لا يتأق الا من المدخل الذي حدده الله . . وهو تعليم الأسماء أولا . . فالطفل في اول سني عمره يستوعب الأسماء . . فأنت تقول له هذا كروب . . وهذا منزل . . وهذا شارع . . ثم بعد أن تعلمه الأسماء نركه . . فيستطيع عقله البشري أن يحصل ما يباح له من العلم معتمدا على نفسه .

ثم نأتي بعد ذلك الى نقطة تالية . . وهي أنه عندما خلق الله سبحانه وتعالى آدم حمله الأمانة . . قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال . . فأبين أن يحملنها وأشفقن منها . . وحملها الانسان . . انه كان ظلوما جهولا﴾ . .

ما معنى الأمانة . . معناها الشهادة بالحق . . طواعية فيما لك اختيار فيه . . وبمحض ارادتك . . فاذا أودع انسان لديك مالا . . وأخذ عليك ورقة تثبت أنه أودع هذا المال . . فان هذه ليست أمانة . . لماذا؟ . . لأن هذه الورقة تثبت حقه . . وبالتالي فانك اذا أنكرت يستطيع أن يثبت كذبك . .

هذه الورقة التي كتبتها . . أخرجتك من دائرة الاختيار . . فلم تعد تستطيع أن تقول نعم . . أو لا بمحض اختيارك . . لأن هذه الورقة سلبت منك حق الاختيار في الإنكار . . وأثبتت لصاحب الحق حقه . . ومن هنا فان هذه ليست أمانة . . لأن جانب الاختيار فيها غير مترافر . . أو غير متاح . . ولكن اذا أعطاك أي انسان مبلغا من المال بينك وبينه ودون شهود . . ودون ورقة مكتوبة . . فانه يكون قد أعطاك هذا المال كأمانة . . لماذا؟ . . لأنه بينك وبينه معتمدا على تمسكك بالحق . . ومن هنا

فانك تستطيع أن تقول نعم .. أخذت منه هذا المال .. وتستطيع أن تقول لا .. لم آخذ منه هذا المال وتنكر ما حدث ..

اذن ما دام الاختيار موجودا في أنك تستطيع أن تفعل هذا أو لا تفعله . . أي تستطيع أن تقول انني أخذت المال أو لم أخذه . . فهنا تكون الأمانة . . الاختيار موجود . . وأنت وأمانتك . . تستطيع أن تقول الحق . . أو تنكره . .

فاذا قال الله سبحانه وتعالى إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال . . ﴿فأبين أن يحملنها﴾ . . فمعنى ذلك أن هذه الأشياء كلها قد رفضت أن يكون لها اختيار في أمورهما . . وفضلت أن تكون مقهورة مسخرة لما يريد لها الله سبحانه وتعالى لماذا ؟ . . لأنها جميعا خافت من عواقب هذا الاختيار . . وما يمكن أن يؤدي بها الى معصية . . أو الى مخالفة لأمر الله . . ولكن الانسان بعقله قبل الأمانة . . أي قبل أن يكون له اختيار . .

ويستطرد فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي . . ولنبسط المسألة قليلا . . هب أن انسانا جاءك . . ومعه مبلغ كبير من المال . . وقال أنا أريد أن أضع هذا المبلغ عندك أمانة . . أحد أمرين . . إما أن يكون تصرفك كتلك المخلوقات التي رفضت أن تحمل الأمانة بأن تقول لنفسك . . ان هذا اختيار صعب . . هذا الرجل سيرك لي ماله . . وقد تمتد يدي اليه . . وقد أنفقه فيما تغريبي الحياة . . ثم بعد ذلك يأتي وقت السداد فلا أجد المال . . فحتى لا أقع في أي اغراء . . وأقطع الشك باليقين فاني أرفض هذه الأمانة لأنها تعرضني الى ما لا أستطيع أن أحتمله . . والى اغراء الشيطان . . ومن هنا فأنا لا أريد أي اختيار لنفسي . . ولن آخذ هذا المال كأمانة . .

ولكن قد توسوس النفس والعقل بأنك تستطيع أن تأخذ هذا المال وأنت قادر على أن تودعه عندك . . وربما قادر على أن تستخدمه فيما ينفعك . . ولكنك قادر أيضا حسب ظنك وعلمك أن ترد هذا المبلغ لصاحبه عندما يأتي وقت الحساب . . وتأخذ المال . . وتنفقه . . ثم يأتي وقت الحساب فلا تجد عندك منه شيئا . .

اذن الأساس هنا هو الاختيار . . والانسان عندما حمل الأمانة معناها : أن آخذ

حرية الاختيار في أن أفعل ولا تفعل . . . ومن هنا كانت الرسائل السماوية التي نزلت
للإنسان . . . لأنه قبل حمل الأمانة . . . أي أحد الاحسان وبدء لعمل أو لا يفعل . .
أخذه وهو يحسب أنه قادر على أن يفعل ما يرضي الله . . . وإن سحبت ما بنفسه . .
ولكن اغراء الشيطان . . . وبريق الدنيا . . . وصحف النفس البشرية لم يكن في
حسابه . . . وبذلك كان ظلوما . . . أي طالما لنفسه . . . في أنه اعتقد فيها أكثر من
قدراتها . . . وهذا هو الغرور الذي اذا دخل النفس حرج منها الايمان الغرور الذي
جعل قارون يقول : إنما أوتيته على علم عندي . . . أي أن الإنسان يعتبر نفسه وعقله
وقدراته . . . ناسيا أن هذه القدرات هي من عند الله . . . وأنه هو الذي أعطها له . .
ويستطيع أن يأخذها منه . . . جهول . . . أي أن الإنسان جاهل بالحقيقة . . . التي
حوله . . . في أن الله سبحانه وتعالى هو القادر والفائل . . . والمعطي . . . والمانع . .
والرافع . . . والخافض . . . والمعز . . . والمدن

وهكذا حمل الإنسان الأمانة . . . ووصح الله سبحانه وتعالى أمامه الدلائل في أن
يفعل ولا يفعل . . . وما دام الله سبحانه وتعالى قد قال للإنسان افعل كذا . . . فمعنى
ذلك أنه في مقدور هذا الإنسان ألا يفعل . . . وإلا لما قال له الله افعل ومعنى قول الله
سبحانه وتعالى للإنسان لا تفعل كذا . . . أن الإنسان قادر على أن يفعل . . . وإلا لما قال
له الله سبحانه وتعالى لا تفعل . . .

اذن أخذ الإنسان الاختيار في أفعل ولا تفعل . . . فمادا حدث . . . صور له
جهله أشياء كثيرة . . . فخلق آلهة ليعبدها من صمم يديه أي أنه عند ما يستطيع أن
يصنعه . . . ونسي أن الذي يصنعه إنسان لا يمكن أن يكون هو خالقه . . . أي خالق
الإنسان ثم عبد الإنسان نفسه . . . ثم حاول أن يكر وحمود الله . . . وانطلق مع هوى
نفسه . . . جاحداً نعمة الله . . . ترك الرسائل التي أنزلها الله سبحانه وتعالى له ليبين له
طريق الحق . . . وطريق الحياة الطيبة الأمنة . . . وأخذ يشرح لنفسه وحسب أهوائه . .
فأصابه الشقاء في الدنيا . . . وحلت به الكوارث . . . وعاش عيشة ضسكا . . . ولكن
لماذا فعل الإنسان ذلك . . .

الانسان والاختيار

إذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يتحدى البشر . . فانه يتحداهم في أمر اختياري أي أن يستطيعوا القيام به بمحض اختيارهم وبكامل ارادتهم . . ذلك أن التحدي في أمر لا اختيار للانسان فيه لا يكون تحديا . . وفي القرآن تحديات كثيرة . . في أمور اختيارية . . لم يستطع الانسان ان يواجهها . . .

أخذ الانسان حرية الاختيار في افعل ولا تفعل . . فماذا حدث . . صور له جهله أشياء كثيرة . . فعبد كل شيء في الدنيا . . لا ينفعه ولا يضره . . عبد الأحجار والأصنام . . وعبد النار والشمس . . وعبد الحيوانات المفترسة . . والحيوانات الأليفة . . وانطلق في جهله بعيدا عن الله سبحانه وتعالى الخالق لكل هذا الكون . . المدبر له . . انطلق الانسان جاحدا نعمة الله . . ترك الرسالات التي أنزلها الله سبحانه وتعالى له ليعين له طريق الحياة الطيبة الآمنة . . وأخذ يشرع لنفسه حسب أهوائه . . فأصابه الشقاء في الدنيا . . وحلت به الكوارث . . ولكن لماذا فعل الانسان ذلك . .

إذا أردنا أن نصل الى ما تريده النفس البشرية في هذه الدنيا . . فقد لخصه الله سبحانه وتعالى في شيئين أساسيين . . ووصف بهما وصفا بليغا مدخل الشيطان الى النفس البشرية . . وما يريده كل انسان . . ذلك أن الشيطان حين أراد أن يغري آدم بمصيبة الله سبحانه وتعالى قال له هل أدلك على شجرة الخلد . . وملك لا يبلى . . وقال الشيطان لهما ﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾ . .

اذن الانسان يريد شيئين في الدنيا . . الخلود والأموال التي لا تفتنى . . ولا تنتهي . . انه يريد أن يبقى في الدنيا خالدا لا يموت . . ويريد أن يكون له ملك يعيش فيه عيشة الترف التي يريدها دون أن تتأثر هذه الأموال بكل ما ينفقه . . ومن

هنا كان مدخل الشيطان للنفس البشرية . . هذه الالهة كلها التي اخترعها البشر هي اما جالبة للرزق . . أو دافعة للضرر مبعدة للموت . . وهي في الحقيقة لا تفعل هذا ولا ذاك . . ولكنه الخوف الذي يضعه الشيطان في النفس غير المؤمنة هو الذي يجعلها تعتقد أن هناك شيئا في يد أحد غير الله سبحانه وتعالى . . وهنا نتوقف قليلا عند هذه النقطة . . الله سبحانه وتعالى حين أخذ من آدم ذريته . . وأشهدهم على نفسه . . نجد في النفس البشرية أثر هذا حتى الآن . فكل نفس بشرية تعرف الله بالفطرة . . ولا تحتاج لأي شرح اذا ذكرت لها كلمة الله سبحانه وتعالى . . ويكفي أن تذهب الى الحج لترى اسم الله ينطق بجميع لغات الدنيا . . بكل لغة من لغات العالم . . والمعنى واحد . . وهؤلاء الناس الذين جاءوا من كل بقاع الأرض قد لا يستطيعون التحدث معا . . أو التفاهم معا ، لأنهم لا يفهمون بعضهم البعض . . ولا يتكلمون لغة بعضهم البعض . . ولكن اذا ذكر اسم الله أمامهم توحدت قلوبهم عند كلمة الله . . واذا أقيمت الصلاة توحدت وقفتهم جميعا بين يدي الله . . مع أنهم غرباء تماما . . ولكنهم متعارفون في الله . . بغير المعرفة المألوفة بين البشر . . وربما التقوا أياما في الحج . . ثم بعد ذلك لا يلتقون . . ولكن رغم أنهم غرباء في كل شيء . . تجمعهم كلمة الله سبحانه وتعالى . . بل ان الله سبحانه وتعالى يمعن في التحدي . . ويقول سبحانه وتعالى في سورة مريم : ﴿رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا﴾ . . أي انه تحدى في القرآن أنه هو خالق كل شيء . . وهو الله لن تجد اسمه يطلق على أحد . .

وهذه نقطة يجب أن نقف عندها . . ان عادة الانسان أن يطلق اسما على كل شيء . . لا يوجد شيء في الدنيا بغير اسم الا اذا كان مجهولا للانسان . . فكل شيء يطلق عليه اسم . . أنت لك اسم . . واذا جاءك ابن تطلق عليه اسما . . والظواهر الطبيعية لها أسماء . . وكل شيء في الدنيا له اسم . . والاختراعات الجديدة والاكتشافات الجديدة يضع الانسان لها الأسماء . . حتى يستطيع الانسان أن يعرفها أو يعرفها . . اذن فكل شيء في هذه الدنيا له اسم يميزه عن غيره . . ثم يأتي القرآن ويتحدى . . ويقول . . ان الله سبحانه وتعالى لن تجد له سميا . . أي لن تجد انسانا

باسمه .. والتحدي هنا لمن ؟ .. التحدي في القرآن .. وفي الايمان .. هو للمشركين والكفار .. ذلك أن القرآن لا يتحدى المؤمن أبدا .. لأن المؤمن قد آمن وأطاع .. وهو ليس محتاجا للتحدي .. ولكنه محتاج لما يزيده ايمانا .. وقرباً لله سبحانه وتعالى .. أما المحتاج للتحدي فهو ذلك الذي يكفر . فيأتي الله ليقول له ان هناك تحديا .. تحديا لك في كذا وكذا .. فهل تستطيع أن تفعله يا من تعبد نفسك .. أو تعبد الانسان .. أو تعبد الحجر .. أو تعبد أي شيء آخر .. اذا كنت تريد أن تثبت حقيقة أنك أنت وما تعبده .. ومن يعضدونك ويشدون أزرك .. لهم قطرة من القوة .. فاني أتحداكم أن تفعلوا كذا وكذا .. والتحدي دائما من الله سبحانه وتعالى للانسان .. يكون في أمر اختياري .. اذ أن التحدي لا يمكن أن يكون في أمر اجباري يجبر الانسان عليه .. بمعنى - مثلا - اني لا أستطيع أن أقول لانسان انني اتحداك - مثلا - أن تطيل عمرك شهرا أو شهرين .. أو اتحداك ألا تصاب بمرض طوال حياتك .. الى آخر هذه الأمور التي لا اختيار للانسان فيها .. هنا يكون التحدي بالغ الصعوبة ، غير ميسر .. وأحيانا مستحيلاً ولا يعتبر تحدياً ..

ولكن الله سبحانه وتعالى حينما يتحدى .. يأتي بأمر اختياري يمكن لأي انسان أن يصل اليه ويتحدى فيه .. فالله سبحانه وتعالى مثلا علم أزلا أن بعض الناس سيأخذون العلم الذي أتاحه الله لعقول البشر .. وجعله في طاقتها .. سيأخذون هذا العلم ليعبدوه ويتخذوه لها .. ويقولون انتقلنا من عصر الدين الى عصر العلم .. ولذلك وضع الله في القرآن ما يرد عليهم .. قال لهم .. ان العلم الذي تعبدونه من دون الله قد يوصلكم الى أشياء تدهش عقولكم .. وتزعزع ايمانكم .. ولكنني أقول لكم ان هذا العلم بهيلمانه عاجز عن أن يخلق ذبابة .. هذا تحد رهيب للعلم الذي وصل الى القمر . وهو في طريقه الى المريخ .. يستطيع أن يخلق ذبابة واحدة . ولو اجتمع لها علماء العالم كله .. وفعلا كان هذا هو التحدي .. والتحدي هنا يقول أنا سأعطيكم من علمي ما أريد .. لتصلوا الى القمر .. وتطيروا في الهواء .. وتفعلوا ما يعتبره العقل البشري أشبه بالمعجزات .. ولكن لكي تعلموا أن هذا بإذني وأمرني .. فاني سامع عنكم خلق أحقر شيء « الذبابة » .. ستصلون بعلمكم الى

ما أريد .. ولكن لو اجتمع علماء العالم كلهم ليخلقوا ذبابة .. ما استطاعوا .. ولن يستطيعوا أن يصلوا بعلمهم الى ما لا أريد .. رغم بساطته ..

ويأتي العلم ليحقق للعالم أشياء كثيرة .. حتى أن الانسان أصبح يملك وسائل نسف الأرض .. ووسائل الكترونية حديثة تفوق في خدماتها كل ما تصوره العقول .. ونزل الانسان فوق القمر .. وهو في طريقه الى كوكب الزهرة .. الى غير ذلك .. ولكن التحدي ظل قائما .. ذلك أن الانسان لا يستطيع مع كل ما أوتي من العلم أن يخلق ذبابة .. أو حتى جناح ذبابة ..

جاء التحدي في أشياء أخرى كثيرة في القرآن ... مثل المطر .. وبالرغم من كل الاختراعات الحديثة .. فان العلم عاجز عن أن ينشئ سحابة صناعية .. ويجعلها تمطر حيث يريد .. بل ان بعض بلاد الدنيا تعاني من كثرة الماء .. وكثرة الأمطار .. والبعض الآخر يعاني من القحط الشديد .. والعلم لا حيلة له في ذلك .. مع أن الله كشف لنا الطريقة التي يتكون بها السحاب .. ثم الطريقة التي ينزل بها المطر .. وهنا امعان في التحدي .. اذ أنه يعطينا الأسباب .. ويجعلنا عاجزين عن العمل .. ثم يتحدانا في أمر اختياري كانزال المطر مثلا .. وهو أمر أبسط كثيرا علميا من الوصول الى القمر والمريخ .. ولكن الانسان لا يستطيع أن يقوم به ..

وفي القرآن تحديات كثيرة ليست هي موضوع حديثنا الآن .. اذ أن الحديث عن الله والنفس البشرية .. حين يأتي الله سبحانه وتعالى ويريد أن يتحدى الكفار في شيء اختياري .. هل الله يريد أن يتحدى كافرا بعينه .. أو طبقة من الكفار بعينها كالعلماء أو التجار .. أم أنه يريد أن يكون التحدي شاملا للجميع .. يستطيع أن يقدر عليه كل كافر .. حتى ذلك الذي لم يكتب حرفا .. لم يعرف من الدنيا شيئا .. يأتي الله سبحانه وتعالى ويجعل التحدي هنا عاما في مقدرة كل فرد .. فيأتي بالآية الكريمة : ﴿رب السموات والأرض وما بينهما .. فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا﴾ ..

أي أنه يتحدى في الاسم .. والاسم هنا شيء يقدر عليه كل انسان .. بل
ويستخدمه كل انسان في الدنيا كلها .. فكل فرد يستخدم الأسماء مهما بلغت ثقافته أو
علمه أو جنسيته .. الى آخره .. يأتي الله سبحانه وتعالى ويتحدى .. ويقول اني أنا
الله .. وهذا اسمي سأختص به نفسي .. ولن تجد سميا .. أي مسمى بهذا الاسم
في الدنيا كلها ..

يأتي هذا التحدي وأنا أوجه السؤال الى كل من يقرأ هذا الحديث .. هل
سمعتم عن انسان اسمه « الله » .. هل سمعتم أن عقلا بشريا جرؤ على أن يطلق
هذا الاسم على ابن له .. أو زوج له .. أو على أي شخص كان .. حتى الالهة التي
اخترعها الانسان ليعبدها جعل لها أسماء ليس بينها اسم « الله » سبحانه وتعالى ..
ولقد جاء هذا التحدي في أمر اختياري .. أي يستطيع أي انسان أن يفعله بارادته
.. وفي أمر لا يستلزم أي مؤهلات .. أي يستطيع أي فرد في الدنيا أن يقوم به دون
أن يكون له ثقافة أو علم .. أو فكر .. أو أي شيء مميز . أي أنه تحد للبشرية
كلها .. ومع أن هذا التحدي نزل منذ أربعة عشر قرنا .. ومع أن هناك أناسا
يعملون ضد دين الله .. ويحاولون هدمه .. لم استطع واحد منهم أن يطلق الاسم
على فرد أو شيء .. أو حتى على اله يعبده .. وهكذا بقي التحدي .. وسيبقى حتى
يرث الله الأرض ومن عليها ..

هذا التحدي لا يقدر عليه انسان .. ولا يمكن أن يقوم به بشر مهما بلغ
شأنه .. ذلك التحدي في أمر اختياري لا يستلزم أي صفات أو مؤهلات معينة ..
وعجز الانسان عن مواجهة هذا التحدي .. هو قدرة مسن قدرات الله سبحانه وتعالى
وحده ..

ورغم هذا التحدي الذي لا يجيب عليه أحد .. نجد بعض الناس يحاولون
جاهدين انكار وجود الله سبحانه وتعالى .. ويجادلون في ذلك جدالا كثيرا .. ولكن
هؤلاء الناس أنفسهم حينما تعجز الأسباب عن أن تدفع عنهم ضرا .. وحين يجردون
أنفسهم في كرب لا يستطيعون الخروج منه .. أو في بلاء لا يستطيعون رده .. تجد

ألسنتهم تصيح بلا شعور « يا رب » . . وتستنجد بالله الذي يحاولون انكار وجوده . .
كيف تستنجد نفس بالله سبحانه وتعالى . . وهي في نفس الوقت تحاول أن تنكر وجود الله . .
إنها تجزع إليه . . تستغيث بالخالق . . بالقدرة . . بالقوة . . بالذي يقول كن فيكون . .
كيف يتم ذلك ؟ .

الكون والانسان

كل ما في هذا الكون مسخر لخدمة الانسان ولكن ماذا فعله البشر ليمت ذلك . . وكيف يستطيعون أن يسخروا لخدمتهم من هو أقوى منهم ملايين المرات . . ان كل هذه الأشياء تستطيع أن تفني البشر في ساعات قليلة . . وربما في لحظات قليلة . . ولكنها خاضعة ذليلة لخدمتهم . .

ان الله سبحانه وتعالى أمرنا بالتدبر في الكون . . ولماذا يأمرنا الله بهذا ؟ . . لو أن في هذا الكون دليلا واحدا على عدم وحدانية الله . . وقدرته ووجوده . . ما أمرنا الله أن نتدبر في الكون . . وأن نتدبر في مخلوقاته . . وأن نتدبر في أنفسنا . . لماذا ؟ . . لأن الذي يعرض عليك شيئا فيه أدنى شك . . لا يقول لك افحصه جيدا . . أو تدبر فيه . . انك اذا أردت أن تعلم عن أي شيء تراه . . فان صاحب الشيء اذا لم يكن موقنا بما يقوله لما قال لك تدبر وانظر جيدا . . وافحص جيدا . . وإنما يحاول بشق الطرق أن يجذب انتباهك عن ذلك الشيء الذي تنظر اليه . . حتى لا تتبين فيه أي نقص أو عيوب موجودة . . إنما الذي يقول لك تدبر . . وفكر . . وانظر . . موقن من اتقان عمله . .

ولأضرب مثلا بسيطا لأقرب هذا الى الأذهان . . اذا دخلت لتشتري أي شيء في هذه الدنيا . . أي شيء . . أمامك واحد من اثنين . . اما أن يكون هذا الشيء متقنا اتقاننا بديعا . . وحينئذ يقول لك صانعه . . افحصه جيدا . . ويطلب منك أن تفحصه مرات ومرات . . لتبين دقة الصنع . . وتعرف متانة الشيء وكماله . . ولكن اذا كان الشيء ناقصا . . أو به عيوب . . فإن صانع الشيء الذي يحاول أن يغشك أو يخدعك . . يفعل كل ما يستطيع من الحيل لإيحاء سأمك بعيدا عن ذلك الذي في يدك . . حتى لا تتبين عيوبه وبواقصه

والله سبحانه وتعالى يطلب منا في قرآنه الكريم . . أن نتدبر الخلق . . أن نتدبر الكون . . ويقول ان هذا الكون فيه آيات بينات . . ويقول ان في خلقكم وخلق السموات والأرض آيات بينات . . وفي أنفسكم . . لماذا يقول الله ذلك ؟ . . اذا لم يكن فائل هذا الكلام هو خالق الكون . . وعارف لأسراره أفلا يخشى أن تكون هناك عيوب ونواقص . . وأشياء لا يعرفها . . قد يأتي التدبر فيها بنتيجة عكسية . .

ولكن الله سبحانه وتعالى هو الخالق . . وهو القائل . . وهو العالم . . ومن هنا فهو يعرف دقة ما خلق . . واعجاز ما خلق . فيقول لنا تدبروا في هذا الكون . . أنظروا فيه . . فستجدون آيات واعجازا خلقي وقدرتي . . وفي أنفسكم . . ويقول سبحانه وتعالى ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق . . وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ . . أي آيات تلك التي يتحدث عنها الله سبحانه وتعالى . . ان لم يكن هو الذي خلقها باتقان واعجاز . لا يملك البشر أمامه الا أن يسجدوا لقدرة الله سبحانه وتعالى في كونه . . وفي خلقه .

اذن هذا التحدي في التدبر في آيات الكون . . والتدبر في الخلق . . والتدبر في أنفسنا . . لا يمكن أن يحدث الا اذا كان القائل هو الخالق . . هو الذي وضع آيات . . ومعجزات في هذا الكون . . فما الذي يريدنا الله أن نتدبره الا آياته في الكون . . واذا لم يكن الله سبحانه وتعالى خالق هذا الكون . . فكيف يعرف أسراره كلها . . . ويعلم أن فيها آيات ومعجزات . . إن الذي خلق . . هو الذي قال . . هو الذي أعجز . . سبحانه وتعالى . . ومن هنا فهو يطلب منا أن نتدبر . . لنرى من الآيات ما يجعلنا نسجد لعظمة الله سبحانه وتعالى وقدرته . .

نأتي بعد ذلك الى نقطة أخرى . . الله سبحانه وتعالى أخبرنا في قرآنه الكريم أنه سخر كل ما في هذا الكون لخدمة الانسان . . تعالوا نتدبر قليلا في هذه الحقيقة الهامة . . كل ما في الكون يخدم الانسان . . الحيوان . . والجماد . . والشمس . . والقمر . . والنبات . . كلها تخدم الانسان . .

والانسان ليس هو الكائن الوحيد الحي في هذا الكون . فالنبات له حياة . . والحيوان له حياة . . والانسان له حياة . . ولكن كلا منها تختلف عن الأخرى . .

تعالوا نتدبر في خلق الله . . الله سبحانه وتعالى جعل كل شيء مسخرا لما فوقه . .
الجماد مثلا بكل صورته مسخر لخدمة ما فوقه من الخلق . . وهو النبات والحيوان
والانسان . . على أن التمييز . تمييز الخالق . . وليس تمييز المخلوق . . بمعنى أن الله
سبحانه وتعالى هو الذي سخر . . ولكن الانسان بقدرته . . وعقله . . وقوته . . عاجز
عن أن يسخر . . والدليل على ذلك أن هناك أشياء مسخرة للانسان . . والحيوان . .
والنبات . . أقوى منه ملايين المرات . . ولا يستطيع أن يوجد لها . . أو أن يسيطر
عليها . . الشمس والنجوم . . والكواكب . . والأرض . . مسخرة لخدمة النبات . .
والحيوان . . والانسان . . الشمس لا تستطيع أن تقول انني سأشرق هذا اليوم على جزء
من هذا الزرع لأعطيه الحياة والنمو . . ولن أشرق على جزء آخر ليموت . . فالشمس
بقدرتها الهائلة . . وقوتها التي لا يستطيع أن يقترب منها العالم أجمع . . مسخرة لخدمة
النبات . . تشرق عليه . . وتعطيه الحياة والنمو . . وتغرب عنه . . ليتم دورته . .
وهكذا . . وهي في هذا الاختيار لها . . وكذلك الرياح . . والأمطار . . والأرض . .
نفسها . . كلها مسخرة لخدمة النبات والحيوان والانسان . . الأرض اذا وضعت فيها
الحب لا تستطيع أن تقول لن أعمل على اثماء هذا الحب وتغذيته . . ولكنني سأغذي هذا
الحب . . وكذلك المطر لا يستطيع أن يقول سأنزل هنا اليوم . . ولن أنزل غدا . . أو لن
أنزل في العام القادم . . كل هذه الأشياء مسخرة ليس لها أي اختيار . . وهي تعطي عطاء
متساويا للجميع بلا تمييز . . لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي سخرها . . وهو الذي
جعلها في خدمة أنواع الحياة التي هي أرقى منها . . كالنبات . . والحيوان . .
والانسان . . وليعلن للعالم أجمع أن هذه الأشياء هي مسخرة بقدرته سبحانه وتعالى . .
وبعلمه . . وبكلمة كن . . جعلها أقوى من الانسان . . والحيوان . . والنبات . . ملايين
المرات . . ومع ذلك هي في خدمتهم جميعا . . لا تستطيع يوما واحدا أن تمتنع أو ترفض أن
تقوم بخدمتهم رغم قدرتها . . وضعف من تخدمهم من البشر . . والنبات والحيوان . .

هذه واحدة . . فاذا انتقلنا الى النبات . . نجد أنه مسخر لخدمة من فوقه في
الخلق . . وهما الحيوان والانسان . . والحيوان يستطيع أن يأكل من النبات كما يريد ويحطمه
كما يريد . . ولا يستطيع النبات أن يمنعه من ذلك أو يقول له لا . . لن أعطيك طعاما

اليوم . . سأمنعه عنك . . أو يبعده عنه . . اذا أراد به ضرا . . وكذلك بالنسبة
للانسان . . فان النبات مسخر لخدمته . . عطاء له عندما يريد . . لا يملك لنفسه نفعا ولا
ضرا امام ارادة البشر . . حتى في اهلاكه وافساده . . اذن فالنبات مسخر لخدمة ما فوقه . .
لا يستطيع له نفعا ولا ضرا . . وانما يعطيه عطاء بلا حساب . . ويكون في خدمته دائما كلما
أراد . . حتى اذا أراد له هلاكاً . . فالصبي قد يأتي بفأس أو منشار . . ويصل الى شجرة
ضخمة هائلة . . ويظل يقطع فيها عدة أيام حتى تسقط . . ولكن الشجرة رغم ضخامتها
وقوتها . . حتى انه اذا سقط غصن منها على هذا الصبي أهلكه . . بل اذا سقط غصن منها
على رجل أهلكه . . واذا سقطت الشجرة نفسها على عدة رجال أقوياء أهلكتهم . . رغم
أن هذه الشجرة تملك هذه القدرة الهائلة على البشر . . فانها لا تستطيع أن تأمر غصنا منها
ليسقط . . فيهلك صبيا أو رجلا يقطعها بفأس أو منشار . . ولا تستطيع أن تأمر جذعها أن
يسقط على رجال يقومون باقتلاعها من جذورها . . ومن هنا فهي تملك القوة . . ولكنها لا
تملك القدرة . . لماذا ؟ . . لأنها مسخرة لخدمة الانسان والحيوان . . رغم قوتها الهائلة . .
وقدرتها على التدمير . . الا أنها تقف عاجزة تماما أمام الانسان . . لماذا ؟ . . لأن التسخير
هنا من الله سبحانه وتعالى . . ومن هنا فلا القوة لها قيمة . . ولا القدرة لها قيمة . . وانما
الأمر جميعا للقاتل . . وهو الله سبحانه وتعالى . . والقاتل هنا سخرها للانسان . . فهي
مسخرة له . .

اذا انتقلنا بعد ذلك الى الحيوان . . نجد أنه أرقى حياة من النبات . . فقد منحه الله
الجواس . . ومنحه قدرة على الحركة . . ومن هنا فهو أعلى خلقا من النبات . . ومن
الجماد . . وكل خلق تحته مسخر له . . لخدمته . . ولكن الحيوان نفسه مسخر لخدمة
الانسان . . وقد يكون الفرس . . أو الجاموسة . . أو الثور . . أو الجمل . . أو أي حيوان
آخر يملك من القدرة والقوة ما يستطيع أن يحطم به أقوى رجل في العالم ويهلكه . . ومع
ذلك . . فان صبيا صغيرا يستطيع أن يقود الجمل . . أو الفرس . . أو الثور . . الى حيث
يريد . . وهو طائع له . . لا يستطيع أن يعصيه . . اذا تدبرنا في ذلك . . فان العقل يقول
ما دام الحيوان هو الأقوى . . فهو الذي يتحكم ويفرض ما يريد . . ولكن الله سبحانه
وتعالى الذي أراد ذلك سخر الحيوان القوي فجعله ضعيفا ذليلا أمام الانسان الذي يقل عنه

قوة وقدرة .

إذا انتقلنا بعد ذلك الى الانسان . . فهو حياة أرقى من النبات . . والحيوان . . لماذا؟ . . لأن له فكرا . . له عقلا . . وله اختيارات . . ومن هنا فهو أرقى ما خلق الله في الدنيا . . رغم قدرة الشمس . . وقوة الريح . . وجبروت الأمطار . . وضخامة النبات . . والقدرة البدنية للحيوان . . فان هذا الانسان أرقى هؤلاء جميعا . . وكل هذه الأشياء مسخرة لخدمته . . بإرادة الله . . وليس بإرادة الانسان . .

فإذا كانت مخلوقات الدنيا هي : الجماد . . والنبات . . والحيوان . . والانسان . . وكل خلق منها يعمل على الآخر . . فيكون مسخر له . . وهذا لا يتوقف على القوة . . ولا على الحجم . . وإنما على إرادة الله . . الجماد يخضع للمخلوقات الأرقى منه . . وهي النبات والحيوان والانسان . . والنبات يخضع لمن فوقه . . وهما الحيوان والانسان . . والحيوان . . يخضع لمن فوقه وهو الانسان . . فلمن يخضع الانسان . . يخضع لخالقه . . يخضع لله سبحانه وتعالى ليكون هناك انسجام في الكون . . كل شيء يخضع لما فوقه . . ومن هنا يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ .

ومن هنا كان هدف الانسان أن يخضع لخالقه الذي سخر له كل ما في الكون . . وهذا هو الذي يعطي الحياة معناها الحقيقي . . لأن كل شيء يخضع لما فوقه . .

ونحن حين نتدبر في الكون نرى كيف أن الانسان يجب أن يخضع لخالقه . . ليتم الانسجام في الكون . . وعلامة الخضوع هي العبادة . . وهذا هو هدف العقل الأول في أن يعرف ماذا يجب أن يؤدي وأن يتدبر في الكون ليعرف أن كل شيء يجب أن يخضع لما فوقه . . وان الانسان يجب أن يخضع لخالقه . . الذي خلق هذا الكون كله . . وسخره لخدمته . .

ولكن العقل البشري ينسى الله . . وينسى كل هذه المعجزات . . ويتحدث عن العلم . . وعصر العلم . . فماذا استطاع العلم أن يحقق للبشر . .

الانسان والعلم

العلم لا يستطيع أن يخلق مقومات الحياة .. فما بالك بالحياة نفسها .. ان الانسان عاجز عن أن يخلق غلافا جويا للقمر مثلا .. أو بحيره بالماء اللازم للحياة .. والزرع .. أو أن يجعل حبة تنبت على يدك .. بدلا من أن تنبت على الأرض .. والقرآن الكريم يقول لنا ان هناك مضلين .. سيأتون ليجادلوا في خلق الانسان ..

ان العلم يتحدد في شيئين رئيسيين .. علم مادي يخضع للتجربة البحتة .. لا يدخل فيه هوى البشر .. ذلك العلم هو الذي يتناول المادة فقط .. وهو الذي يمكن أن يفحص في المعمل .. وتجري عليه التجارب .. وليس فيه هوى النفس البشرية .. وهذا العلم هو الذي أتاحه الله للعقل البشري .. وطلب منه أن يجتهد فيه .. ووعد الله بأن يكشف آياته في الكون لأولئك الذين يعملون .. ويبحثون .. ويجرون التجارب .. ويجتهدون .. وعلم آخر هو علم تدخل فيه الأهواء .. وذلك ما لم يدخل فيه معمل .. ولا يمكن اجراء تجارب عليه .. وهذا العلم مثل النظريات الفلسفية والسياسية .. وكل شيء لا يخضع لتجربة المعمل .. هذا العلم يختلف فيه الأهواء وتتصارع .. وسيظل الصراع بينها الى يوم القيامة .. لأن هذا العلم لا يستند على أسس مادية موضوعية بحتة .. وإنما تدخل فيه الأهواء الشخصية ..

النوع الأول من العلم .. صاحبه يظل يعاني حتى يصل الى هدفه .. فاذا وصل الى الهدف استفاد منه الناس كلهم .. فالعالم مثلا الذي يجري تجارب في معمله .. على اختراع جديد .. أو شيء جديد .. يظل يسهر ليلالي طويلة حتى يصل الى نتائج .. فاذا وصل الى نتائج .. استفادت منها البشرية كلها .. واذا أردنا أن نضرب مثلا لذلك .. فهناك مثلا اكتشاف الكهرباء .. واختراع الراديو والتليفزيون .. والتليفون .. الى آخر هذه الأشياء التي اقتضت بحثا من أصحابها .. فاذا وصل البحث الى نتيجة .. استفادت

منها البشرية كلها . .

أما النوع الثاني من العلم . . فهو الذي يخضع للهوى . . فان صاحبه هو الذي يستند . . وغيره يعانى . . ذلك أنه يضع العلم على هواه . . وعلى أساس ما يرضيه هو . . ومن هنا فان صاحب النظرية الفلسفية أو السياسية . . لا يعانى شيئا بقدر ما يعانى أولئك الذين يخضعون لها . . أو يفقدونها . .

وستنطرد فضيله الشيخ محمد منبجى الشعراوي بعد هذه المقدمة القصيرة ليقول :
ماذا قدم العلم للبشرية . . تعالوا نناقش ذلك من واقع التجربة العلمية . . ان أساس الحياة البشرية من خلق الله سبحانه وتعالى لم يتغير . . ولم يتبدل . . ولا يستطيع العلم أن يجد له بديلا . . واما العلم بعدم الرفاهية للبشر . . أي أنه يجعل الحياة أكثر سهولة . . وأكثر نعومة . . ولكنه لا يعطينا مفومات الحياة . . بل ان الله سبحانه وتعالى علما منه بظلم الانسان للانسان . . جعل مفومات الحياة في يده . . وما أعطاه منها ليد البشر أعطاه بشكل لا يجعل الانسان قادرا على هلاك الانسان باستخدام أسباب الخلق . .

ولنشرح هذه المعطة قليلا . . مفومات الحياة من كرة أرضية . . وشموس . . ونظام كوني لا دخل للانسان فيه . . ولا يستطيع . . ولن يستطيع الانسان بعلمه أن يتدخل ليخلق كرة أرضية جديدة . . أو شمسا جديدة أو نجوما جديدة أو سماوات جديدة . . الى آخر هذا . . هذا خلق الله . . والعلم اذا استطاع أن يكتشف الآيات في هذا الخلق . . يكون قد تقدم تقدمًا هائلا . . ولكنه لن يستطيع أن يخلق شيئا . . أو يبدله . . أو يغيره . . واذا كنا نتحدث الآن . . ونحن في عصر العلم . . فتلك حقيقة هامة . . لا يستطيع أحد الخدال فيها . .

نأتي بعد ذلك الى مفومات الحياة على الأرض . . الهواء . . والماء . . والطعام . . لوازم ثلاثة لحياة الانسان على الأرض . . الانسان بطبعه لا يستطيع العيش بدون الهواء أكثر من دقيقة أو دقائق . . ولذلك أخرج الله الهواء من قدرة البشر على التحكم في البشر . . فإله شاء أن يكون الهواء . . متاحا للناس جميعا . . لا يستطيع واحد أن يمنع عن مجموعة من الناس هلك . . بل انه أخضع الهواء لعدله . . فكان متساويا بين الناس

جميعا . . فقيرهم وغنيهم وعظيمهم وذلك الذي لا يملك من أسباب الدنيا شيئا . .
فهم جميعا يتنفسون بنفس السهولة . . وبنفس الطريقة دون أي عناء . . يصلهم الهواء الى
حيث هم وأينما كانوا في حجرات مغلقة . . أو في الطيرين . . أو في السارده . . أو
في أي مكان في العالم . . فان الهواء يصلهم سهلا . . ميسرا . . متاحا . . للجميع . .
وهذا عدل الله سبحانه وتعالى . . ولا دخل لبشر فيه .

نأتي بعد ذلك الى الماء . . وهو ما يستطيع الانسان أن يعيش بدونه يوما . . أو عدة
أيام . . نجد أن القدرة على اختزان الماء قليلة . . والقدرة على منع الماء عن البشر قليلة . .
ومحدودة . . وان كانت لها امكانيات . . وهنا يتدخل ظلم الانسان . . ولكن بقدر محدود
جدا . نظرا لاهمية الماء للحياة البشرية . . نأتي بعد ذلك للطعام . . فنجد أن قدرة
الانسان على اختزانه ومنعه . . أكبر . . ولكن احتمال الانسان لعدم تناول الطعام
أكثر . . فان الانسان يستطيع أن يتحمل عدة أيام بدون طعام . . ولكنه في نفس الوقت
يستطيع أن يحصل على ما يقيم أوده . . أو يبقى الحياة في جسده بسهولة نظرا لأن الكمية
التي يحتاج لها الجسم البشري من الطعام ضئيلة نسبيا . . فهي كما قال رسول الله ﷺ
لقيمات أي كمية محدودة من الطعام وكلما زاد اقبال الانسان على الطعام فسد جسده
واعتلت صحته . .

وهذه هي مقومات الحياة الثلاثة . . شيء لا يستغني عنه الانسان . . ولا يستطيع
الحياة بدونه أبدا وهو الهواء . . نافذ فيه عدل الله . . ليحصل كل انسان على حاجته بلا
عناء . . وشيء يستطيع الانسان أن يستغني عنه يوما وهو الماء . . متوافر للناس وشيء ثالث وهو
الطعام . . تحكم البشر فيه أكثر . . ولكن احتمال الانسان للعيش بدونه أكبر . . وهنا ترى
عدالة السماء في توزيع مقومات الحياة . . وتدخل الانسان فيها .

نأتي بعد ذلك الى العلم . . ماذا استطاع العلم أن يقدم للانسان من هذه
المقومات . . الهواء المحيط بالأرض . . هل يستطيع العلم أن يخترع غلافا جويا . . كذلك
الذي يحيط بالأرض . . أو أن يوفر الهواء على كوكب القمر مثلا . . مثل توفير ارادة الله
للحواء حول الأرض . . وبنفس العدالة . . الجواب : مستحيل طبعا . . فاذا انتقلنا من
الهواء الى الماء . . هل يستطيع العلم أن يمد ماء . . أو يوصل ماء لكوكب من الكواكب

ليس فيه ماء ويجعل الحياة ممكنة فيه . . هل يستطيع العلم أن يخلق ماء على كوكب من الكواكب . . فالماء الموجد على الأرض ينبعث منه الوب الملائين من البشر والحيوانات . . والطيور . . وكل شيء حي . . بحيث يكفون منه أفرا . . ويسقي هؤلاء جميعا . . ويسقي أرضهم . . وينبت لهم الزرع ليأكله آمنه . . الحجاب : مسنجل . . فالعلم عاجز عن أن يمد الصحاري في الأرض بالماء اللازم لها . . لتأخر . . وهناك مساحات شاسعة من الأرض صحراء جرداء . . لا يستطيع العلم أن يعطيها الماء . .

بل اننا نجد الصحراء تمتد بجوار الأرض الخضراء . . تلك فيها حياة . . والآخرى ميتة لا حياة فيها ولا ماء . . والعلماء يعرفون أن العلم عاجز عن أن يسقي البشر ماء . . رغم أن الله سبحانه وتعالى قد أتاح للعلماء معرفة تكوين عناصر الماء . . وطريقة تكوين السحب . . ولكن كل هذا هو من خلق الله . . والعلم لا يستطيع أن يقدم شيئا في ذلك . . ولا يستطيع أن تخلق ظروف الحياة . . على كوكب لا حياة فيه . .

ننتقل الى الطعام . . هل يستطيع العلم أن يجعل حبة تنمو على يدك . . أو على شيء غير الأرض . . أه التربة الأرضية . . هل يستطيع العلم أن يزرع زرعاً في الهواء فينمو ويزدهر . . لا يستطيع . . بل يجب أن ينمو الزرع في الأرض . . وأن يتغذى من التربة وبالماء . . ومن هنا فان مفومات الحياة الثلاثة لا يستطيع العلم أن يقدم للانسان فيها شيئا . . ولا يستطيع أن يعطيه فيها بديلا . . الانسان محتاج الى الهواء . . والماء . . والأرض . . ليعيش . . والعلم عاجز عن أن يخلق له ماء أو هواء . . أو أرضاً جديدة . .

وكل ما يستطيع أن يقدمه العلم هو الرفاهية . . بمعنى أنني عندما أحس بالعطش يجب أن أذهب الى الدهر أو الى النبع . . أو الى مكان فيه ماء لأشرب . . العلم يجعل هذا الماء يصل الى مكان مثلج . . وبالنسبة للطعام . . المفروض عندما أجوع أن أذهب الى المكان الذي يزرع فيه الطعام أو يست فيه لاكل . . العلم يوفر لي هذا الطعام في بيتي . . ويستطيع أن يكتشف طريقة لتحسين الانتاج وتطويره . . بحيث يكون الحجم أكبر . . والطعام أشهى . . لكنه لا يستطيع أن يخلق طعاما . . والعلم يوفر لي رفاهية في العمل الذي أقوم به . . مخترع لي اله بدلا من الفأس الذي استخدمه في الزراعة . . ويخترع لي

آلة حاسبة أو عقلا الكترونيا يقوم بالحسابات . . ويسر لي الانتقال السريع بالطائرة . . الى غير ذلك من وسائل الانتقال . . ولكنه لا يخلق لي شيئا من مقومات الحياة . . وهذا واضح في قول الله سبحانه وتعالى . . في سورة الواقعة حينما يتحدث عن مفومات الحياة . . وكيف أنها من صنعه سبحانه وتعالى . . فيقول : ﴿أفأنتم ما تحرثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾ . . ﴿أفأنتم الماء الذي تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون﴾ . . ﴿أفأنتم النار التي تورون ، أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾ . . بقيت نقطة هامة جدا وهي نقطة الخلق . . وهذه محتاجة الى حديث قادم حيث أن هناك من يجادل في خلق الله . . وهناك من يحاول أن ينكر الدين . . والله سبحانه وتعالى قد أنبأنا عن هؤلاء في القرآن . . وقال لنا الله ان هناك أناسا مضلين سيأتون . . ويحاولون أن يضلوكم عن دينكم . . ويتحدثوا عن خلق السموات والأرض . . وعن خلق الانسان . . وهم سيحاولون اضلالكم عن الحق . . هؤلاء المضلون الذين أنبا القرآن عنهم قد جاءوا . . وبدأوا في محاولة اضلال الناس . . ولكن مجيئهم كان تهيئة للدين . . وتصديقا للقرآن . . فلو أن هؤلاء المضلين لم يجيئوا ولم يجادلوا في خلق السموات والأرض . . لكان عدم مجيئهم ضد قضية الدين . . فالله سبحانه وتعالى قد قال لنا ان هناك مضلين . . وانهم سيأتون . . ويجادلونكم في الخلق . . فكان هؤلاء المضلين في محاولاتهم التشكيك في الدين . . إنما يشبثون أن هذا الدين حق . . ولكن كيف . .

الانسان وخلق الله

من الذي ميز الانسان عن أي انسان اخر مخلوق مثله . . رغم تشابه الخلق . .
وجعل الفرد رغم تشابه الخلق مميزا عن الدنيا كلها . . بحيث لا يتكرر شخص رغم تكرر
الخلق . . هل تستطيع أن تميز بين عصفورة وعصفورة . . أو بين قرد وقرد أو بين أسد
وأسد . . ولماذا التمييز . .

وإذا أردنا أن نستشهد بالقرآن الكريم في أمر هؤلاء الذين يضلون عن سبيل الله . .
فإننا نجد الآية الكريمة : ﴿ وما أشهدتهم خلق السموات والأرض . . ولا خلق أنفسهم
وما كنت متخذ المضلين عضدا ﴾ . . ومعنى الآية الكريمة أن هناك أناسا سيأتون ليضلوكم
عن سبيل الله . . ويتحدثوا عن خلق الانسان . . وخلق السموات والأرض بنظريات من
صنع هواهم . . لا تستند الى الحقيقة ولا الى الواقع . . وأنا أقول من الآن ان هؤلاء الناس
لم يشهدوا معي . . أو لم أشهدهم لم يشهدوا معي . . ولا خلق الأرض . . ولا خلق
الانسان . . وما كنت متخذاً من هؤلاء المضلين عوناً لي في الخلق حتى يقولوا ما يعلمون .

لو لم يأت هؤلاء المضلون لقلنا ان القرآن قد أخبرنا أن هناك من يأتي ليضل من سبيل
الله . . وهؤلاء لم يأتوا . . ولو أن هؤلاء الناس لم يجادلوا في خلق السموات . . وخلق
الأرض . . وخلق الانسان . . لقلنا ان القرآن قد أنبأنا أن هناك أناسا سيجادلون في
الخلق . . ويضلون عن سبيل الله . . ولكن هؤلاء الناس جاءوا ليضلوا عن سبيل الله . .
وتركوا مسألة خلق السموات والأرض . . وخلق الانسان . . ولم يجادلوا فيها باعتبار أنها
مسألة غيبية . . ومن هنا كان من الممكن جدا أن يأتي هؤلاء المضلون . . ويجادلوا في
الله . . ولكن عندما تأتي نقطة خلق السموات والأرض . . وخلق الانسان . . يقولون لن
نجدل في هذا الامر . . حيث انه أمر غيبي خارج عن نطاق علمنا . . ولم نشهده . . ولا
نستطيع أن نحادل فيه . . كان من الممكن أن يحدث هذا فعلا . . ولكن كون هؤلاء
المضلين أسوأ . . ودهمهم جادلوا في خلق السموات والأرض . . وفي خلق الانسان . .

وجادلوا دون برهان مادي يستطيعون تقديمه . . فهم لا يستطيعون مثلا وضع الشمس والقمر داخل معمل لإجراء تجارب عليها . . أو ادخال الروح البشرية تحت الميكروسكوب . . ولكنهم رغم علمهم المحدود . . جاءوا وجادلوا في هذه الأشياء . . ليس عن علم . . ولكن عن هوى . . حينئذ نقول ان هؤلاء المضلين قد قدموا الدليل على صحة القرآن وأنه منزل من عند الله وقدموه وهنا المعجزة . . وهم يحاولون الاضلال عن سبيل الله . . أي أنهم أثبتوا أن الله حق . . وأن القرآن حق . . بينما هم يحسبون أنفسهم أنهم يضلون . .

ويستطرد فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي فيقول اذا أردنا أن نناقش أحدا من الذين يضلون عن سبيل الله . . أو ينكرون وجوده سبحانه وتعالى . . فانهم لا يقدمون الدليل . . أو الحججة على ما يقولون . . ولا يناقشون جوهر الرسالة نفسها . . يأتي الواحد منهم ليقول إن هذا القرآن ليس منزلا من عند الله مثلا . . وهذه قضية جدلية . . لا يستطيع أن يثبتها . . فالله سبحانه وتعالى لم يخبره بهذا . . وهو لم يأت بعلمه الانكاري عن أي طريق يقيني . . وانما هو أتى به عن طريق هوى في نفسه . . يريد أن يحققه بالهروب من شريعة الله . . الى شريعة أخرى . . تعطيه فوق ما له من حقوق . . وتسلب الآخرين ما لهم من حقوق .

ومن هنا فاننا اذا أردنا أن نناقش هذا الموضوع لا يجب أن نبدأ المناقشة بهذه النقطة . . ولكننا يجب أن نقول لكل من يجادل في الله محاولا الانكار . . تعال وناقشنا في المنهج الذي وضعه الله . . تعال وناقشنا في المبادئ التي وضعها الله . . ولكننا نجد أنه يهرب من المناقشة . . ويحاول أن يتخلص منها . .

على أن الذين يجادلون في خلق السموات والأرض . . وخلق الانسان . . انما يأتون بأشياء عجيبة . . يحاولون إلباسها ثوب الحق . . وهي باطل . . ويحاولون أن يخدعوا الناس بأشياء كثيرة لا تمت الى العلم بصلة . . نجد واحدا يأتي ويقول ان أصل الانسان قرد . . ثم هناك حلقة مفقودة . . ونظرية الارتقاء الى آخر ما يقال في هذا الموضوع . . هذا شيء مبني على الظن . . فالرجل الذي قال هذا الكلام لم يشهد قردا تحول الى انسان . . ولا يستطيع أن يحول قردا الى انسان . . اذن فهي نظرية غير يقينية مبنية على افتراضات

شكلية بعيدة عن العلم تماما . .

ولكننا حين نبدأ المرافضة معه في المضمون . . نقول له . . تعال . . هل شهدت قردا
ينحول الى انسان . . سنقول لا . . هل تستطيع أن تحول قردا الى انسان . . سيقول لا . .
هل شهدت نملق الانسان . . يقول لا . . نقول اذن علام تبني نظريتك . . على أي أساس
. . يقول على الملاحظة والشخصين . . نقول له . . اذا كان كذلك . . فلنتناقشك بالملاحظة
والتخمين كما ست نظرياتك .

هل تستطيع أن تفسر لنا كيف ميز الله الانسان . . سيقول انها نظرية الارتقاء . .
نقول له نريد أن نوقف قليلا . . الانسان كمخلوق من خلق الله مثله مثل باقي خلق
الله . . ولكن الله سبحانه وتعالى ميزه بأشياء كثيرة . . أهمها العقل الذي يميز به الانسان
بين الحي والباطل . . والذي يكون في كثير من الأحيان هو الطريق الى الضلالة . . اذا
وضع العقل البشري تحتكم مطلق . . وزاد عليه الغرور الانساني . .

والا فلنبدأ . . هل نستطيع أن نميز بين عصفور وعصفور آخر من نفس الجنس . .
هل نستطيع أن نميز بين حصان وحصان آخر من نفس الجنس واللون . . وهل نستطيع أن
نميز بين جاموسة وجاموسة . . أو قرد وقرد . . أو أسد وأسد . . أو أي حيوان وحيوان
آخر . . الجواب طبعا لا . . ولكنك تستطيع أن تميز بين انسان وملايين البشر . . رغم أننا
كلنا مخلوقون بنفس الشكل . . فكل منا له عينان . . وأذنان . . وأنف . . وفم . . ويدان
وقدمان . . أي أن الشكل العام واحد . . ولكن كل انسان له صورة معينة . . تميزه عن
ملايين البشر . . فأنت حين ترى انسانا بين الملايين التي تسكن الكرة الأرضية . . تقول
هذا علي . . وهذا اسماعيل . . وهذه فاطمة وهذه زينب . . وهذا أبي . . وهذه أختي . .
الى آخر كل هذا . .

من الذي ميز الانسان عن أي انسان آخر مخلوق مثله . . وجعل هذا التمييز تميزا
خاصا . . رغم تشابه الخلق . . ووضع هذا التمييز في كل انسان ليستطيع أن يميز زوجته
وابنه وأباه . . وأصدقائه . . الى آخر هذه العملية . . بل ويستطيع هو أن يكون مميزا عن
الناس آخرين الذي هو الله سبحانه وتعالى ليستقيم ذلك مع الحياة التي رسمها له . .

فهو مميز في الدنيا ليمكن حسابه في الآخرة . . ويكون شهيدا على نفسه . . وهو مميز في الدنيا ليكتب عمله له أو عليه . . وهو مميز في الدنيا لأنه سيحاسب في الآخرة . . فلو أن الانسان كان غير مميز . . والخلق متشابه . . لكانت حياة الانسان على الكرة الأرضية مستحيلة التنظيم . . لماذا ؟ . . لأن الانسان لم يخلق للدنيا وحدها . . وإنما خلق للدنيا وللآخرة . . خلق وسيحاسب ويكون شهيدا على نفسه . . وأنا حين لا أستطيع أن أميز أبي وأمي وأولادي . . وزوجتي . . والناس حولي . . كيف يمكن أن أحاسب . . وكيف يمكن أن يأتي هؤلاء الناس الذين أسأت اليهم . . وأكلت حقوقهم في الآخرة . . ليكونوا شهداء ويأخذوا حقوقهم من حسناتي . . وكيف يمكن أن أكون شهيدا على نفسي . . وأنا لا أميزهم . . وكيف يمكن أن أحاسب على اتصالي بامرأة أخرى . . وأنا لا أميز زوجتي . . اذن التمييز هنا ضروري وأساسي . . . وقد وضعه الله باعجاز شديد . . رغم تشابه بلايين الخلق . . فان لكل انسان صورة مميزة لا تتكرر . . والدليل على ذلك صور ومماثيل الملوك . . الأقدمين التي تركوها في الأرض . . الفراعنة مثلا ماتوا منذ قرون . . فهل تستطيع أن تأتي بانسان . . وتقول هذا رمسيس . . أو هذا هو نابليون . . الجواب مستحيل . . الانسان قائم بذاته . . لا يتكرر رغم تكرار الخلق . . ومن هنا فان الحساب يكون عدلا . . ويقول الرسول ﷺ انه حين يتشفع المؤمنون للعاصيين في الآخرة . . لإخراجهم من النار . . يقول الله سبحانه وتعالى . . اذهبوا وخرجوا من النار من كان في قلبه حبة خردل من الإيمان . . فيذهبون إلى النار . . فيعرفونهم بصورهم . . أن حياة الإنسان كحيوان بلا تمييز ممكنة إذا كان الهدف هو الدنيا وحدها . . ذلك ان هناك ألوقاً من المخلوقات تعيش بلا تمييز . .

ولكن ماذا عن الآخرة . .

اذن تمييز الانسان ضروري للحساب في الآخرة . . ولو أنه لم يكن هناك حساب وثواب وعقاب . . لما ميز الانسان عن غيره من سائر المخلوقات . . ولكان الخلق قد تشابه كما هو في عالم الحيوان مثلا . . هذا التمييز الدقيق جدا . . المعجز . . لا يمكن أن يأتي بالتطور . . لأنه غاية في الدقة . . وغاية في الاعجاز . . خلق متشابه في كل شيء . . ومع ذلك كل انسان فيه مميز عن الآخر . . تمييزا دقيقا . . بحيث لا يتطابق انسان في هذه

الدنيا كلها مع انسان آخر . . بل لا يتطابق في الخلق من اوله الى يوم القيامة انسان مع انسان آخر ، اترى الاعجاز الذي يجب أن يسجد له كل ما في السموات والأرض ان الانسان لا يستطيع . . ولا يقدر مهها بلغت عبقريته . . ومهما استعان بقوى الأرض جميعا أن يصنع أشياء متكررة منمرة لا يشبه أحدها الاخر . . مستحيل . . وفكر قليلا في كل شيء يصنعه الانسان . . بل نصنعه أكبر عقول البشر . . لا يمكن تمييز شيء متشابه بحيث يكون لكل فرد منه شخصية معينة . . ليكون مميزا تمييزا دقيقا عن البلائين غيره . . أي ارتقاء هذا الذي يتجاوز كل قدرات الدنيا . . أي ارتقاء يمكن أن يضع هذا الاعجاز المطلق في طرفة واحدة . . ولا مقدمات أي ارتقاء ذلك الذي يقفز بالانسان ليجعله سيد الأرض كلها . . ويجعل كل شيء مسخرا لخدمته . .

ولكن بعض الناس يحاول أن يفرض أشياء خاطئة . . ثم يدعي كذبا أنها الحقيقة . . وفي خلق الانسان . . معجزات لا يمكن أن تكون طرفة . . ولا ارتقاء . . ولا أي شيء . . مثلا العقل البشري . . ذلك الذي ميز به الله سبحانه وتعالى . . آدم وذريته . . والعقل البشري اذا أردت أن تخلق عقلا الكترونيا في قوته . . فانك محتاج الى أضغاف مساحة الكرة الأرضية . . لتقيم هذا العقل . . لأن العقل البشري الصغير الذي تراه أمامك في هذه المساحة المحدودة . . مكون من ألف مليون خلية عصبية . . وأريدك أن تضع معي خيالك قليلا . . ألف مليون خلية في هذه المساحة الصغيرة . . هذه الألف مليون خلية تعمل وترجم وتهاجم وتدافع . . وهناك ثلاثة آلاف شعيرة تتذوق الطعام وتقول للانسان هذا حلوا . . وهذا مر . . واذا اقترب جسديك من شيء حار . . صرخت ٣٠ ألف خلية في محك . . احترس هذه نار . . الى آخر الاعجاز في الخلق . .

كل هذا الاعجاز لا يمكن أن يتم بالارتقاء أبدا . . فالطرفة رهيبة بين الانسان وغيره من المخلوقات لا يمكن إلا ان ينطبق عليها قول الله سبحانه وتعالى . . ﴿ وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ . .

عل أن بعض الناس يحاول ويقول كيف يكون هناك من هو موجود بلا حيز ولا مكان ولا زمان . . وأنا أقول أنظر الى نفسك تعرف الجواب .

ليس كمثله شيء

الأشياء يجب أن تنسب إلى الفاعل لتستطيع أن تدرك معناها . . فإذا قلت ان طفلا ضربني بكل قوته . . وقلت ان أقوى رجل في العالم ضربني بكل قوته فالفعل واحد . . ولكن الفرق بين الفاعلين كبير . . وإذا كان هذا في قوانين البشر . . فما بالك بقدرة الله . .

يأتي هؤلاء المضلون محاولين استغفال عقول البشر . . وإثارة قضايا لا تنفي أو تتصادم مع ظاهر العقل البشري . . والله سبحانه وتعالى قد جعل لكل فضه نتصادم مع ظاهر العقل البشري حلا يقربها إلى ذلك العقل . . حتى يستطيع الانسان أن يواجه هؤلاء المضلين بالحجة البالغة التي هي من عطاء الله للنفس البشرية . . فإله سبحانه وتعالى كان لطيفا في علمه . . لطيفا بعباده . . فأعطاهم أمثلة تقرب إلى عقولهم ما يعجزون عن فهمه . . مثلا يقول أحد الذين يضلون عن سبيل الله . . ويحاولون إيجاد تصادم وهمي بين كلام الله . . والعقل البشري . . كيف يكون هناك من هو موجود بلا حيز ولا مكان ولا زمان . . وأنا أقول ان الله سبحانه وتعالى بسط هذه المسألة . . وجعلها في أنفسنا لتقرب ما الصورة وتجعلها موجودة أمام العقل البشري بشكل قريب . .

والسؤال الذي أطرحه هنا هو عن الانسان . . عن نفسك . . أنت تساءل عما هو موجود بلا حيز ولا مكان ولا زمان . . وأنا أسألك عن روحك . . أين هي هذه الروح التي تجعل كل جسدك يعمل وينطق ويرى ويعيش . . هل هي في قلبك الذي ينبض بلا توقف ما دامت الروح فيك . . أم هي في عينيك تجعلها يبصران فتريان الأشياء . . أم هي في أذنيك تجعلها تسمعان . . أم هي في صدرك تجعله يتنفس . . أم هي في معدتك تجعلها تقوم بوظيفتها لتغذية جسدك . . أم هي في اليدين تجعلها تتحركان وتفعلان ما تريد . . وتبطشان بمن تريد . . أم هي في قدميك تمشي بهما وتجري كلما شئت . . أم هي في أمتك

تجعلها يوصل الطعام للدم . . أم هي في عقلك تجعله يفكر ويحسب . . ويدبر لك
تؤهّن حناتك . . أم هي في دمك تجعله ينبض ويجري في عروقك ليعطيك الحياة . . أين
مكانها بالضغط . . هل تستطيع أن تحدده . .

فادرد بعض الناس لبعولها انها في عقلك . . فهو الذي تتصرف به ويعطي
الاشارة لحل شيء ، لينحرك . . ولكن هذا مردود عليه بأن في الجسم مئات من الأشياء
غير الإرادية التي تعمل دون اراده الانسان . . فالقلب ينبض بلا ارادة . . والدم يهشي في
العروق بلا ارادة . . والنفس يتم بلا ارادة . . والمعدة تعمل بلا ارادة . . الى آخر ما
تستطيع أن تعدده في الجسم الشري . . اذن فهناك الروح وهي مخلوق لله سبحانه
وتعالى . . وقد وضعها الله في جسدك . . ورغم ذلك . . رغم ضيق المكان . . وتحديد
فانك لا تستطيع أن تقول . . أين هي الروح على وجه الدقة . . ولا تستطيع أن تحدد
مكانها لبعولها في هذه النقطة يوجد روعي . . فاذا أردنا أن نحدد الوزن نقول ان الجسد
لا يفقد شيئاً عند الموت . . الوزن واحد تماماً . . ومع ذلك فان الروح تكون قد خرجت
من الجسم . . ومن هنا فانك لا تستطيع أن تحدد للروح مكاناً ولا وزناً . . وهي مخلوق من
مخلوقات الله سبحانه ومعاني . . فاذا أردت أن تحدد لها الزمان تحديداً علمياً مطلقاً يعتمد
على أحداث المعامل دون هوى من النفس . . فانك لا تستطيع . . فأنت لا تعرف ان كانت
روحك موجودة قبل ولادتك أم لا . . ولا تعرف أين تذهب بعد الموت . . ولا تعرف
عمرها حتى يوم القامة ولا بعد يوم القيامة . . ولو أن الله لم يخبرنا بأمرها قبل ميلاد الانسان
وبعد وفاته الانسان لمخبرنا عن أن نعرف ذلك تماماً . . بل انك لا تعرف كم تلبث الروح في
جسدك رغم كل ما نحاول العلم أن يحدده . . فالانسان قد يموت فجأة من مرض أو صدمة
أو حادث لا يمكن أن تتنبأ به أحد . . ولا تدري نفس متى وقت الموت . . ولا يمكن أن
تدري مهياً يقع المعده من العلم . . ولا يمكن أن تدري بأي أوضاع تموت . . اذن الزمان
هنا غير موجود . . والمكان غير موجود . . والوزن أو الشيء المادي غير موجود . . هذا في
خلق من خلق الله . . هي بالك نالله سبحانه وتعالى . .

عنى أننا بعد ذلك اذا انتقلنا الى نقطة ثانية . . وهي الموت والحياة . . نجد أن الله
سبحانه ومعاني قد أعطى من الموت شيئاً مغرباً من الخلق . . فإن الموت نقض للحياة . .

ونقض الشيء يأتي على عكس بنائه . . فأنت حين تبني عمارة تبدأ بالدور الأول أو الأساس . . وحين تهدمها تبدأ بالدور الأخير . . وأنت حين تذهب الى الاسحار به ملاح وتزل في محطة سيدي جابر . . فانك حين تريد العودة الى القاهرة تبدأ من محطة سيدي جابر . . ادن الموت نقض للحياة أول ما يخرج من الجسد هو الروح . . وبذلك نحن احمر شيء قد دخل فيه . . ثم يتصلب الجسم الى حما مسموم . . ثم يتحلل الى طين لازب . . ثم الى تراب . . وهذه الأطوار هي العكس المقابل لأطوار الخلق . . كما ذكرها القرآن الكريم .
على أن الله سبحانه وتعالى حينما يريد أن يعطينا . . يعطينا قضية عامه . . فاذا رأيت فيها شيئا يقف فيه عقلك . . لأنه يخالف ما تعتاد وتآلف فضعها تحت عنوان سبحانه الله . . وليس كمثلته شيء .

ونفسر هذه العبارة قليلا . . اذا قلت ان فلانا قد ضرب فلانا بكل قوته . . هل تعنى نفس الشيء . . الجواب أبدا . . لا يكون للشيء معنى الا اذا نسب لفاعله . . ووضعت فيه قدرات هذا الفاعل . . بمعنى أنني اذا قلت ان طفلا صغيرا عمره أشهر ضربني بكل قوته . . وقلت ان بطل العالم في الملاكمة ضربني بكل قوته . . فهناك فرق كبير بين المعنيين . . الأول ضربه لا يؤثر في . . ولا أحس به . . والثاني ضربه قد يقتلني . . مع أن الاثنين قد استخدمنا كل قوتها التي وهبها الله لهما في عملية الضرب . . ولكن الفعل هنا يتناسب مع القوة . . فالطفل الصغير لا أكاد أحس بضربه . . وبطل العالم يستطيع أن يحطم ضلوعي بسهولة . . هذا في قدرة البشر المحدودة . . هذا في قوة المخلوقات . . فما بالك بالله سبحانه وتعالى . . الخالق . .

واذا أخذنا هذا المثل . . ووضعنا الله سبحانه وتعالى تحت عبارة سبحانه الله . . وليس كمثلته شيء . . استطعنا أن نقرب كثيرا من المعاني التي قد يستغلها البعض لاضلال البشر . . الله سبحانه وتعالى قوة . . ولي قوة . . ولكن هل قوتي مثل قوة الله سبحانه وتعالى . . لله سبحانه وتعالى علم . . ولي علم . . ولكن هل علمي مثل علم الله سبحانه وتعالى . . والله حي . . وأنت موصوف بالحياة . . فلا تقول ان حنانك مثل حناه الله سبحانه وتعالى . . وجود الله سبحانه وتعالى ليس كوجودك . . وعلمه ليس كعلمك . . وقدرته

ليست كقدرتك . . ومن هنا يخرج وجه المقارنة . . حيث أنه لا مقارنة . . فالله بقدراته وقوته يأتي تحت وصف سبحانه الله . . وليس كمثلته شيء . . ومن هنا فاني لا يجب أن أنسب الى نفسي بالمدلول البشري ما يقول الله سبحانه وتعالى عن ذاته . . فعندما أتصور قوة الله لا أقارنها بقوتي . . ولكني أقول سبحانه الله . . وليس كمثلته شيء . . وعندما أتصور انتقام الله لا أقارنه بانتقامي . . وإنما أضعه تحت عبارة سبحانه الله . . وكيس كمثلته شيء . .

ومن هنا نجد أننا اذا تذكرنا «سبحان الله . . وليس كمثلته شيء» . . يمكن أن نصل إلى مدلول أشياء كثيرة . . فأنت مثلاً لا تستطيع أن تتصور إلا ما تراه . . وعندما يجبرك الله سبحانه وتعالى عن أشياء لا تراها تضعها تحت عنوان سبحانه الله وليس كمثلته شيء . . لأنه شتان بين رؤيتك ورؤية الله سبحانه وتعالى . . مثلاً سبحانه الله الذي أسرى بعبده . . من الذي أسرى . . الله سبحانه وتعالى . . أسرى بنبيه الى المسجد الأقصى . . لا تأتي لي في هذه الحالة بقوانين الزمان . . وقوانين المكان التي تنطبق عليك أنت . . والتي تستطيع أن تراها وتصورها . . ثم تحاول أن تطبقها على فعل من أفعال الله . . لماذا؟ . . لأن الله ليس كمثلته شيء . . ومن هنا فان هذه القوانين التي تحكمك لا تحكمه . . والزمان والمكان اللذان تخضع لهما لا وجود لكليهما عند الله سبحانه وتعالى . . لأنه ليس كمثلته شيء . . الذي أسرى بمحمد ﷺ هنا هو الله سبحانه وتعالى . . ولذلك حين قال بعض الصحابة يستطيع محمد أن يذهب الى بيت المقدس . . ويصعد الى السماء . . ويعود في ليلة واحدة . . نقول ان محمدا عليه الصلاة والسلام لم يدع ذلك . . وإنما أسرى به . . والذي أسرى به هو الله سبحانه وتعالى . . والله ليس كمثلته شيء . . ومن هنا فان قوانين الزمان والمكان . . وقوانين الدنيا كلها . . والقوة والقدرة الى آخر كل ما يتصوره البشر لا ينطبق على الاسراء . . لأن الله هو الفاعل . . والله ليس كمثلته شيء . . وإذا كان كل شيء يأتي بالتشابه . . فان الذي يأتي من الله سبحانه وتعالى ليس كمثلته شيء . . ولذلك عندما نقول سبحانه الله وليس كمثلته شيء . . فاننا نعلو به سبحانه علوا كبيرا عن كل شيء يأتي بالتشابه . . اذن كل ما نطق به الله سبحانه وتعالى خذه على أنه له . . أما عن كيفية فلا احد يستطيع أن يصل اليه . . لماذا؟ . . لأنه ليس كمثلته شيء . .

والغيب والملائكة

« عندما يحدثنا الله سبحانه وتعالى عن معجزة من المعجزات التي يؤيد بها أنبياءه . . . عن عالم الجن أو الملائكة الذي لا نراه . . . يجب أن نعرف أنها حقائق . . . لماذا ؟ . . . لان ما هو فوق قدرة العقل موجود . . . وما هو فوق قدرة السمع موجود . . . وما هو فوق قدرة البصر موجود . . . » .

الذي أسرى هو الله سبحانه وتعالى . . . ومن هنا فان قوانين الزمان والمكان . . . وقوانين الدنيا كلها . . . والقوة والقدرة لا تنطبق على الاسراء . . . لان الله هو الفاعل . . . واذا كان كل شيء يأتي بالتشابه فان الذي يأتي من الله سبحانه وتعالى ليس كمثلته . . . بل هو يعلو علوا كبيرا عن كل شيء يأتي بالتشابه . . .

ومن هنا عندما يحدثنا الله سبحانه وتعالى عن معجزة من المعجزات التي يؤيد بها أنبياءه . . . أو عن عالم الملائكة والجن الذي لا نراه . . . فنحن نعرف أن هذه حقائق لأن الله سبحانه وتعالى قادر وقدرته لا تقارن بالدنيا كلها . . . وعلمه لا يصل الى ذرة من ذراته . . . علم البشر جميعا . . . فهو يخلق ما نرى . . . يخلق ما لا نرى . . . ويخلق ما لا نراه الان . . . وقد نراه في المستقبل . . .

ولكن الله سبحانه وتعالى كما قلت لطيف بعباده . . . ومن هنا فانه يضع في الكون آيات تقرب الى العقل البشري . . . ذلك الذي يعجز عنه هذا العقل وتجعله قريبا من تضروره . . . وهو بذلك يريد أن يدخل الاطمئنان الى قلوبنا . . . وأن يعطينا الايمان واليقين بحيث يستطيع أن يجابه المضلين . . . وأن ترد عليهم . . . والانسان المؤمن دائما في قلبه سكينه . . . وفي قلبه أمل . . . ذلك أنه يؤمن بقدرة الله التي هي بلا حدود . . . ويؤمن بأن الله الذي كتب على نفسه نصر المؤمنين . . . وكتب على نفسه انجاء المؤمنين . . . وكتب على نفسه أن يدافع عن الذين آمنوا . . . تلك القدرة الهائلة . . . قادرة على حمايته . . . وعلى دفع

الضرر عنه . . ولو كانت أسباب الدنيا كلها ضده . .

ولكن كما يجادل بعض الناس في الروح يأتي واحد منهم ويقول ما هذا الكلام عن عالم الجن والملائكة . . أنا لا أصدق إلا ما أراه . . ويجادل ويجادل إلى آخر هذا الكلام . . فإذا قلت له هل شهدت الخلق . . هل شهدت خلق الجن والملائكة . . يرد عليك وأنت أيضا لم تشهده . . وهنا نرد عليه بأن الله سبحانه وتعالى قد وضع لنا في هذا الكون الدليل على أن ما فوق قدرة العقل . . وما فوق قدرة البصر . . وما فوق قدرة السمع . . موجود في هذا العالم . . منذ خلق الأرض ومن عليها . . وكل هذا يخرج من علم القادر وهو الله سبحانه وتعالى إلى علم غير القادر وهو الإنسان . . ليدل على أن ما هو فوق القدرة البشرية . . موجود ولكننا لا نعقله . . ولا نسمعه . . ولا نراه . . ولنناقش هذه المسائل الثلاث . .

ما هو فوق قدرة العقل موجود منذ الأزل . . وإن كان قد أصبح في قدرة العقل خلال السنوات الأخيرة مثلا . . أن يطير الإنسان في الهواء بطائرة كانت فوق قدرة العقل في الماضي . . بحيث أنك إذا قلت منذ مائة سنة مثلا . . أنك ركبت طائرة وطرت بها في الهواء لا تهتمك الناس بالجنون أو بالكفر . . ولقتلوك . . ولو قلت أنك تحدثت في آخر الدنيا فسمعك ملايين البشر في وقت واحد . . لو قلت هذا منذ مائة سنة فقط لما صدقك أحد . . ذلك أن هذا كان فوق قدرة العقل البشري . . ولكنك الآن تذهب إلى أي مطار فتركب الطائرة وتطير في الهواء . . وتحدث في الإذاعة فتسمعك الدنيا من أقصاها إلى أقصاها . . كيف حدث ذلك . . هل اخترع الإنسان غلافا جويا جديدا للأرض يمكنه من الطيران . . هل دار حول الدنيا ليضع موجات الأثير . . لا . . لا هذا . . ولا ذاك طبعاً . . إنما الغلاف الجوي كما هو منذ خلق الأرض ومن عليها . . وموجات الأثير كما خلقها الله سبحانه وتعالى منذ بداية الكون . . ولكن الذي حدث أن الله أدخل الانتفاع بهذه الأشياء مما هو فوق قدرة العقل البشري إلى علم البشر . . أي أن هذه الأشياء خرجت من علم القادر إلى علم غير القادر بكلمة كن . . فاستطاع الإنسان أن يطير في الفضاء . . وأن يتحدث فتسمعه الدنيا كلها إلى آخر ما حققه وسيحققه العلم بقدرة الله . . وهذا دليل قاطع على أن ما فوق قدرة العقل البشري موجود . . وأن العقل البشري ليس هو الحد

الأعلى للعلم والمعرفة في هذه الأرض . . وأنه كلما تقدم الزمن أعطى الله سبحانه وتعالى علما كان فوق قدرة البشر أعطاه للقدرات البشرية حتى يستطيع الانسان أن يصل اليه . . وحتى يؤمن الانسان ان ما فوق قدرة العقل موجود . . وحقيقة واقعة . . وان يكن يجهلها . .

ويستطرد فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي ويقول هذا بالنسبة للعقل . . أما بالنسبة لما هو فوق قدرة الأذن فذلك شيء نعرفه كل يوم . . إذا جلست أنت في حجرة مغلقة ليس فيها أي صوت وسألتك أنا هل يوجد صوت في هذه الحجرة . . تقول لي أنا لا أسمع شيئا . . وكوني لا أسمع شيئا . . فانه لا يوجد صوت في هذه الحجرة . . فإذا « أدت الراديو » سمعت مئات الأصوات من جميع أنحاء الدنيا . . من أين جاءت هذه الأصوات . . هذه الأصوات تسبح في جو الحجرة . . ولكنك لا تستطيع أن تسمعها بالأذن المجردة لأنها فوق قدرة الأذن . . فإذا أتيت بآلة استطاعت أن تجعل هذه الأصوات في قدرة الأذن . . كان في امكانك أن تسمعها وتميزها . . اذن فهذه الأصوات موجودة . . ولكنك لا تستطيع أن تسمعها الا اذا أتيت بآلة تجعل أذنك قادرة على أن تستمع اليها . . وربما في المستقبل تكون هناك اختراعات أخرى بما هو في علم الله . . . ولم يصل الى العلم البشري بعد . . . تستطيع أن تجعلك تسمع أصواتا لا نسمعها الآن . . ولا ندرى عنها شيئا . . بل انني أريد أن أزيد على هذه التجربة لمحة صغيرة . . اذا أتيت بالراديو الترانزستور ووضعت سماعة الأذن الصغيرة في أذنك . . وجلسنا نحن الاثنان معا بجوار بعضنا البعض . . وسألتني هل أسمع شيئا سأقول لا . . هل يوجد صوت هنا سأقول لا . . بينما أنت جالس الى جوارى والسماعة في أذنك تسمع الدنيا كلها كما تشاء وأنا بجانبك لا أسمع شيئا . . ما معنى هذا . . معناه أن الجهاز الذي تستخدمه قد جعل الأصوات التي تسبح في الحجرة . . التقطها وجعلها في مقدرة أذنك . . بينما أنا جالس الى جوارك . . وفي نفس المكان . . ولكن هذه الأصوات فوق قدرة سمعي . . هل معنى ذلك أن الأصوات التي تسمعها أنت بسماعة الراديو غير موجودة . . لأنني لا أسمعها . . مستحيل . . ولكن معناه أن هذه الأصوات التي تسمعها أنت وحدك . . والتي هي فوق قدرة أذني موجودة . . ولكنني غير قادر على سماعها . . لأنني لا أستخدم الراديو الذي

تستخدمه أنت ليجعلك قادرا على السمع . . نكون بذلك قد وصلنا الى أن ما هو فوق قدرة العقل موجود . . وما هو فوق قدرة السمع موجود . . ثم تأتي الى ما هو فوق قدرة البصر . .

أنت تقول أنا لا أرى العوالم الأخرى التي يتحدث عنها الله . . ومن هنا فهي غير موجودة . . وأنا أتى لك بنقطة ماء من التربة . . وأقول لك هل ترى في هذا الماء شيئا . . ستقول لا . . وعندما أضغ الماء تحت الميكروسكوب . . تظهر فيه مئات الجراثيم الدقيقة الحية التي تتحرك بشكل عجيب . . أقول لك أنظر في الميكروسكوب . . سترى هذه الجراثيم . . بل ان الانسان المريض حينها تأخذ نقطة من دمه فانك لا ترى فيها شيئا . . فاذا وضعتها تحت الميكروسكوب . . أو وضعت عليها سائلا معيننا تكتشف جراثيم وأشياء عجيبة . . أين كانت هذه الأشياء . . كانت فوق قدرة بصرك . . فعندما استعنت بآلة مكبرة . . جعلتها في قدرة البصر ليصبح من الممكن رؤيتها . . ولكن هل عدم رؤيتك لهذه الجراثيم معناه أنها غير موجودة . . أو أن هذه الجراثيم لم تكن موجودة قبل اختراع الميكروسكوب . . كانت موجودة قطعا . . ولكنها كانت فوق قدرة البصر . . وجاء اختراع الميكروسكوب ليدخلها من فوق قدرة البصر الى القدرة البشرية . . ولكنها كانت موجودة رغم أنك لا تراها . .

وإذا جلست في حجرة بها تليفزيون . . هذه الحجرة ليس فيها صورة . . فإذا فتحت التليفزيون أصبحت الحجرة فيها صورة . . بل ورأيت وأنت جالس أمامك انسانا يمشي فوق القمر . . هل في قدرة البصر أن يرى انسانا يمشي فوق القمر . . الجواب نعم . . اذا استخدمت امكانيات الله في الكون . . ولقد استخدم العلم امكانيات الله في الكون في نقل الصورة من مكان الى آخر . . فالعلم لم يخترع طبقات الجو التي تنقل الصورة . . ولا يستطيع أن يخترعها . . بل اكتشفها بكلمة كن . . والله هو القادر الذي كان في علمه كل هذا . . وأخرجه الى علم غير القادر . . وهو الانسان . . لماذا ليعلم الانسان علم اليقين . . ان ما هو فوق قدرة عقله موجود . . وان ما هو فوق قدرة سمعه موجود . . وان ما هو فوق قدرة بصره موجود . . حتى اذا حدثه الله سبحانه وتعالى عن قضية غيبية هي فوق قدرة العقل . . أو السمع . . أو البصر . . عرف يقينا أنها موجودة . . وأن ما يقوله

الله سبحانه وتعالى حق . .

اذن ما هو فوق قدرة الانسان موجد فعلا . . وموجد بفرق شاسع . . جدا . . هو الفرق بين قدرة المخلوق والخالق . . والله سبحانه وتعالى اراد ألا تكون هذه القضية الايمانية . . وهي قضية الغيب . . ألا تكون مادة للمضلين ليضلوا بها الناس . . ويبعدوهم عن طريق الله . . فجعل العقل البشري نفسه ينتقل بقدرة الله مما هو مستحيل عقليا ومما هو ممكن . . ليثبت أن ما فوق قدرة العقل موحود . . وجعل العقل يستطيع بقدرة الله أن ينتقل مما هو فوق قدراتها العادية . . وجعل الغير يستطيع أن يرى ما لم يكن يحلم بأنها ستراه . . وكان الله سبحانه وتعالى يستطيع أن يعطي كل هذا العلم للعقل البشري في اللحظة الاولى التي خلفه فيها . . ولكنه لم يرد ذلك حتى يكون العطاء للانسان عطاء فيه اثبات لقدرة الله . . وفيه اثبات لوجود العيب . . وفيه اثبات لما هو فوق العدرات البشرية . . وأن يكون العطاء متجددا لكل جيل . . وعطاء الله لا ينتهي ولا ينضب أبدا .

ولكن هناك بعض القضايا التي يثيرها المضلون . . مثل قضية تغيير القبلة مثلا . يقولون ان الله سبحانه وتعالى يقول ﴿ والله المشرق والمغرب ﴾ . . ويقول ﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ . . ومن هنا فأنني حين أتجه الى أي مكان فهناك الله سبحانه وتعالى . . ثم ان الاتجاه الى المسجد الأقصى أو الاتجاه الى المسجد الحرام ليس فيها زيادة تكليف . . أو زيادة في الطاعة . . الله سبحانه وتعالى قد يفرض شيئا لزيادة طاعته . . أو زيادة في الايمان به . . ولكن الاتجاه الى المشرق مثل الاتجاه الى المغرب لا يكلف المؤمن شيئا أن يتجه الى هنا أو هناك . . فلماذا نغير القبلة . .

ولا خطر على قلب بشر

إن الله يدافع عن الذين آمنوا . . ويدافع عنهم بقدراته هو . . وليس بقدراتهم هم . . ومن هنا فإن الانسان المؤمن قلبه مطمئن مهما حدث . . نفسه لا تضيق مهما أظلمت الدنيا أمامه . . لأن الله يؤيده بنصره يؤيده بقدره الله . . وليس بقدرات البشر . .

ولقد اكتشفنا في الغلاف الجوي خصائص مكنت الانسان من الطيران في الفضاء . . ومن الوصول الى القمر . . ولا يستطيع عقل أن يدعي أن ذلك من صنع البشر . . لأن الذي خلق الغلاف الجوي هو الله سبحانه وتعالى . . والذي خلق المادة التي تصنع منها الطائرات أو الصواريخ هو الله سبحانه وتعالى . . والذي أوجد النظرية التي يطير بها الانسان أو يخرج بها من الغلاف الجوي للأرض هو الله سبحانه وتعالى . . ولا يستطيع الانسان أن يصنع شيئا من ذلك . . بل هو اكتشفه . . ومعنى اكتشاف الانسان له . . أن هذه الخصائص كانت موجودة منذ خلق الله الأرض ومن عليها . . المعادن التي تصنع منها الطائرات . . كانت موجودة في الأرض منذ الخلق . . ولكنها كانت فوق قدرة العقل البشري . . فلم يستطيع أن يستخدمها . . ثم أدخلها الله في قدرة العقل البشري ليؤكد لنا . . ويقرب لنا . . أن ما هو فوق قدرة العقل موجود . . وان كنا لا ندري بوجوده . . وأنه من الممكن أن يدخل في نطاق العقل . . فيصبح أمرا ممكنا للبشر . . وهذا حتى لا نجادل عندما يحدثنا الله عن أنباء في الغيب هي فوق قدرة عقولنا . . ولا يأتي انسان مضل ويقول : أنا لا أصدق ما هو فوق قدرة عقلي . . لأنه غير موجود . . ويدعي أنه رجل علمي في تفكيره . . متقدم في أفكاره . . نقول له أن العلم الذي تستشهد به . . والتقدم الذي تتمسح فيه . . كلامه، يكذبك . . لأن العلم هو مثبت مؤكد . . ان ما هو فوق قدرة العقل موجود بما يكتشفه من قدرات في الكون وضعها الله منذ الأزل . . ولم تدخل في نطاق

العقل البشري الا منذ عشرات السنين . . وإن التقدم يكذبك . . لأن التقدم كل يوم يسجل لنا كشفا كان فوق قدرة العقل . . ولكنه موجود . .

ويعضي فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي . . في أن الاذن تستطيع أن تسمع ما يدور في أقصى الدنيا . . بل ما يدور فوق القمر من حديث . . اذا استخدمت لها الالات . . أو الوسائل التي ترفع قدراتها الى ذلك . . فجهاز الراديو الصغير يستطيع أن يجعلك تسمع كل ما يدور في العالم . . والعين تستطيع أن ترى بصرا ممدودا الى ما لا نهاية . . وقد استطاعت باستخدام نظريات وقوانين الله في الكون أن ترى ما يحدث فوق سطح القمر . . وأنت جالس في حجرة في منزلك . .

فاذا كانت الاذن تستطيع أن تسمع ما يدور في الدنيا كلها . . وقد تلاشت المسافة بالنسبة له تماما . . واذا كانت العين تستطيع أن ترى ما يحدث فوق القمر وأنت جالس في منزلك . . أو مكان عملك . . اذا كان هذا كله ممكنا بقدرات البشر . . وبالعلم الذي أعطاه الله لبني آدم وكرمه به . . ورفع على كل مخلوقاته . . اذا كان هذا العلم اليسير القليل الذي أعطاه الله لبني آدم . . استطاع أن يجعله يسمع ما في الدنيا كلها . . ويرى ما يحدث فوق القمر . . فكيف يكون الحال في الآخرة عندما تكون القدرة لله . . وليست للبشر . . وعندما يكون العلم لله وليس للبشر . . وعندما يعطينا الله سبحانه وتعالى الذي ليس كمثله شيء القدرات . . بدلا من أن تعطينا لنا يد بشرية محدودة القدرة والقوة . . ماذا ستري العين . . وماذا ستسمع الاذن . .

ويستطرد فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي قائلا ان هذه نقطة لا بد أن نتأمل فيها . . قدرات البشر أرتنا ما فوق سطح القمر . . ونحن جالسون في بيوتنا . . والذي رأى هو العين . . لأن كل هذه الالات والاختراعات البشرية لا تستطيع أن تجعل رجلا أعمى يرى . . فالذي رأى هو العين التي خلقها الله . . وليست الآلة التي اخترعها الانسان . . الآلة أو جهاز التلفزيون كان وسيلة فقط . . ولكن العين التي خلقها الله غير التي رأت وشاهدت . . ولو أن الله ذهب بنور هذه العين ما استطاعت أن ترى شيئا رغم كل اضافات البشر التي منحها الله لهم بالعلم . .

أقول اذا كانت العين استطاعت أن ترى بقدرات البشر المحدودة ما يحدث على القمر . . . وربما ترى غدا ما يحدث على كوكب الزهرة . . اذا كان ذلك قد تم في الدنيا . . .

واذا كان الفعل في الآخرة هو من الله سبحانه وتعالى الذي ليس كمثلته شيء . . أفلا تستطيع أن تتصور معنى أن اللجنة فيها ما لا عين رأت . . عيوننا رأت في الدنيا أشياء كثيرة . . واستطاعت أن ترى بقدرة البشر أشياء تحدث على بعد مئات الألوف من الأميال . . وربما ترى أشياء تحدث على بعد ملايين الأميال . . هذا بقدرة البشر . . فإذا جاءت الآخرة كان ذلك بقدرة الله سبحانه وتعالى . . فترى العين ما لا عين رأت . . والفرق بين الرؤية هنا . . والرؤية في الآخرة . . انها في الدنيا بقدرة البشر وفي الآخرة بقدرة الله . . وشتان بين القدرتين . . لا مقارنة . . وبالتالي فلا مقارنة بين ما يراه الانسان في الدنيا . . وما سيراه في الآخرة . . الفرق رهيب هائل . . هو الفرق بين قدرة الله سبحانه وتعالى الذي ليس كمثلته شيء . . وبين قدرة البشر . . وأكرر . . لا مقارنة .

وما ينطبق على العين . . ينطبق على الأذن . . حينما يأتي الحديث الشريف ان الانسان سيسمع في الجنة ما لا اذن سمعت . . أقول ان ذلك صحيح مائة في المائة . . وانه سيكون هناك فرق رهيب وهائل بين ما تسمعه الأذن في الدنيا . . وما تستطيع أن تسمعه في الآخرة . . الأذن في الدنيا بقدرة الله سبحانه وتعالى قد استطاعت أن تسمع انسانا يتكلم في آخر العالم . . بل انسانا يتكلم فوق القمر باستخدام آلة صغيرة هي الراديو . . وباكتشاف قوانين الله في الكون وهي الأثير الذي يحمل الصوت للدنيا كلها . . وكما قلت عن العين أقول عن الأذن . . الأذن أيضا هي التي تسمع كل الآلات المخترعة وسيلة . . ولكنها وسيلة لا تسمع الصمم . . انما الذي يسمع هو الأذن التي خلقها الله سبحانه وتعالى . . فعندما نقول ان الآخرة سيكون فيها ما لا اذن سمعت . . تسجد لجلال هذه العبارة . . ذلك أن الفارق سيكون رهيبا وهائلا . . وهو الفرق بين قدرة الله خالق كل شيء . . وبين قدرة البشر المخلوق . . وما دام هناك لا مقارنة بين قدرة الخالق والمخلوق . . فلا مقارنة بين ما تسمعه الأذن في الدنيا . . وما ستسمعه في الآخرة . .

فاذا حدثنا الله سبحانه وتعالى عن الغيب . . واذا حدثنا عن عوالم الملائكة والجن . . وادا رجعنا الى الحديث الشريف أنه في الجنة سيكون هناك ما لا عين رأت . .

ولا أذن سمعت . . ولا خطر على قلب بشر . . تعلم أن هذا يقين لماذا لأننا حين نأخذ ما في أيدينا . . ثم نقارن نجد أن الفرق سيكون هائلا . . وإذا كان العلم قد تقدم ليكتشف قوانين الله في الأرض واستطاع أن يقدم للعين قوة الرؤية على بعد ملايين الأميال . . وأن يقدم للأذن قدرة السمع على بعد ملايين الأميال . . والعلم سيتقدم في الأجيال القادمة ليقدّم لنا أكثر من ذلك . . وأكثر . . وبعد مائة أو مائتي عام . . وبما استطاعت العين أن ترى ما لا تراه الآن . . كما استطعنا نحن مثلا أن نرى الميكروبات التي لم يكن يراها أجدادنا . . وأن نرى الانسان فوق القمر الذي لم يره الجيل الذي قبلنا . . وستكون الأذن قد تقدمت لتسمع ما لا تسمعه الآن . . تماما كما تقدمنا نحن لنسمع ملايين الأصوات التي لم تكن نسمعها من قبل . . ولكن المهم هو أن الفرق سيبقى كما هو . . وهو الفرق بين قدرة البشر . . وقدرة الله سبحانه وتعالى . . وهذا الفرق هائل ولا وجه فيه للمقارنة . . ومن هنا فإن عظمة ما قيل من أن الانسان سيرى في الآخرة ما لم تره عين . . وما لم يسمعه أذن . . وما لم يخطر على قلب بشر . . يزداد عمقا واعجازا كلما تقدم العلم . . لأن الفرق باق بين قدرة الله وقدرة البشر . . وذلك تصديقا للآية الكريمة ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ . . وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ . . ولذلك فكلما تقدم العلم . . ازدادنا خشوعا وخضوعا لله سبحانه وتعالى الذي يرينا آياته في الآفاق . . وفي أنفسنا .

ثم يقول لنا ما أعطيته لكم من العلم هو ذرة . . ولكن في الآخرة سأمتعكم على قدر قدراتي أنا . . سأجعلكم تسمعون لا بقدرة أعطيتها لبشر . . ولكن بقدرتي وسأجعلكم ترون بقدرتي . . وسأمتعكم بقدراتي ولنا أن نتصور الفرق الهائل الذي سيتم على أساسه متاع الآخرة بالنسبة لمتاع الدنيا . . وكلما ازدادت الرفاهية . . وازداد ما تقدمه المدنية من حياة مريحة ليس فيها تعب ولا نصب . . فإن ذلك يزيد من قدراتنا على التصور فيما سيتمتنا الله به في الآخرة . . ان كنا من أهل الجنة . . جعلنا الله وإياكم من أهلها . .

ويستطرد فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي فيقول . . ومن هنا فإن الانسان المؤمن حين يقدم صدقة . . فهو ليس بانسان يضيع ماله . . وهو ليس بانسان غبي . . لأن هذا المال الذي أخرجه في سبيل الله . . كان يستطيع أن يتمتع به وهو في الدنيا متاعا محدودا . . وبنفس قيمة المال . . ولكنه لذكائه اختار أن يتمتع به متاعا بلا حدود على قدر

قدرات الله سبحانه وتعالى الذي ليس كمثلته شيء . . واختار أن يتمتع بعشرة أمثال قيمته . . أو بأكثر . . لأن الحسنه بعشر أمثالها . . ومن هنا فانه عندما يخرج هذا المال يكون قد حقق به فائدة لا يمكن أن يحققها له هذا المال في الدنيا . . بل يكون قد عقد صفقة رابحة لا يمكن أن يعقدها في الدنيا ولو كان مكسبه من هذا المال أضعافاً مضاعفة . . ذلك أن كل شيء يتم في الدنيا على حسب قدرات البشر . . وكل شيء في الآخرة بقدره الله . . والله ليس كمثلته شيء

ويستطرد فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي أن هذه الصورة ربما تقرب لنا بعض ما ينتظر الانسان المؤمن والمسلم . . ذلك فضلاً عن أن الله سبحانه وتعالى يدافع عن الذين آمنوا وهو يدافع عنهم بقدراته . . وليس بقدرات البشر . . ومن هنا فان دفاع الله عن الانسان المؤمن . . لا يمكن أن تقف أمامه قوة في الدنيا . . ولا يخشى أي قوة مهما بلغت . لأن الذي يدافع هو الله سبحانه وتعالى . . ومن هنا أيضاً فإن الإنسان المؤمن قلبه مطمئن مهما حدث له . . ومهما ضاعت الأسباب من يده . . لماذا . . لأنه يحس أن الله معه . . والله معه بقدراته فوق الأسباب والمسببات . . وليس كمثلته شيء . . ولا يمكن لإنسان مؤمن مسلم أن تضيع نفسه حسرات أمام عقبات الدنيا مهما حدثت . . وأمام أمور الدنيا مهما أظلمت . . وذلك ان الذي يؤيده بنصره . . والذي هو وليه . . والذي يفتح له الأبواب المغلقة . . ويضيء له الطريق المظلم هو الله سبحانه وتعالى . . وفي كل أمر من الأمور هو يرد الأمر الى الله الذي ليس كمثلته شيء . . فالله سبحانه وتعالى يفتح له من الأبواب ما لم يخطر على قلبه أو عقله . . ويسبب له من الأسباب ما لم يكن يعتقد أنه سيتم . .

على أن هذا كان استطراداً لا بد منه قبل أن نبدأ في الحديث عن لماذا تغيرت القبلة . . مع أن الله سبحانه وتعالى قال ﴿ والله المشرق والمغرب ﴾ . . ﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ .

لماذا تغيرت القبلة

ووصفهم الله سبحانه وتعالى بالسفهاء قبل أن يتكلموا . . . وأنبأنا عنهم قبل أن يجادلوا . . . وكان من الممكن أن يمتنعوا عن الكلام . . . ويتوقفوا عن الجدل ولكن الله أتى على يد خصوم الدين . . . بما يثبت صحة هذا الدين . . .

بعض الناس يقول أن ما تم بقدرة العلم هو شيء يأخذ بالعقول ويحقق أحلام الانسان . . . ولقد شرحت كيف أن مقومات الحياة الأساسية كالماء والهواء . . . والزرع . . . كلها من صنع الله سبحانه وتعالى . . . ومن نعمه على عبده . . . ولكننا اذا نظرنا الى مقومات الحياة المرتقية . . . أو العلمية المتقدمة . . . نجد أنها كلها بما خلق الله للانسان في الأرض . . . وسخرها له . . . فأنت تأتي الى ميكروسكوب معقد . . . مثلا يريك مواقع النجوم على بعد ملايين الأميال . . . وتسال صانعه من أين صنعت هذا . . . فيقول لك أنني أستورد العدسات من المانيا مثلا . . . والخشب الذي صنعت منه القاعدة من السويد . . . والصلب مثلا من أمريكا فتذهب الى المانيا للرجل الذي صنع العدسة فيقول لك أنا آتي بالرمل النقي الذي يصنع هذه العدسة من المكان الفلاني . . . أو من بلدة كذا . . . وتسال الذي يأتي بالخشب . . . فيقول أنا آتي به من غابات السويد . . . فتسال من يزرع غابات السويد فيقول لك أنها تنبت . . . فاذا ذهبت الى أمريكا لتسال عن الصلب قالوا لك انه يأتي من باطن الأرض من بلدة كذا . . . والمرأة الضخمة التي تستخدم في الميكروسكوب من مادة كذا . . . الى آخره . . .

اذن كل هذه الألة العلمية المعقدة التي يدعيها الانسان لنفسه عادت الى الله سبحانه وتعالى . . . فالرمال المستخدمة خلقها الله . . . والخشب المستخدم أنبت غاباته الله . . . والحديد المستخدم أوجد مناجه الله . . . وهكذا في كل شيء في العالم . . . في العقول الالكترونية في مراكز الفضاء التي تذهب الى القمر . . . كلها اذا أعدتها الى مادتها

الأولية . . فأنت تعيدها الى خلق الله في الارض . . يوم خلق الله الأرض . . اذن كل هذه المواد التي تستخدم في أحدث تطورات العلم هي من خلق الله سبحانه وتعالى في كونه يوم خلق الكون . . وكل الطواهر الكونية من نقل الصوت والصورة . . والأشعة تحت الحمراء هي أيضا مخلوقة منذ خلق الله الكون . . بل ان الله سبحانه وتعالى أعطاها لبعض مخلوقاته من الحيوانات قبل أن يعطيها للانسان كالثعابين مثلا التي يستخدم بعضها أنواعا من الأشعة ليحسس طريقه ويهاجم عدوه . . لم يعرفها الإنسان في العصور الحديثة .

فالعلم مكتشف لايات الله في الأرض . . مستخدما نفس المواد الأولية التي خلقها الله سبحانه وتعالى منذ خلق الكون ما الذي زاد . . هو قدرة الانسان على اكتشاف خواص هذه المواد . . هذه القدرة التي أعطاها الله سبحانه وتعالى له مصداقا للآية الكريمة . . ﴿سئريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ . .

عل أني أريد أن أنبه الى كلمة هامة وردت في الآية الكريمة . . وهي « في الآفاق » . لم يقل الله سبحانه وتعالى في الأرض . . وهذه الكلمة لها معان بدأت تتكشف الآن بشكل أولي . وستكشف في المستقبل حيث سيكشف الله للانسان آيات في الآفاق لا نعرفها نحن . . وهذا من عطاء القرآن المتجدد . . والمهم هنا أنني أريد أن ألفت النظر الى استخدام لفظ الآفاق . . وعدم استخدام لفظ الأرض . . حيث أن الله سبحانه وتعالى غاية في الدقة في اختيار الألفاظ التي تطابق المعنى تماما .

ويستطرد فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي ويقول : ونأتي الآن الى مسألة تغيير القبلة . . وهي مسألة مثار جدل بين بعض الناس . . واستخدام من المضلين يحاولون بها أن يقولوا أو يدعوا أن هناك نوعا من التناقض ! . . فالله سبحانه وتعالى يقول ان الله المشرق والمغرب . . ويقول فأينما تولوا فثم وجه الله . . ذلك يأتي فيأمرنا بأن نتجه الى بيت الله الحرام في صلاتنا . . واذا كان الله سبحانه وتعالى موجودا في كل مكان وزمان . . واذا كان التوجه الى المشرق والتوجه الى المغرب لا يكلف المؤمن شيئا . . فهو يتجه الى الشرق . . أو الى الغرب . . أو الى الشمال . . أو الى الجنوب . . هذا لا يضيف عليه أعباء جديدة أو يحمله جهدا اضافيا . . بل هو نفس الجهد . . فلماذا تغيرت القبلة ؟ . .

وأنا أقول ان في هذه الآية اعجازا . . ولندكر الآية الكريمة ﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ . . وأنا أريد هنا أن أنبه الى شيء هام هو استخدام لفظ السين في القرآن . . ولفظ السين لا يستخدم الا لشيء مستقبلي . . أي سيحدث في المستقبل . . لا يمكن أن أقول سيفعل فلان كذا . . ويكون هذا الشخص قد قام بالفعل الذي أعنيه . . بل لا بد أنه لم يقم به . . وإنما ينوي القيام به أو حدد الوقت للقيام به . . المهم أنه لم يتم . . ولكنه قادم . .

يأتي الله سبحانه وتعالى ويقول في كتابه العزيز لنبيه الكريم ﴿سيقول السفهاء﴾ . . ومعنى سيقولون أنهم لم يقولوا بعد . . ولكنهم بعد تغيير القبلة سيقولون . . وهؤلاء الذين سيقولون ليسوا بالمؤمنين . . فالمؤمن يتبع تعاليم الله وقوانينه . . ولكن الذين سيقولون هم أعداء الدين الذين يحاولون التشكيك فيه وصرف الناس عنه . . وإذاعة الأباطيل حوله . . يأتي هنا الله سبحانه وتعالى ويعلن ﴿سيقول السفهاء﴾ يعني أن الله سبحانه وتعالى يصف هؤلاء الناس قبل أن يقولوا بأنهم سفهاء . . ولو أن الذين أثاروا تغيير القبلة من أعداء الاسلام . . كان عندهم ذرة من التفكير . . ونزلت هذه الآية الكريمة لا تبعد تماما عن السؤال . . ولما سألوا لماذا تغيرت القبلة . . وكانوا حينئذ يملكون سلاحا أقوى لهدم هذا الدين . . حيث أنهم كانوا سيقولون ان محمدا عليه السلام قد قال في كلام يقول انه كان موحى به من الله . . ومنزلا اليه من السماء . . إن السفهاء أعداء هذا الدين سيسألون لماذا تغيرت القبلة . . ونحن نقول ان تغيير القبلة شيء ايماني لا يهمننا وانه اذا اتجه المسلمون الى المشرق . . أو الى المغرب . . فليس هذا دلالة على صحة دينهم أو بطلانه . . ولذلك فانا لم نسأل عن هذا الأمر بالذات . . لأنه لا يمس جوهر الدين . . ولكن محمدا قال اننا سنسأل . . ووصفنا بالسفهاء . . وهكذا لم يسأل أحد عن تغيير القبلة . . ولم يحاول أحد أن ينال من الدين الاسلامي في أمر تغيير القبلة حتى نعرف جميعا أن ما يقوله محمد ليس موحى اليه من السماء . . ولكنه كلام منه . .

ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يضع اعجازا في هذه النقطة . . والاعجاز هنا أن الله تحدى الكفار في أمر اختياري يمكن أن يفعلوه . . ويمكن الا يفعلوه . . وزاد على ذلك

بوصفهم بلفظ منفر وهو السفهاء . . فلو أنهم ابتعدوا عن هذه النقطة ولم يسألوا ما ولى المسلمين عن قبلتهم التي كانوا عليها لكانوا بذلك قد هاجموا الدين في نقطة إيمانية كبرى . . وهي أن الله هو القائل . . ولذلك يجب أن يكون ما يقوله صدقا . . والقرآن كلام متعبد بتلاوته . . لا تبديل فيه . . ولا تغيير الى يوم القيامة . . أي أن محمدا لا يمكن ولا يستطيع لا هو ولا أحد في الدنيا كلها أن يغيره . . أو يبدل حرفا منه . . ومن هنا فلو أن السفهاء لم يسألوا عن سبب تغيير القبلة . . وتجنبوا هذا تماما . . لكانوا بذلك قد طعنوا القرآن . . وطعنوا الدين كله . . ولكن الله قائل القرآن . . يأتي على يد خصوم القرآن . . وخصوم محمد بما يثبت الرسالة . . ويؤكد صدقها . . فيقول سبحانه وتعالى ﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ . . ويقول ذلك قبل أن ينطقوا بحرف واحد . . ويأتي فعلا هؤلاء السفهاء ويسألون ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها . . فيشهدون بذلك على صدق القرآن . . ليس في أمر يأتي به قائل القرآن . . ولا في أمر يأتي به من أنزل عليه القرآن وهو محمد عليه السلام ! . . ولكن في أمر يأتي على يد خصوم القرآن الذين يريدون أن يهدموه . . وأن يشككوا الناس فيه .

ويستطرد فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي . . تأتي بعد ذلك الى مسألة تغيير القبلة . . وهي قضية تتعلق بتسليم الانسان لله سبحانه وتعالى في أمور العبادة .

إذا أردنا أن نعبد الله سبحانه وتعالى . . فإننا يجب أن نعبده كما يريد هو أن يعبد . . لا كما نريد نحن أن نعبده . . بمعنى أن الله سبحانه وتعالى اذا قال لنا ان الصلوات خمس . . فإننا لا يجب أن تأتي ونقول لا سنجعلها ثلاثا . . أو اربعا . . أو اثنين . . لماذا لاننا لسنا ندا لله سبحانه وتعالى ولأننا نريد أن نعبد الله بالطريقة التي حددها . . لأنه أعلم منا بطريق العبادة .

عل أن ذلك يقتضي وقفة قصيرة لنهسط المسألة للأذهان . . هب أنك مرضت . . فماذا تفعل . . إنك تذهب الى طبيب تثق فيه . . تسأل عن الأطباء . . ثم تختار الطبيب الذي أجمع الناس على أنه طبيب معروف مشهور . . وتذهب اليه فيقول لك أنت مصاب بداء كذا . . وعلاجك هو هذا حتى تشفى . . يجب أن تأخذ هذه الأقراص . . وهذه الحبوب . . وتتبع هذا النظام في الطعام الى آخره . .

انت في هذه الحالة واحد من ثلاثة . . اما انك تؤمن بهذا الطبيب وبعلمه . . فتتبع ما يقوله وتسير على نظام العلاج الذي يضعه لك . . واذا جاءك أحد وسألك مثلا لماذا تأخذ هذا الدواء أو تتناول هذا الطعام تقول هذه أوامر الطبيب . فلا يناقشك ولا يجادلك . . هذه واحدة . .

الثانية انك تنكر علم هذا الطبيب تماما . . فتأخذ ما كتبه لك وتمزقه وتفعل ما تريد . . أو تفعل عكس ما يقول . . أو تفعل ما تهوى نفسك . .

اما الطريقة الثالثة فهي أنك تكون أنت نفسك قد درست الطب . . أو أنت أو أحد أقاربك في علم هذا الطبيب من الناحية الطبية أو أعلم منه . . ومن هنا فإنك أو ذلك الذي معك ويفهم في الطب تناقش الطبيب ولكن يجب أن يكون العلم هنا متساويا وكما يقال في الطب يقال في جميع فروع العلوم الأخرى . .

ولكننا ونحن البشر نطبق هذا على الانسان . . ولا نريد أن نطبقه على عبادة الله سبحانه وتعالى . . تعاليم هذا الدين وتكاليفه في افعل ولا تفعل هي من الله سبحانه وتعالى . . وأنا أحد ثلاثة . . انسان مؤمن بالله وقدراته . . وعلمه . . اتبع ما يقول لأنني أعرف أنه أعلم مني ولهذا نجد الخطاب في القرآن دائما يا أيها الذين آمنوا . . أي أن الله سبحانه وتعالى يخاطب المؤمنين فيما يتعلق بالطاعات . . ولا يقول يا أيها الكفار لا تفعلوا كذا وافعلوا كذا . . الخطاب هنا للمؤمن . . والمؤمن هو الذي يدرك يقينا أن قدرات الله وعلمه أكبر وأقوى من قدراته . . ومن هنا فانه يتبع ما قاله الله كما يتبع المريض ما قاله أكبر أطباء العالم ليشفى . . وفرق ولا مقارنة بين علم الله وعلم البشر .

أما الثاني فانسان كافر والعياذ بالله ملحد غير مؤمن . . هذا يفعل ما يشاء فليس بعد الكفر ذنب تماما كما يمزق المريض أوامر الطبيب . . ويتبع هواه . . لا نقاش معه لأنه غير مؤمن . . فليفعل ما يريد . . وسيلقى جزاءه . .

نأتي بعد ذلك الى النوع الثالث . . وهو أن يكون هناك نقاش حول قضايا الايمان في افعل ولا تفعل . . والنقاش يجب أن يدور بين علم متساو . . وعقل متساو وقدرة

متساوية . . فمن منا علمه تكلم الله . . سبحانه وتعالى . . وقدرته كقدرة الله سبحانه
وتعالى حتى يستطيع أن يجادل الله . .

قضية الايمان

ولقد جاء الله سبحانه وتعالى بهذه القضية في مجال الايمان ولم يأت بها في الأخبار عن حقائق الكون مثلا . . أو عن معجزات الخلق . . وقال اذا أردت أن تعبدني . . فاتجه الى الكعبة . . إن هذا لن يكلفك شيئا . . ولن يضيف عليك مشقة ولكن هل امننت بي ربا ومخالفا . . أم ما زال الشك في قلبك . .

إن الله سبحانه وتعالى قد وضع في هذا معجزة وتشريعا . . أما المعجزة . . فهي قوله تعالى ﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم﴾ واستخدام لفظ «السين» هنا معناه أنه وقت نزول الآية لم يقولوا وأن القول سيتم بعد نزول الآية . . والمعجزة هنا أنه وصف الكفار الذين سيسألون عن سبب تغيير القبلة بالسفهاء . . قبل أن ينطقوا بسؤالهم . .

ومعنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى تحداهم في أمر اختياري يقع منهم . . وكان من الممكن هؤلاء الكفار ألا يسألوا عن سبب تغيير القبلة . . وأن يقولوا ان هذه مسألة تتعلق بالعبادة لا تدخل لنا بها . . وحينئذ كانوا يكذبون القرآن . . ويقول الناس . أين هم السفهاء الذين أخبر الله عنهم سبحانه وتعالى . . بأنهم سيسألون عن تغيير القبلة . . إن أحدا لم يسأل عن ذلك . . والقرآن كلام متعبد بتلاوته لا تغيير فيه ولا تبديل . . وحينئذ كانوا سيلقون ظلالة من الشك على القرآن الكريم . . لأنهم لم يسألوا . . ولكن لأن الله هو القائل . . والله هو الفاعل جاء هؤلاء الناس وسألوا . . رغم أن الله سبحانه وتعالى وصفهم قبل أن يسألوا بالسفهاء . . وهكذا كان خصوم الدين هم الذين جاء على يدهم ما يثبت صحة هذا الدين وهذه هي المعجزة . .

ويستطرد فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي قائلا : أما التشريع . . فهو يتعلق بعبادة الله سبحانه وتعالى . . وتسليم الانسان له . . ونحن اذا أردنا أن نعبد الله . . فاننا

يجب أن نعبد كما يريد هو أن يعبد . . لأن الله أعلم بطريق عبادته . .

ولنبسط المسألة الى الأذهان . . هب أنك مرضت وذهبت الى الطبيب . . وقال لك افعل كذا وكذا لتشفى . . فأنت اما أن تفعل واثقا أن علم الطبيب أكبر من علمك . . واما لا تفعل مؤمنا بأن هذا الطبيب لا يعرف شيئا . . واما أنك تناقشه . . وفي هذه الحالة يجنب أن يكون علمك مساويا لعلم الطبيب ان لم يكن أكثر منه .

فإذا كان ذلك يتم مع البشر . . فكيف مع الله سبحانه وتعالى . . ومع تعاليم هذا الدين بافعل ولا تفعل . . وكل ما أمر به وما شرعه الله سبحانه وتعالى . . إنك أحد ثلاثة . . اساك مؤمن بالله وقدراته وعلمه . . اتبع ما يقول لأنني أعرف أنه أعلم مني بما فيه شفاء النفس في الدنيا . . وحسن الجزاء لها في الآخرة . . ومن هنا اتبع تعاليم القرآن . . ولذلك يخاطب الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز المؤمنين دائئا فيقول : « يا أيها الذين امنوا » ذلك أن المؤمن يدرك يقينا أن قدرات الله وعلمه أكبر وأقوى من قدراته . . ومن هنا فانه يتبع ما قاله الله . . كما يتبع المريض ما قاله أكبر اطباء العالم ليحصل على الشفاء . . وفرق كبير ولا مقارنة بين علم الله . . وعلم البشر .

أما الثاني فانسان كافر ملحد . . وهذا يفعل ما يشاء . . فليس بعد الكفر ذنب . . تماما كما يمزق المريض أوامر الطبيب ويتبع هواه .

نأتي بعد ذلك الى النوع الثالث وهو أن يكون هناك نقاش حول قضايا الايمان . . في أفعل ولا تفعل . . والنقاش يجب أن يدور بين علم متساو . . وعقل متساو . . وقدرة متساوية . . ومن هنا علمه كعلم الله سبحانه وتعالى . . وقدرته كقدرة الله سبحانه وتعالى حتى يستطيع أن يجادل الله .

ومن هنا فان الله سبحانه وتعالى يأتي بقضية ايمانية كبرى . . ﴿الله المشرق والمغرب﴾ . . الله موجود في كل مكان . . ﴿وأينما تولوا فثم وجه الله﴾ . . وتغير القبلة لا يكلف المؤمن شيئا . . أي أن اتجاهه في صلواته الى الشرق أو الغرب . . أو اليمين . . أو اليسار . . لا يضيف عليه تكليفا ولا يحمله أي مشقة . . ولكن هنا قضية ايمانية كبرى . . الاتجاه الى الشرق لا مشقة فيه . . والاتجاه الى الغرب لا مشقة فيه . . اذن مستوى التوجه

هنا بالنسبة للمؤمن . . . فقول الله اتجه الى الشرق . . . مثل قوله تعالى اتجه الى الغرب . . .
هذه لا تحمل مشقة . . . وهذه لا تحمل مشقة . . . والمسألة هنا هي أن نعرف يقينا أننا نتبع
أوامر الله سبحانه وتعالى فيما قاله . . . في افعل ولا تفعل . . . فهناك أشياء غيبية عنا أنبأنا بها
الله في القرآن الكريم . . . ولو لم ينبئنا بها لما عرفناها . . . ولما وصل اليها الانسان أبدا . . .
هناك الجنة والنار . . . والثواب والعقاب والجساب والآخره . . . وهناك ما وعدنا الله به . . .
وهناك أشياء في الدنيا تحدث . . . وعقلنا قاصر عن أن يعرف الحكمة منها . . . وهذه الأشياء
يجب أن نعرفها يقينا لأنها أتت عن الله سبحانه وتعالى . . . هناك الصلاة . . . والزكاة . . .
واحكام الدين . . . والصوم . . . الى آخر ما قرره وشرعه الله سبحانه وتعالى من أحكام
لعبادته وطاعته . . . وهذه لها حكمة كبرى قد لا أدركها أنا . . . لأن عقلي لا يمكن أن يكون
مساويا لعقل الله سبحانه وتعالى . . . ولا تستطيع قدرتي ولا علمي أن يصلوا الى قدرة الله
سبحانه وتعالى . . . ولا علمه . . . وحكمته . . . ومن هنا فلا مقارنة . . . لأن الله ليس كمثل
شيء . . . والخطر كل الخطر أن يدخل الى قلب المؤمن ما يوسوس له . . . بأنه يجب أن
يناقش هذه العبادات بمنطقه هو وبعقله هو . . . وقد أثبتنا من خلال الحديث السابق . . . أن
ما فوق قدرة العقل موجود . . . وان ما فوق قدرة الانسان موجود . . . وان لم تكن نعرف عنه
شيئا . . . وان الله بقدراته يكشف لكل جيل من البشر ما كان الجيل الذي سبقه عاجزا عن
اكتشافه ليثبت أن ما فوق قدرة العقل . . . وفوق قدرة البصر . . . وفوق قدرة السمع
موجود . . . ولعل ما نعيش فيه اليوم من علم يثبت ذلك . . . فالعلم لم يصنعه الانسان . . .
ولكنه اكتشف الطيران مثلا . . . اكتشفه الانسان ولكنه لم يصنع الغلاف الجوي الذي يمكنه
من الطيران . . . ولكن الذي صنع هذا الغلاف هو الله سبحانه وتعالى . . . ودلنا على
استخدامه . . . ولكن الغلاف الجوي كان موجودا . . . وقدرة طيران الانسان حول الأرض
كانت موجودة منذ بدء الخليقة . . . وكذلك الميكروبات مثلا كانت موجودة . . . ولكنها كانت
فوق قدرة البصر . . . الى أن تم اكتشاف الميكروسكوب . . . وكذلك أن تسمع ما يدور في
الدنيا بواسطة استخدام الأثير أو خواص طبقات الجو العليا . . . كل ذلك كان موجودا لم
يخلقه الانسان . . . ولكن الله سبحانه وتعالى أدخله في علم البشر . . . ليثبت أن ما فوق
القدرة البشرية موجود .

هنا قضية ايمانية كبرى . . بسطها الله وقربها اليها بما وضعه في هذه الأرض من علم أتاح للعقل البشري اكتشافه . . ولكن برغم ذلك كله كما قلت يأتي من يوسوس للانسان ليقول له لماذا تصوم مثلاً؟ . . وماذا يفعل الله سبحانه وتعالى بامتناعك عن الطعام والشراب . . وهو غني عن العالمين . . بماذا سيزيد ملك الله سبحانه وتعالى اذا أنت امتنعت عن الطعام والشراب . . وصمت شهر رمضان . . وما الذي سينقص اذا أفطرت . . أو لماذا تقوم بالصلاة خمس مرات في اليوم . . ولماذا لا تصلي مرتين فقط . . مرة عند استيقاظك من النوم . . وأخرى عند ذهابك الى النوم . . الى آخر هذا الكلام الذي يدخل النفوس محاولاً ان يضعف الايمان فيها . . وهنا نقول انك لا تستطيع أن تناقش هذا . . ولا تعرف الحكمة في التكليف به . . لماذا؟ . . لأنك في عقلك وتفكيرك لست مساوياً لقدرات الله سبحانه وتعالى . . ومادامت قد امنت . . ووثقت بأن الله هو الخالق . . هو الفاعل . . وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي حيا هذا الكون . . وهو القوة الكبرى الذي ليس كمثل شيء . . يعلم ما لا نعلم . . اذا وثقت في هذا . . ودخل الايمان الى قلبك . . ففي هذه الحالة وجبت عليك طاعة الله سبحانه وتعالى فيما يأمرك أن تفعل أو لا تفعل . . لأن الله سبحانه وتعالى هو اعلم منك بهذا كله . . وهو يطلب منك الطاعة والتسليم . . وأنت لم تصل الى الايمان الا اذا استسلمت وسلمت وجهك لله . . فيما يقول في الفعل ولا تفعل . . تماماً كما أنك لن تشفى الا اذا نفذت تعليمات الطبيب لعلاج مرضك . . والدين رحمة وشفاء للمؤمنين . . وهو يوصلهم الى النفس مطمئنة في الدنيا التي لا يفزعها شيء ولا تحطمها عاصفة . . النفس المجزية في الآخرة . . الموعودة بجنة الله . . ومن هنا كان تغيير القبلة امتحاناً للايمان . . شيء ليس فيه مشقة ولا زيادة في الكلف . . ولكنه قضية ايمانية كبرى . . ما دام الله قد قال . . فلا بد أن افعل . .

ولقد جاء الله سبحانه وتعالى بهذه القضية في مجال الايمان والعبادة . . ولم يأت بها في أي مجال من المجالات الأخرى . . أي أن الله سبحانه وتعالى أراد أن تكون امتحاناً للايمان في النفس . . وليس مثلاً دليلاً على اعجاز القرآن . . أو اخباراً بشيء سيأتي . . أو إظهاراً لحقائق الكون . . أو تحدثاً عن نعم الله على عباده . . أو رواية عن الأنبياء السابقين . . أو وصفاً للنار والجنة . . والجزاء والعقاب . . أو أي شيء مما احتواه القرآن

الكريم . . ولكنه جاء بها كقضية ايمانية في افعل ولا تفعل . . فقال أنت تريد أن تعبدني . . واذا أردت أن تعبدني فأنا أقول لك . . افعل كذا وكذا . . وأنا أقول لك اتجه الى الكعبة . . وهذا الاتجاه لن يكلفك شيئا . . ولن يضيف عليك عبثا . . ولكنه اختبار لطاعتك لي . . وايمانك بي . . وهل استقر هذا الايمان في قلبك أم لا . . وهل آمنت بي ربا وخالقا . . أم لا يزال هناك شك في قلبك . . فاذا كنت قد آمنت بي رباً وخالقا . . ايمانا عن يقين . . فاني أقول لك . . انني وأنا الموجود في كل مكان . . أريدك أن تتجه في صلاتك الى الكعبة . . الى البيت الحرام . . وهذا لن يكلفك شيئا . . ولكنه سيظهر مدى الايمان في قلبك . . ومدى طاعتك لي . . .

وهكذا كانت قضية تغيير القبلة . . قضية امتحان للايمان لنعرف من الذي يلتزم بأمر الله . . . ومن لا يلتزم بهذا الأمر . . ويذكر الله سبحانه وتعالى هذه الحكمة في قوله . . ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾ . . . اذن فالمشكلة لا مشقة فيها . . ولكنها امتحان للايمان . . وتثبيت له في القلب ليظهر أمام المؤمنين جميعا من يتبع الرسول . . ومن ينقلب على عقبيه . . من يطع الله حقيقة . . ومن يطع الله وفي قلبه شك . . وفي نفسه اهتزاز .

ويستطرد فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي قائلا : وهذا يدل على أن كل أحداث الكون . . اثما هي مرسومة وموضوعة كاختبارات للايمان في النفس . . وليكون الانسان شهيدا على نفسه يوم القيامة . . والنفس البشرية في كل دقيقة من حياتها هي في اختبار للايمان بالله . . منذ اللحظة التي تستيقظ فيها . . حتى اللحظة التي تنام . . الاختبارات موجودة . . والقلم يكتب . ثم ينام الانسان فيرفع القلم . . فاذا استيقظ يعود القلم مرة أخرى . . ولقد جعل الله سبحانه وتعالى من تغيير القبلة قضية ايمانية كبرى كأساس في الدين . . ووضعها في التكليف ولم يجعل فيها زيادة في المشقة لتكون اختبارا خالصا للطاعة . . ولن يتبع الله ويتبع رسوله . .

طريق الله . . والعلم

هناك النفس المطمئنة . . والنفس اللوامة . . والنفس الأمارة بالسوء . . وهذه النفوس كلها تواجه الحياة بطريقة مختلفة . . وتنظر الى الايمان بشكل يجعل كلا منها يصل الى نتائج غير التي تصل اليها الأخرى . . والنفس البشرية من يوم الخلق الى يوم القيامة . . في صراع بين الايمان . . وما يوسوس لها الشيطان . .

والنفس البشرية في حياتها معرضة لأشياء كثيرة . . العقل يقول شيئا . . والعواطف تقول أشياء . . وهوى النفس يحاول أن يجعلها تفلت من كل رقابة وضعت لصالح النفس البشرية . .

تلك كانت مقدمة قبل أن أستكمل حديث فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي عن الله والنفس البشرية . . ولقد توقفنا في الأسبوع الماضي عند تغيير القبلة . . وقال فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي ان هناك في الدين قضايا عقل . . وقضايا ايمان . . أما قضايا العقل فالله قد تركها لمنطق العقل وتدبيره .

والمطلوب من العقل أن يفكر ومطلوب منه أن يعمل . . ومطلوب منه أن يكتشف آيات الله في الكون . . والمطلوب من العقل أن يفكر . . الدنيا . . ومطلوب منه أن يرسم طريق حياته الذي يتمناه . . هذه في قضايا العقل . . وهو في الزراعة مثلا يطور زراعته وأرضه . . وفي الصناعة يبحث عن الخامات الجديدة . . ويكتشف الآلات الجديدة الى آخر ما يمكن أن تكون فيه قضايا العقل فيما خلقه الله له . . فاذا جئنا الى قضايا الايمان . . فتلك مسألة أخرى تماما . . هنا في قضايا الايمان . . إما أن تؤمن بالله أو لا تؤمن . . ليس هناك حل وسط في أن تؤمن بالله في أشياء . . ولا تؤمن به في أشياء أخرى . . والله سبحانه وتعالى اذا وضعت شريكا له في شيء . .

تركه ولم يتقبله .. لأنه غني عن العالمين .. فما أشركت فيه شيئا غير الله .. فليكن لمن أشركت .. الله غني ولا يتقبل الشرك ..

اذن ففضية الايمان أن تؤمن بالله أو لا تؤمن .. الايمان بالله معناه أنك قد آمنت .. وصدقت بأن هناك قوة كبرى منزهة عن كل شيء .. قد آمنت بأن الله سبحانه وتعالى ليس كمثل شيء في علمه .. وخلقه .. وفضله .. ورحمته .. وقونه .. وانتقامه .. وعذابه .. وانه سبحانه وتعالى ليس كمثل شيء في كل ما تعرف وما لا تعرف .. ومن هنا فإنا لا يجب أن نقيس علمنا بعلم الله .. ولا قدرتنا بقدرة الله .. ولا فهمنا بفهم الله .. فإذا قال الله .. سبحانه وتعالى افعل .. فأنا لست مؤهلا .. لأن أقول لماذا ؟ .. وأن أناقش .. ذلك ان المناقشة يجب أن تكون بين علم متساو .. وعقل متساو .. فلا نستطيع أن نقيم مناظرة علمية بين أعلم أهل الأرض .. وبين انسان لم يعرف العلم .. عاش طول حياته في مكان مهجور لا يعرف شيئا عن الدنيا .. ثم يأتي هذا الانسان الذي لا يعرف شيئا ليوقف ويناقش .. اعلم انسان في الأرض .. يناقشه في العلم .. لو أننا أقمنا هذه المناقشة لكننا سخرية العالم أجمع .. لأنه لا وجه للمقارنة .. ولا تهمننا الناس بالجنون .. والسفه .. والتفاهة .. وقلة العقل .. مع أننا هنا نستخدم الفارق في العلم البشري فقط .. فما بالك بالفارق بين علم الانسان .. وعلم الله سبحانه وتعالى ..

ولكن العجيب .. والعجيب جدا أننا حينما نستخدم الفرق بين العلم البشري .. وعلم الله سبحانه وتعالى .. نجد بعض الناس يجادل ويدعي أنه مؤهل لمناقشة الله في علمه .. ولمناقشة الله في طريق الحياة التي رسمها للبشر .. ولا يتجمل مثل هذا الانسان أن يقف ويحاور بذلك .. ولا يتجمل البشر الذين حوله .. وهم يقولون هذا الكلام الذي يدعو الى السخرية .. ولا مقارنة بين علم الله .. وعلم البشر .

اذن الايمان بالله سبحانه وتعالى .. هو تسليم لقدرات الله التي ليس فوقها قدرة .. تسليم لعلم الله الذي ليس فوقه علم .. وتسليم لله سبحانه وتعالى الذي

ليس كمثلته شيء . . هذا هو مدخل الايمان الى النفس البشرية . . وهذا المدخل قد لا يأتي الا بعد تفكير وتدبر في الكون وآياته . . ولكنه عندما تستكين النفس ويطمئن القلب . . ويقول الله افعل كذا فنفعل . . لماذا ؟ . . لأن الذي يقول هو أعلم مني . . ولأنه يحبني . . لأن الله يحب عباده . . ويغفر لهم خطاياهم ويسامحهم ويتوب عليهم . . الله يحبني . . ويريد هدايتي . . ومن هنا فهو يفتح لي الطريق . . ويبين لي آياته في الكون . . ويرينا المعجزات في الأرض مما خلق . . بل انه يري كل جيل منا ما كان خافيا على الجيل الذي سبقه . . ومن هنا فانه حين يقول افعل فهو يقوها : لانها طريق السعادة لي . . والراحة لنفسي وقلبي . . لأنها طريق الحياة الطيبة . . الله سبحانه وتعالى وعد المؤمنين بالحياة الطيبة في الدنيا . . والحياة الطيبة هي نفس راضية مطمئنة . . تخلصت من القلق . . ومن الخوف . . ومن الفزع . . ومن كل ما يحطم النفس البشرية ويحيلها الى جهنم . . فاذا قال لي الله سبحانه وتعالى . . افعل . . فهو يريد السعادة لي بهذا الفعل في الدنيا والآخرة . . لأن فعلي لن يزيد في ملك الله شيئا وعدم فعلي لن ينقص ملك الله في شيء . . فالله حين يقول افعل يقدم لي الحياة الطيبة فيها أفعل . . وحين يقول لا تفعل يقيني بالحياة الشريرة بما لا أفعل . . ومن هنا . . ومن منطلق هذا الايمان . . وجبت الطاعة . . وليس النقاش . . ففيما يقول الله سبحانه وتعالى فيه أفعل أو لا تفعل . . اذا كنت مؤمنا فاني أعرف أن هذا الخيري وسعادي . . فانطلق نحوه . . وأفعله . . وأنا أشعر بغبطة وفرح . . إنني قد استطعت أن اختار الحياة الطيبة . . ليس على حسب قدراتي أنا . . وفكري أنا . . ولكن حسب قدرات الله سبحانه وتعالى الذي ليس كمثلته شيء . . واذا كنت غير مؤمن . . بدأت أناقش وأفلسف حسب قدراتي ولن أصل الى شيء . . فأنا في الايمان افعل ولا أفعل . . اختار بين حياة رسمت حسب قدرات الله سبحانه وتعالى . . وحياة يصورها لي عقلي . . والفرق بين الاختيارين هو الايمان . . الايمان بأن الذي وضع أسس الحياة الأولى . . هو أقدر مني . . وأعلم مني . . وهو خالقي . . وهو يريد لي الخير . . ويريد أن يخلصني من الشقاء . . ومن الكيد الذي يعانیه الانسان في الحياة . . ومن هنا كان ايماني هو أساس الطاعة . . وليست قدرات عقلي . . أما في أمور الحياة العادية التي تركها الله لاختياراتي . . ولم يقل افعل ولا تفعل . . فهنا يأتي دور العقل

في المفاضلة والاختيار ..

ومن هنا نجد الانسان المؤمن قويا قادرا .. لا تهزه شدائد الدنيا كلها .. لماذا ؟ .. لأنه يحس أنه مهما انعدمت أسباب العقل وتوقفت .. فان الله الذي رسم له طريق هذه الحياة التي يتبعها .. قد وعده أنه سيحييه حياة طيبة .. وهو لا يمكن أن يتخلى عنه أبدا .. بل انه سيفتح له من الأبواب .. ويوجد له من الأسباب ما يجعل له مخرجا من الضيق الذي يعاينه مصداقا لقوله تعالى : ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ ..

وهكذا كان تغيير القبلة عملا من أعمال امتحان الايمان في النفس .. ذلك ان الانسان المؤمن فيما يتعلق بالعبادة يتبع تعاليم الله الذي هو أعلم وأقدر على رسم هذا الطريق .. ولذلك قال الله سبحانه وتعالى ﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم﴾ .. وقد تحدثت في الحلقة الماضية عن المعجزة في هذه الآية .. وقلت ان استخدام « السين » هنا معناه أن الله تحدى قوما يجاربون دينه .. وصفهم بالسفهاء .. قبل أن يقولوا ما سينطقون به .. وهذا ما تبينه كلمة السين الموجودة في لفظ سيقول .. أي أنهم لم يقولوا .. وطبعاً لا بد أن يتبع الفعل القول هنا .. بمعنى أنه لا بد أن تتغير القبلة .. ثم يقولون بعد ذلك .. أو يتحدثون عن تغيير القبلة .. والله سبحانه وتعالى وصفهم بالسفهاء .. وكان من الممكن لكي يكذبوا هذا الدين أن يمتنعوا عن الكلام في تغيير القبلة على أساس أنها امر يخص العبادة .. ولكن كون أنهم جاءوا وجادلوا .. فكان الله قد استخدم الذين يجاربون الدين في اثبات صحة هذا الدين .

على أن هناك وقفة في استخدام لفظ السفهاء .. لماذا وصفهم الله سبحانه وتعالى بالسفهاء .. ولم يستخدم لفظاً آخر .. لأن السفيه هو الانسان الناقص العقل .. غير كامل التفكير الذي يأتي بأشياء لا تتماشى مع الفكر السليم .. ولقد جاء هؤلاء الملحدون والمحاربون للدين ليجادلوا في قضية هي فوق قدرة عقولهم .. وفي أمر شرعه الله لعبادته فوضعوا أنفسهم في مكان ذلك الذي يستطيع أن يشرع لعبادة الله .. بقدرة وحكمة وعلم .. أكثر وأقدر من الله سبحانه وتعالى .. وهذه

سفاهة تفكيرهم .. في أنهم وضعوا عقولهم العاجزة في مقارنة مع قدرة الله سبحانه وتعالى .. في أمر يختص بالعبادة والطاعة ..

على أن الله سبحانه وتعالى يعطينا ما يقرب إلينا .. ذلك الذي هو فوق قدراتنا .. لنعرف أو نلمس الحكمة فيه .. وهو يفعل ذلك رحمة بعقولنا ونفوسنا .. فاذا قال الله سبحانه وتعالى .. لا تأخذ مال غيرك .. فليس هذا منعا لي من الحصول على مال غيري فقط .. ولكنه حماية لي من أن يحصل أي فرد في المجتمع على مالي الخاص .. أي أن الله يحميني عندما يضع حرمة المال الخاص .. يحميني من الملايين التي تعبت في الأرض .. والتي يمكن أن تعتدي على مالي وتأخذه .. فهذا التحريم إنما هو رحمة بي .. وحماية لي من ملايين البشر الذين لا يستطيع ولن يستطيع أن أقاومهم .. ويأتي الله سبحانه وتعالى بقدرته وقوته ليجعل هذا قانونا عالميا يمشي في العالم كله رحمة للناس ..

وعندما ينهاني الله عن أن أشهد الزور .. أو أن أكذب .. أو أن أسرق الناس في الميزان .. أو غير ذلك .. فهو في الواقع يوفّر الحماية لي من كل هذا .. فأنا فرد في مجتمع لو أبيضحت فيه هذه الحرمات لكنت أول ضحية فيه .. ولعم الشقاء المجتمع كله .. فالفرق بين حكم الغابة الذي لا يكون الإنسان فيه آمنا مطمئنا على نفسه .. وبين الحكم الذي يعطي الأمان للبشر .. هو فرائض الله في الفعل ولا تفعل .. وهذه الفرائض كلها لا يمكن أن تحقق أهدافها إلا إذا دخل الإيمان القلب ..

على أن هناك سؤالا أخيرا يطرح نفسه هنا .. وهو الكوارث التي تصيب الإنسان في الحياة .. في حياته .. وفي نفسه .. وفي بيته .. في حياته حيث الخوف والقلق .. وعدم الاطمئنان إلى الغد .. وفي نفسه حيث الحيرة والصراع الشديد .. بين ما يحققه من لذة عاجلة أو مصلحة عاجلة .. أو هدف عاجل يريده .. وبين ما تقتضيه تعاليم الله سبحانه وتعالى بالنسبة لهذه الأشياء .. أما في بيته فهو ما يحدث في الأرض من فيضانات وزلازل .. وأسياء مدمرة قد تنشر البؤس والدمار في مجموعة من البشر .. وهذه الأشياء الثلاثة هي ما تبقى حول موضوع «الله والنفس

البشرية « .. وكلها لها اجابات وايضاحات تجعل العقل يقترب اكثر .. واكثر من الله سبحانه وتعالى ..

اذا بدأنا بالنفس البشرية فهذه قصة طويلة بدأت منذ اول الخليفة وتنتهي يوم القيامة .. ذلك أن الانسان يظلم نفسه في كثير من الأحيان ظاناً أنه يقدم لها الخير .. ويفعل سوءاً فلا يحصل على شيء الا الذنب .. وهو في كلنا الحاليين يحاول أن يبرز ما يفعل بأنه خير .. كيف ذلك ..

أسرار النفس البشرية

«الانسان يريد أن يخلد في الحياة فلا يموت ويريد مالا لا يتهي ولا يذهب . وهذا هو مدخل الشيطان للنفس والله قد جعل الأجل بيده والرزق بيده ليقينا الانحراف ويبعدنا عن الاغراء الكاذب ولكننا رغم ذلك نبحث عن الخلود .. وعن المال الذي لا يزول ولا يتتهي» ..

ان مدخل الشيطان الى النفس البشرية .. حدهه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بأنه «شجرة الخلد وملك يبلى» لا .. هذا هو المدخل الذي استطاع الشيطان أن يخرج به آدم وحواء من الجنة .. وأن يجعلها يعصيان الله سبحانه وتعالى .. فالانسان يريد الخلود .. انه لا يريد الحياة أن تنتهي .. يود أن يعمر ألف سنة .. ومائة ألف سنة .. والبحث عن الخلود يلزم النفس البشرية منذ أن بدأت حياتها على الأرض .. منذ أن خلقها الله حتى الآن .. الانسان يبحث عن الخلود . وعما يبعد الموت عنه .. رغم أن الله سبحانه وتعالى قد أكد في كتابه .العزيز أنه لا مفر من الموت .. فان الانسان يحاول أن يهرب بشق الطرق .. والابحاث عن اطالة الحياة .. وعن تجميد جسم الانسان حتى يعالج من أمراض تسبب الموت .. قد يكتشف لها دواء في المستقبل .. الأبحاث عن هذا ما زالت جارية ..

ولكن من ذلك الذي يكره نهاية الحياة .. انه الانسان غير المؤمن لماذا؟ .. لأن الموت خلق كالحياة تماما .. فالله سبحانه وسماى قال «الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا» .. اذن فالموت خلق كالحياة .. ولكننا نحب الحياة .. ونتمسك بها .. والموت للانسان المؤمن انتقال من حياة يتمتع فيها ويحاسب فيها على حسب قدراته هو الى حياة يتمتع فيها ويحاسب فيها على حسب قدرات الله سبحانه وتعالى .. والانسان في بحثه عن الخلود .. هو مستعد أن يفعل كل شيء .. وأي

شيء ..

والمدخل الثاني بعد الخلود .. هو ملك لا يبلى .. أي مال لا ينتهي ..
فالانسان يريد حياة لا تنتهي ومالا لا ينتهي .. فالله سبحانه وتعالى قد جعل الاثنين
بيده .. ليقبى الانسان من دخول الشيطان الى نفسه .. فجعل لكل أجل كتابا ..
وجعل الرزق بيد الله سبحانه وتعالى بغير حساب .. ومن الذي يستطيع أن يحاسب
الله جل جلاله وهو العزيز القدير ..

إذاً الله سبحانه وتعالى أراد أن يقبى الانسان من الانحراف في الحياة .. ومن
الابتعاد عن الحياة السعيدة الى حياة الشقاء .. فرسم له الطريق .. ووضع له منهج
الحياة التي هو خالقها .. وهو الأعلم بها .. وقال في كتابه العزيز ﴿لننحيه حياة
طيبة﴾ ، وقال ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة .. ولكم فيها ما تشتهي
أنفسكم .. ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم﴾ ..

وبعد أن رسم الله سبحانه وتعالى أسس الحياة وسبلها .. ووضع منهاجها ..
قال لنا ان الشيطان سيحاول أن يغريكم بالمال .. وبالخلود .. وأنا أقول لكم سلفا
حتى لا يكون لكم حجة .. ان لكل منكم أجلا .. فاذا جاء أجلكم لا تستقدمون
ساعة ولا تستأخرون وأقول لكم ان الشيطان سيعدكم بمال لا يقبى ولا يذهب. ولا
ينتهي .. وأنا أقول لكم إنه ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ .. وانني أرزق من
أشاء بغير حساب .. حتى لا تكون لكم حجة في اتباع الشيطان .

وبالرغم من هذا .. فان الشيطان يجد المدخل بسهولة الى النفس البشرية .
وكلما تقدم الزمن .. وتقدم العلم .. وتقدمت الرفاهية التي يستطيع أن يضعها في
حياة الانسان .. انفتح في النفس البشرية مدخل أوسع للشيطان .. ذلك أن المال
يستطيع أن يحقق ما لم يكن من الممكن تحقيقه في الماضي . الانسان يستطيع الآن أن
يمتلك سيارة وطائرة .. وتكييف هواء .. وأن يقدم له المال حياة سهلة .. ويعمله
سيدا مطاعا .. ومن هنا كلما اتسعت دائرة الرفاهية التي يستطيع المال أن يحققها في
حياة الانسان .. زاد نهم الانسان للمال .. ولقد شاء الله سبحانه وتعالى أن يجعل

للاستمتاع البشري حدودا ليفهم الناس أن كثرة المال لا قيمة لها في حياة البشر . .
فجعل المرض في كثرة الطعام . . وجعل الداء في الطعام الفاخر الدسم . . وجعل
العجز في عدم الحركة التي توفره الرفاهية . . وجعل قدرات الجسم تتلاشى في
الاسراف في الاستمتاع البشري أيا كان نوعه . . ووضع سر الصحة في الأشياء التي لا
تكلف الانسان مالا كثيرا . . فقليل الطعام غير الدسم . . وغير الفاخر . . أساس
اعتدال الصحة . . والمشي على القدمين الذي يستطيعه الغني والفقير على حد
سواء . . ودون أي مشقة أو تكلفة . . هو الطريق الوحيد الآن لعلاج معظم
الأمراض بما فيه أمراض القلب . . والطبيب ينصح أولئك الذين لا يتحركون الا
خطوات قليلة لأن المال يرفع عنهم المشقة . . بالمصعد والسيارات الفاخرة . .
والخدم . . والحشم الذين يوصلون اليهم كل شيء وهم جالسون في أماكنهم لا
يتحركون . . ينصح هؤلاء بأن يسيروا ساعة أو ساعتين كل يوم . . لأن هذا هو
أساس الصحة . . والهواء الطلق الذي يوجد في الأماكن الخلوية البعيدة . . هو الهواء
النقي غير الملوث . . لم تفسده يد الانسان . . وهكذا كانت الصحة في قلة الطعام غير
الدسم . . وفي المشي خصوصا في الأماكن ذات الهواء الطلق . . وفي عدم الاسراف
في أي شيء . . وهذا متاح للبشر جميعا . . غنيهم . . وفقيرهم . . بل ان حكمة الله
سبحانه وتعالى في أنه ما من نبي الا ورعى الغنم . . ترينا في أحد جوانبها قواعد
الصحة التي يدفع بعض الناس الآن عشرات الألوف من الجنيهات ليصلوا اليها . .
وراعي الغنم لا بد أن يسير على قدميه فترة طويلة في هواء نقي غير ملوث . . وهو لا
يستطيع أن يحيط نفسه بأولئك الذين يعدون له الطعام الفاخر الدسم . . ومن هنا فهو
يبقى صحيحا سليما معافى . . حتى يأتي أجله . .

وبالرغم من هذا يبقى الطمع البشري بلا حدود . . بل ان الذي يملك مالا لا
يستطيع أن ينفقه فيما بقي من عمره . . لا يكتفي بذلك . . وانما يريد أكثر وأكثر . .
والنفس اذا هوت المال بدأت المفسدة . . فانا أسرق لأحصل على المال . . وأشهد
الزور لأنال بعض المال . . وأقول غير الحق . . وأعمل بغير ما يرضي الله . .
وأخدع . . وأغش . . وأكل حقوق الناس . . كل ذلك لأحقق لنفسي ما وعدني

الشیطان به كذبا .. وهو ملك لا یبلى .. ای مال لا ینتهی ولا یفنى مهما مر
الزمن .. مع أنني لؤ كنت مؤمنا عن یقین لعلمت أنني لن أصل بعلمی الا الى الرزق
الذي قسمه الله لی .. ولأمنت أن الله یرزق من یشاء .. وانی لو اتجهت الیه
لإعطائی الرزق .. ومنحه لی .. والرزق الحرام لو صبرت علیه قليلا وعملت
لأوصلنی الله الى المال الحلال .. لأنه مقسوم لی ..

ومن هنا فأنی أظلم نفسي حين ارتكب السوء .. وأنطلق متبعا هوى
النفس .. ذلك أنني فی الحقيقة لا أصل الى شيء الا الذنب .. ولا أكسب شيئا الا
الخطیئة .. على أن هناك من یرتكب من السيئات مقابل الحصول على متع عاجلة ..
ومن یظلم نفسه .. والمعنى هنا ليس واحداً .. الكلمة لیست مرادفة .. بل ان الفرق
كبير بین المعینين ..

* * *

عندما يظلم الانسان نفسه

« الانسان الذي يرتكب المعصية .. يفعل ذلك لأنه ضعيف ، يريد الحصول على منفعة عاجلة .. أما ذلك الذي يظلم نفسه فانه يرتكب المعصية .. لمجرد المعصية .. فالانسان الذي يمنع الخير عن الناس حسداً .. والذي يهدم أسرة أو يفرق بين الأب وابنه وبين الزوج وزوجه ظلم نفسه بارتكاب الاثم بلا هدف الا الأذى » .

ان النفس البشرية لا ترضيها الحياة المادية وحدها .. ولا يسعدها المال فقط .. بل هي مزيج من الروح والمادة .. ومن هنا فان أكثر الأمم تقدماً في الحياة المادية .. أعلاها في نسبة الانتحار .. بينما كان يجب أن يكون العكس صحيحاً .. اذا كان التمتع البشري هو قمة السعادة للنفس .. فقد شاء الله سبحانه وتعالى أن يضع للمتع البشري حدوداً .. حتى يقيد الطمع البشري .. فالطعام لذة .. ولكن كثرة الطعام تصيب الجسم بالأمراض والعلل .. والشراب لذة .. ولكن الإفراط فيه يؤدي الى أمراض قاتلة .. وكذلك كل ما تهواه النفس اذا مشت على الحدود التي أتاحها الله .. حصلت عليه جيلاً مبهجاً .. وابتعدت عن أضراره ومفاسده .. واذا أطلقت هواها كل ما تريده فستمتع أياماً .. ثم تقاسي بقية العمر .. ويملاها الندم ..

ويستطرد فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي أن هناك من يرتكب السوء .. ومن يظلم نفسه .. وبعض الناس يظن أن استخدام اللفظين في القرآن الكريم .. ظلم النفس .. وارتكاب السوء ملتزمان في المعنى .. فان من يرتكب سوءاً ومعاصي .. انما يقود نفسه الى الهلاك في الدنيا وفي الآخرة .. ولكن الذي يرتكب السوء يفعل شيئاً .. والذي يظلم نفسه يفعل شيئاً آخر ..

الذي يرتكب السوء .. يرتكب المعاصي لفائدة عاجلة .. تزيين له نفسه انه سيحصل بها على شيء .. فالذي يسرق مالا مثلا .. يريد فائدة عاجلة بأن يسمع بانفاقه .. الذي يأخذ حقوق غيره .. انما يحصل على فائدة عاجلة يأخذها لا جهد له فيه .. ولا حق له فيه .. والذي يقوم بمعصية .. انما يحصل على لذة عاجلة تنتهي بسرعة .. ويبقى الذنب ..

ولكن الذي يظلم نفسه .. انسان آخر تماما .. انه لا يفعل ذلك للحصول على فائدة عاجلة .. ولكنه يرتكب المعصية دون أن يستفيد .. فالانسان الذي يشهد زورا مثلا ليضر انسانا آخر .. قد ظلم نفسه .. ارتكب اثما .. ولم يتمتع بشيء .. والانسان الذي يمنع الخير عن الناس .. لمجرد منع الخير حسدا أو حقدا .. انسان ظلم نفسه .. ذلك أنه لم يعطها شيئا .. وانما أعطها الذنب .. والانسان الذي يحاول أن يفرق بين المرء وزوجه .. وبين الابن وأبيه .. وان يهدم أسرة .. أو يهدم عملا ناجحا .. دون أن يستفيد هو شيئا .. انسان ظلم نفسه .. لأنه أعطها المعصية .. ولم يعطها شيئا .. وهذه هي النفس الأمارة بالسوء .. أي أنها تجتهد لذة حياتها في السوء الذي يصيب الآخرين .. تجتهد لذة حياتها في أن تهدم بيتا سعيدا .. أو تمنع رزقا عن انسان .. أو تضيع حقا على صاحبه .. أو تقدم شهادة زور تضع بها انسانا في ضرر بالغ .. وهي تفعل ذلك ليس بدافع الفائدة الشخصية .. ولا الضعف البشري .. ولا الحصول على شيء من متاع الدنيا .. ولا كل ما يقتتل عليه البشر من تفاهات الحياة المادية .. كل هذا لا تحصل عليه .. ولكنها تحصل على السيئات وحدها .. وهذه النفس تورد صاحبها التهلكة دون أن تعطيه شيئا .. وصاحبها يكون في داخل نفسه .. قلقا .. حائرا .. لا ينام الليل .. كالنار يأكل بعضها بعضا .. قد يكون في قمة الغنى .. وقد يكون ليس محتاجا لشيء أعطاه الله من خيرات الدنيا ما يعجز عن انفاقه بقية عمره ، ولكنه مع ذلك يظلم نفسه في أنه يفسد في الأرض .. وينشر السوء .. ويندفع الى ما فيه ظلم البشر .. دون أي هدف الا السوء نفسه .. وهذه النفس لا توجد في انسان في قلبه ايمان .. ذلك أن الايمان يدخل في القلب الرحمة .. ويدخل فيه الخوف من الله .. ويدخل فيه خشية

يوم القيامة .. ويدخل فيه أن الله يسمع ويرى .. إذا كانت هناك ذرة من الإيمان في النفس .. فان هذه المعاني توجد فيها ... أما النفس الأمارة بالسوء فليس فيها رحمة ... ولا في القلب خشية .. وليس هناك خوف من يوم الحساب .. ولا هناك احساس بأن الله يسمع ويرى ومن هنا فان هذه النفس البشرية لا يكون فيها ذرة من إيمان .. وهي لا تحس بجمال هذا الكون .. ولا تتمتع بالحياة رغم ما قد يحيط بها من مظاهر النعيم الدنيوي .. ذلك أنها تعيش في شقاء داخل النفس .. وضعة عدم الإيمان .. وفي شقاء خارج النفس من أن كل من يحيط بها يجب أن يكون شقياً .. وأن يناله الأذى .. ومن هنا فاننا عندما نقول ان هذا الانسان قد ارتكب اثماً .. ونقول ان هذا الانسان قد ظلم نفسه .. لا نعني نفس الشيء .. الله سبحانه وتعالى قد وضح لنا معنى ظلم النفس .. ومعنى ارتكاب الاثم .. وبين لنا الفرق بين الاثمين .. والاعجاز في القرآن أن كل لفظ له معنى دقيق يعبر عنه .. ولا يخرج التعبير عن هذا المعنى ..

وهناك النفس اللوامة .. تلك التي تلوم صاحبها على الاثم .. وتدفعه الى الخير .. وتجعله يحاسب نفسه .. وهذه النفس هي التي يختلط فيها عمل الخير .. والاثم .. هذه النفس في كثير من الأحيان تصل الى الهدى .. أو الى النفس المطمئنة التي وعد الله بها المؤمنين .. وهي تحث صاحبها دائماً على فعل الخير .. ولكن صاحبها انسان ضعيف . يأخذه الهوى مرة .. فيرتكب إثماً .. ويندم عليه .. فيتجه الى عمل صالح .. ثم يغلبه هواه .. وهكذا يظل في صراع حتى ينتصر أحدهما على الآخر ..

فأتى بعد ذلك الى النفس المطمئنة .. تلك التي أعطها الله سعادة الدنيا والأخرة .. والنفس المطمئنة هي نفس اطمأنت الى قول الله وعدله .. اطمأنت الى قدرته وقوته .. اطمأنت إلى علمه ووجوده ..

النفس المطمئنة الى قول الله وعدله .. تعرف يقيناً أن ما وعدنا الله به سيتحقق .. وهي تعلم يقيناً أن قول الله هو الحقيقة الخالدة .. ومن هنا فهي تعلم أن الله يدافع عن الذين آمنوا .. وان الله وعد في كتابه العزيز هذه النفس بالحياة

الطيبة في الدنيا والآخرة . . وقال فيها :نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم # وهي في اطمئنانها هذا لا تخشى شيئا . . ذلك أنها تعرف أنها اختارت الطريق الصحيح . . فاذا منع الله عنها شيئا تهواه . . أو شيئا تريده . . فلأنه يريد أن يعطيها خيرا منه . . وأن الله سبحانه وتعالى في منعه هذا الشيء . . رغم ما يحيط به من بريق الدنيا . . هو أعلم منا جميعا بالخير والشر . . ومن هنا فإن كان قد منع خيرا نعرفه . . فإنه يريد أن يعطينا خيرا أكثر منه لا نعرفه . . وإذا منع عنا شيئا نريده . . فلأنه يريد أن يعطينا شيئا أحسن منه . . لا تصل إليه ارادتنا وعلمنا في هذه اللحظة . . فقضاء الله بالنسبة لهذه النفس هو خير دائما . . خير في المنع . . وخير في العطاء . . خير التيسير . . بخير في التيسير وخير في عدم تيسير الأمور . . خير في كل ما يأتي به . . لأن الخير فيها اختاره الله . . ولأن النفس لا تستطيع أن تحترق بحجب الغد لتعلم الخير والشر . . وتستطيع أن تصل إلى الحكمة من كل شيء . . يحدث . . والإنسان في تعقله في كثير من الأحيان يرى الشر خيرا . . ويحسب السوء منفعة . . ولكن الأحداث عندما تتضح . . والزمن عندما يمر يرينا الله الحكمة فيما منع . . والحكمة فيما أعطى . . والنفس المطمئنة لقضاء الله تعلم أن الله ولي الذين آمنوا . . وأن الله يحب عباده المؤمنين ويدافع عنهم . . وأن الله في قضائه مع النفس المؤمنة . . إنما يريد أن يمنع عنها شرا لا تراه . . أو يعطيها خيرا أكثر من الذي تمتته . . وفي الحالتين فإن قضاء الله هو الخير . .

وهذه النفس تطمئن إلى عدل الله . . فهي تعلم أنه لا يوجد ظالم يستطيع أن يفلت من عقاب الله ولا يوجد قوي متجبر هو فوق قدرة الله وقوته . . ومن هنا فهي تلجأ للأقوى الذي تعرفه . . وليس للضعيف الذي يبدو أمامها قويا . . ولا لمن أعطاه الله فظلم الناس بما أعطاه الله له . . إنها تتجه إلى المنعم الحقيقي . . وليس إلى حامل النعمة . . وتلجأ إلى العادل الحقيقي . . وليس إلى الإنسان الذي يتبع هواه . . والعدل صفة من صفات الله سبحانه وتعالى لا يصل إليها البشر ولا يستطيعون مهما دققوا وبحثوا أن يصلوا إلى العدل الحقيقي . . . ولكن قدرة الله سبحانه وتعالى هي

التي تستطيع . . ومن هنا فمهما كان الظلم قاسيا فهي تثق أن عدل الله أكبر . . وأن عدل الله موجود . .

والنفس المطمئنة تثق في قدرة الله وقوته . . ومن هنا فانها لا يهملها ما يعطي البشر . . وما يمنعون من ظاهر الحياة الدنيا . . ذلك أنها تعرف جيدا أن الله قادر على أن يعطيها اذا سألت . . وأن الله قريب يسمعها . . وأن الله قوي يستطيع أن ينتقم لها . . وهي في هذا كله تحس بالاطمئنان بملأها مهما كان الظلام حولها لا تؤرقها الدنيا أبدا . . ولا تهزها الأحداث مهما جرت . . بل ينزل الاطمئنان اليها . . ايمانا وبقينا بأن الغد يحمل مما في قدرة الله ما سيزيح وينهي كل ظلم وقع . . وكل اجحاف تم . . وهي في هذا مطمئنة الى أن الحق يهزم الباطل . . والخير يهزم الشر . . والظلم ليس له أقدام . . وسرعان ما يزول . .

قدر الله

« لقد جعل الله الكون في خدمتك .. ولكنه جعله كذلك لتضيف أنت الى الحياة شيئا .. واذا كانت المسألة أن تترك كل شيء لله ولا تعمل .. فلست أدري لماذا يتخلى هؤلاء الناس عن مبدئهم في أبسط الأشياء وهي الطعام والشراب .. فاذا عطشوا قاموا ليشربوا .. واذا جاعوا قاموا ليأكلوا .. فلماذا لا يترك هذا لقدر الله ؟ » ..

واذا كانت النفس البشيرية لغزا .. فان هناك على الأقل ثلاثة أنواع من النفس البشرية يمكن تحديد اطارها بشكل مبدئي .. النوع الاول هو النفس الأمامية بالسوء .. وصاحب هذه النفس يقودها الى الهلاك .. أو الى العذاب دون أن تستفيد شيئا .. هذه النفس تتمثل في أولئك الذين يفعلون الاثم لمجرد الاثم .. ودون الحصول حتى على متاع الدنيا الوقتي .. والأمثلة أمامنا كثيرة .. ذلك الذي يرسل شكوى كيدية في زميل له .. وهو يعرف أنها غير صحيحة .. وذلك الذي يشهد زورا أو يقول كذبا ليمنع خيرا عن انسان .. وذلك الذي ينقل الأقوال الكاذبة ليوقع بين البشر .. وذلك الذي يعد تقريرا مليئا بالكاذيب ليقدمه ضد انسان غيره .. وذلك الذي يحاول أن يشوه أي عمل يقوم به أي انسان لمجرد أن يهدمه .. صاحب هذه النفس الذي يقوم بهذا لا يستفيد شيئا .. فهو لا يمنع الخير ليأخذه .. ولا يوقف ترقية زميل له لأنه سيرقى .. ولا يرسل شكوى كيدية لينصر حقا .. أو ليحقق فضيلة .. وانما هو في ذلك كله يحاول أن يكون مناعا للخير .. دون أن يستفيد شيئا ..

والنفس الثانية هي النفس اللوامة .. التي تلوم صاحبها على الاثم .. وتدفعه الى الخير .. وتجعله يحاسب نفسه .. هذه النفس يختلط فيها الخير والاثم ..

وتتغلب فيها الطاعة مرة .. والمعصية مرة .. وهي في صراع دائم بين ما يجب أن نفعله .. وما يجب ألا تفعله .. وهذا الصراع يظل موجودا حتى ينتصر أحد جانبي النفس على الجانب الآخر ..

ولقد توقفنا في الحديث مع فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي عن « الله والنفس البشرية » .. عند النفس المطمئنة .. تلك التي أعطاه الله سعادة الدنيا والآخرة .. اطمأنت الى قوله وعدله .. وقوته وقدرته .. وعلمه ووجوده .. اطمأنت الى أن الله حق .. وأن الآخرة حق .. وأن الدنيا حق .. فعملت بكل منها .. واطمأنت الى أن الله ينصرها لأنها اختارت الطريق الصحيح .. واطمأنت الى قضاء الله .. ما أعطاهما خير .. وما منعه عنها .. فلأنه يريد أن يعطيها ما هو أحسن منه .. قضاء الله بالنسبة لهذه النفس هو خير في المنع .. وخير في العطاء .. وهي تؤمن أن الله يدافع عن الذين آمنوا .. وأنه يجب عباده المؤمنين .. وأنه رحيم في قضائه مع النفس المؤمنة وهي تؤمن أنه لا يوجد ظالم أقوى من عدل الله .. ولا جبار يعلو على قدرة الله .. ولا مفسد في الأرض يفلت من عقاب الله .. ومن هنا فهي تعلم حين ترى الظلم أن العدل قادم .. وحين تحس بالجبروت .. أنها بداية النهاية .. حين ترى المفسدين في الأرض أن قضاء الله قريب ..

ويستطرد فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي أن النفس المطمئنة تثق في قدرة الله وقوته .. ومن هنا فهي تحس بالاطمئنان يملاها مهما كان الظلام حولها .. وهي تؤمن أن الغد يحمل ما سيزيح ظلما وقع .. وينهي اجحافا تم .. وهي في هذا مطمئنة أن الحق يهزم الباطل .. والخير يهزم الشر .. وإنه ما من معركة بين حق وظلم استمرت طويلا .. فالظلم ليس له أقدام يقف عليها ..

ويستطرد فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي ولكننا في كثير من الأحيان ننظر الى الأشياء بمنظار آخر .. فنحن نرى في بعض ما يحدث اجحافا .. ونحن نريد أن نصل الى ما نحققه دون أن نعمل .. ودون أن نمتحن .. مع أن الجمال في الحياة هو أن تأخذ نتائج عملك .. فلو أن الطالب الذي لا يذاكر والطالب الذي لا ينظر في كتاب طوال العام نجح .. لانعدم الجمال في الحياة .. وانعدمت معه قيمة العمل ..

ولو أن الانسان الذي يعمل في زراعة حقله .. ويتعب ويشقى طوال العام .. يصل الى نفس المحصول الذي يصل اليه من لم يذهب الى أرضه مرة واحدة لانعدام الجمال في الدنيا .. ولانعدام العمل ..

وفي هذا الكون .. هناك أشياء تفعل لك .. وهناك أشياء تفعل بك .. فالشيء الذي يفعل لك في الكون يستوي فيه الناس جميعا .. كافر ومسلم .. يستوي فيه الناس كل الناس .. هذه الأشياء هي : كالشمس مثلا .. الشمس تشرق كل صباح ولا تخص بنورها كافرا أو مسلما .. أو شاكرا لله .. أو جاحدا بنعمه .. كلهم سواء .. عطاء الشمس للجميع .. سواء .. وهي لا تفرق بين شخص وشخص .. والهواء مثلا تتنفسه كل الكائنات الحية دون أي تمييز .. والماء مثلا يشرب منه كل كائن حي بصرف النظر عن دينه وعقيدته وإيمانه بالله أو كفره .. هذه الأشياء تفعل لك كثيرا .. الشمس تعطينا النور والطاقة وأسباب الحياة الى آخر ذلك .. والهواء يعطينا أسباب الاستمرار في الحياة .. والماء يعطينا الحياة نفسها .. ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ .. فهذه الأشياء تفعل لك .. وتفعل لك بلا تمييز .. أي أنها لا تميز في عطائها بين عاص .. وعابد .. ومؤمن .. وكافر ..

نأتي بعد ذلك الى الأشياء التي تفعل بك .. وارتقاء الانسان في الكون .. يتم فيها ينفع بك لا فيها يفعل لك .. ان ما ينفع بك ان فعلت فيه ينفع .. اذا حرثت الأرض حرثا جيدا ثم وضعت فيها البذرة ثم واطبت على رعايتها تعطيك ثمرا جيدا .. وان بحثت عن المعادن الصالحة للحياة الانسان في باطن الأرض .. تعطيك معادنها .. ولو لم تفعل فانها لن تنفع معك .. فالذين يعملون ويجدون في الأشياء تنفع معهم ..

والذين لا يقومون بأي جهد مع الأشياء التي تنفع للانسان في الأرض لا يتقدمون .. ويظلون متأخرين وهنا يحدث الخلاف بين ارتقاء عدد من الناس .. وتختلف عدد منهم .. يحدث هذا الخلاف في التعامل مع الأشياء الموجودة في الكون التي تنفع بك .. ولا دخل للدين في هذه المسألة .. فالأشياء التي تنفع لك .. كالشمس والهواء والماء .. وما في الأرض .. لا تفرق في عطائها بين مؤمن وكافر

وملحد . . والأشياء التي تنفعل بك . . والتي يجب أن تقدم لها عملا لتحصل على النتيجة . . هذه الأشياء أيضا لا نفرق بين مسلم وكافر ومؤمن وملحد . . فالكافر الذي يحسن حراثته ويزرعها . . يحصل على أجود أنواع البذرة . . والذي يتعهد الزرع . . يجني محصولا وفيرا . . والمؤمن الذي يهمل الأرض ولا يزرعها ولا ينفعل معها لا تعطيه الشجرة لأنه لا يطبق قوانين الكون . . ولا يعمل لينفعل مع الأشياء التي تنفعل به في الدنيا . . والملحد أو الكافر الذي يستخدم أحدث الأساليب العلمية . . ويجد ويسعى ليكتشف عن المعادن في باطن الأرض . . تظهر له هذه المعادن . . لأنها تنفعل به . . والمؤمن الذي يترك المعدن في باطن الأرض . . ولا يبحث عنه . . لا ينفعل به . . ولا يخرج له . .

تلك حقيقته كونية يجب أن نعيها جيدا . .

ولقد جعل الله ما على الأرض زينة لها . . ليجذب الانسان الى العمل . . فما هي الزينة في حقيقتها . . هي ما يخلق على ذاتيات الأشياء ليجعلها أكثر جاذبية . . فالمرأة مثلا تتزين لتصبح أكثر جاذبية للرجل . . وزينة الأرض هي أن تصبح أكثر جاذبية للانسان ليعمل . . فالانسان حين يرى حديقة جميلة . . أو عمارة فخمة . . يتمنى أن يبني أو يعمل مثلها . . فتكون هذه الزينة حافزا له للعمل . . فكأن الله قد جعل ما على الأرض زينة لها ليجذبني اليها . . ثم بعد ذلك هل تكون هذه الزينة هي الغاية . . أم لا تكون . . وهنا الابتلاء . . ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾ . . معنى استعمركم . . أي طلب منكم عمارتها . . وذلك لا يتأتى الا بأمرين . . أن تبقي الصالح على صلاحه . . لا تفسده . . وان تصلح الفاسد وتزيد اصلاحه . . وأقل ما تأمر به هذه الآية . . هو أنك لا تأتي للصالح وتفسده . . معنى استعمر الأرض . . أي ابقى الصالح على صلاحه . . أو زاد في اصلاحه . .

والله يخاطب الشيء بالقوة والشيء بالفعل . . زينة الله على الأرض من أثرين . . اثار خلق الله والطبيعة التي وهبها لنا . . وآثار ما فعله الانسان بما علمه الله له . . ليضيف الى ذلك . . وعندما نقرأ في سورة الكهف ﴿ يسألونك عن ذي

القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا . . إنا مكننا له في الأرض وأتيناها من كل شيء سببا فأتبع سببا . . ومعنى ذلك أننا أعطيناها أسباب المنعة والقمة والحكم في الأرض . . ولكنه لم يقتصر على ما أوتي . . لم يقتصر على ما فعل له . أتبع هو سببا . . فيما بنفعل له . . ولقد أورد الله هذه الآية الكريمة ابقول لنا : ان الانسان مهما يعطى لا يجب أن يكتفي بما أعطي له . . ولا يفعل شيئا . . بل يجب أن يأخذ هذا العطاء . . ويعمل من أجل أن يضيف إليه . . وينفعل به مع العناصر التي خلقها الله لتنفعل بعمل الانسان في الأرض . . وذلك مصداقا للحديث الشريف : لا خير فيمن لا يضيف . . والاضافة هنا بمعناها العام . . أي أنه أنت ان استفدت من الكون وجعل الله الكون في خدمتك . فلا بد أن تعطى عطاء للكون تضيف إليه شيئا . . والا أصبحت الحياة حامدة وغير متحركة . . ولا متطورة . . وتوقف تطور البشرية ونموها . . إذ ان الحياة تتطور من أن يضيف الانسان من ذاته ما تفاجل به مع بيئته . . ومع الكون ليصنع شيئا جديدا . . أي أن الله سبحانه وتعالى بنهانا أن نقف أمام قطعة من الأرض . . ولا نفعل شيئا ننتظر المطر ثم يظهر النبات أي نبات . . فتأكل منه . . أو ترعى منه الماشية . . ثم بعد ذلك لا شيء . . لا بد أن يعرف الانسان ويدرس كيف يحرث هذه الأرض . . وما هي النباتات الصالحة لها ليحصل على اجود النتائج . . لا بد أن يتعلم كيف يجعل هذه العناصر التي خلقها الله في الأرض لتنفعل به . . وتعطيه أحسن النتائج وهذا معنى الآية الكريمة . . فأتبع سببا . . أي أنه لم يقف ولم يقتصر على العطاء الذي أعطي له من الله . .

والذي يجب أن نعرفه . . ان منازل الدنيا لا علاقة لها بالآخرة . . فقد يكون رجلا ذا جاه ومال في الدنيا . . أخذ من نعم الأرض الكثير . . ومع ذلك مصيره النار . . وقد يكون رجلا ليس له حظ في الدنيا رزقه يكاد يكفي قوته . هو من أهل الجنة . . تلك حياة . . وتلك حياة . . بل ان المترفين في نعيم الدنيا هم عادة أكثر بعدا عن الله من غيرهم . . وان ذلك ضرب الله عدة أمثال في القران . . ولكن هذا لا يجب أن يلهيننا عن الحقيقة . . وهي أن من يتبع القوائين التي وضعها الله في الأرض . . بالنسبة للحياة الدنيا يأخذ نصيبها . . ومن يتبع قوائين الله بالنسبة

للحياة الآخرة يأخذ نصيبه منها ..

وما أوضحت . فإن الله فد أمرنا أن نضيف من الأسباب التي أعطاه لنا في سبيل البر في .. مما لا نحصل على أحسن النتائج .. وهذا العمل هو نوع من العبادة لأننا نطع هاتين الله في الأرض .. وهو أعطانا أسباب الرفعة في الدنيا .. وفي الآخرة .. وعلما أن نأخذ بهذه الأسباب .. ونعمل من أجل الدنيا ومن أجل الآخرة .. مصداقا لقوله تعالى : ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ .. فإذا كان هناك تخلف في الدول الإسلامية .. فالإسلام نفسه بريء من هذا التخلف .. لأنه وضع أمامنا كل أسباب الرقي والتقدم .. وطلب منا العمل في الحياة الدنيا .. حتى يتحقق لنا ثمرة هذا العمل .. فإذا كنا قد تركنا أسباب التقدم التي هي موجودة في الإسلام فليس هذا عيب الإسلام .. وإنما العيب في عدم تطبيق تعاليم الإسلام ..

وإنني أعجب من بعض الناس الذين يفسرون التوكل على الله بأنه دعوة إلى عدم العمل والجهاد .. بينما هو في الحقيقة دعوة للجهاد والعمل .. والتأكد من أن النتيجة طيبة .. لأن الله يبارك هذا العمل ويبارك هذا الجهاد .. الصادر من قلب المؤمن .. ولكن بعض الناس يريدون أن يضعوا في الدين ما ليس فيه .. وإذا كانت المسألة هي أن نترك كل شيء لله .. ولا نعمل .. فليست أدري .. لماذا يتخلى هؤلاء الناس عن مبدئهم في أبسط الأشياء .. وهو الطعام والشراب .. فإذا عطش فهو يقوم ليشرب .. وإذا جاء الطعام .. فهو يأكل ويبتذل جهدا في تناول الطعام ومضغه .. فلماذا لا يترك كل هذا لقدرة الله .. إذا كان المطلوب هو عدم العمل ولماذا يأتي إلى هذه النقطة بالذات .. ويضيف عملا إلى ما أعطاه الله ..

وما تحت الثرى

« وكان يجب أن تتنبه الى قول الله سبحانه وتعالى « وما تحت الثرى » . . وأن تعرفب أن الرزق في الأرض لا يوجد فقط فوق السطح . . ولكنه يوجد أيضا تحت سطح الأرض . . وتلك معجزة قرآنية بدأت تتكشف الآن . . والعالم ينفق البلايين ليبعث عن الثروات الموجودة « تحت الثرى » .

ناتي اليوم الى ختام حديث فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي عن « الله والنفس البشرية » . . ذلك الحديث الذي تناول فيه علاقة النفس البشرية بخالقها . . ولماذا حمل الانسان الأمانة . . وأثبت فيه أن من يجادلون في الله سبحانه وتعالى . . انما يثبتون وجوده وأن الله جعل من المضلين اثباتا للايمان . . وأن الله حق . . وأن القرآن حق . .

ويستطرد فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي بأن الله سبحانه وتعالى خلق لكل شيء في الدنيا قانونا يعمل به . . فالماء له قانون . . والنار لها قانون . . والأرض لها قانون . . والنجوم لها قانون . . وهذه القوانين تعمل بقدره الله . . وبإذن الله . . الله سبحانه وتعالى قائم على ملكه . . مدبر للأمر فيه . . على أنه سبحانه وتعالى فوق الأسباب والمسببات . . والقوانين . . وبذلك فانه في معجزاته لرسله قد خرق لهم القوانين . . فلما قانونه الاستطراق . . ومع ذلك عندما ضرب موسى الأرض بعصاه . . انشق البحر وتعطل قانون الاستطراق . . والنار خاصيتها الاحراق . . ومع ذلك عندما ألقى ابراهيم في النار تعطلت خاصية الاحراق . . وكانت النار بردا وسلاما على ابراهيم . . وقانون الحياة . . ان الانسان اذا فارقه لا يعود اليها . . ولكن الله سبحانه وتعالى خرق هذا القانون لعيسى عليه السلام فجعله يحيى الموتى بإذن الله . . الى أخر ما جاء في معجزات الرسل .

على أن الله سبحانه وتعالى وضع معجزات تحدى بها البشر . . ومعجزات لم يتحد بها أحدا . . فمثلا خلق عيسى عليه السلام معجزة . . لم يتحد بها الله البشر . ولم يطالبهم الاتيان بمثلها . . ولكن كان المقصود بها هو اطلاق القدرة . . كذلك معجزة سنو موسى البحر بعصاه لم يتحد بها الله أحدا ولكنها كانت لاطلاق القدرة . .

على أن معجزات الله سبحانه وتعالى تختلف عما يستطيع أن يقدمه البشر . . أو العلم البشري من طاقات أو معجزات . . والعلم البشري لا يستطيع أن يخلق من الضعيف قويا . ولا من العاجز قادرا . . ولكن الانسان يستطيع أن يقوم بالعمل . . عن الشخص نفسه . بمعنى أنني اذا رأيت شيخا ضعيفا وأمامه حمل ثقيل . . فكل ما أستطيع أن أفعله . . هو أن أحمل عنه هذا الحمل . . أو آتي له بآلة أو ونش يحمله . . ولكني لا أستطيع ولا أستطيع بشر أن يبذل هذا الشخص الضعيف الطاعن في السن . بشخص قوي يستطيع أن يحمل هذا الحمل . . ولكن الله سبحانه وتعالى هو القادر على أن يخلو من الضعيف قوة . . وأن يجعل الطير تهزم جيشا ضخما من الأفيال في عام القيل . . وأن يعطي قدرة السحر لموسى فيغلب السحرة . . ثم يعطيه قدرة سنو البحر . . فبصرب الأرض بعصاه فينشق البحر . . وهو يعطي لعيسى القدرة على شفاء المرصى واحياء الموت بمجرد الاشارة . . ويعطي لابراهيم أن يقطع الطير . . ثم يدعوها فسمي اليه . . وقد عادت اليها الحياة . . كل ذلك يتم باذن الله ومن معجزاته . . ولكنه لا يمكن أن يتم بعلم بشر . . ومن هنا فانك اذا رأيت شخصا ضعيفا لا حول له ولا قوة يهزم شخصا من أقوى رجال العالم نفوذا وقوة . . فاعلم أن هذه معجزة من عند الله . . وأنها أمر من أمر الله . . ذلك أنه هو وحده القادر على أن يخلق من الضعيف قوة . .

وهكذا . . صه الله سبحانه وتعالى قوانين في الأرض لكل شيء . . وجعل الأساب والمسبب في يده . . ولكن كل شيء يمضي بالقانون الذي وضعه الله له . . فاذا أراد الله سبحانه وتعالى بحكمة هو يعلمها أن يعطل هذا القانون . . أو يأتي بعكسه . . فإنه يقول . . كن فيكون . .

ولقد نهنا الله سبحانه وتعالى في قرآنه الى انشاء لم يخلصها الى العمل البشري الا خلال الفترة الأخيرة . . فقال الله جل جلاله ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى . . وكان لا بد للعمل البشري أن يشه احاسه وهو ما تحت الثرى . . الى أن هناك كنوزا وثروات قد وضعها الله سبحانه وتعالى حت سطح الأرض . . ولكن الانسان في وقت نزول القرآن لم يتنبه الى الابه وهو ما تحت الثرى . . ولم يظن الى أن الله قد وضع من الثروات ومن الاسباء في باطن الأرض . . بقدر ما وضعه فوق سطحها . . وربما اثار . . ثم تقدم العلم . . وحدثت الزلازل والبراكين . . وخرج ما تحت الثرى الى ما فوفها اكتشف للانسان بقدره الله عن الكنوز التي وضعها الله تحت الثرى . . فعرفنا المناجم . . والمعادن المدفونة في باطن الأرض . . وعرفنا البترول . . وبدأ الانسان يبحث في معنى الابه الكريمة وهو ما تحت الثرى . . وفي كل يوم يكتشف جديدا لم يصل اليه علم . . وهكذا كانت الابه التي ذكرها القرآن تفس حقيقة كونيه كبرى . . هي أن البرق في الأرض . . والخير الذي وضعه الله فيها . . لا يوجد فقط فوق السطح . . ولكنه يوجد تحت سطح الأرض أيضا . . وتلك معجزة قرآنية بدأت تتكشف للعالم . . والآن تقوم الدول الصناعية الكبرى بانفاق الملايين من الأموال . . والبحث عن الثروات الموجودة تحت الثرى . .

على أن الله سبحانه وتعالى حين وضع القوانين في الأرض . . جعلنا يعرف بعضها . . وأخفى بعضها عنا . . وجعل بعضها نعرفه باثاره دون أن نصل الى حقيقته . . فالجاذبية الأرضية مثلا هي حقيقة علمية نعرف جميعا اثارها . . ولكننا لا نستطيع أن نصل اليها . . رغم أنها موجودة ومؤثرة في حياتنا اليومية . . فأنت حين تذهب الى المعمل ليشرح لك الاستاذ الجاذبية الأرضية . . ويأتي بقطب ممغنط . . ويضعه امامك . . وقطب آخر غير ممغنط لا نستطيع أن نقول أيها فيه الجاذبية . . وأيها ليست فيه الا اذا قمت بالتجربة . . واذا نقلت الجاذبية من قطعة حديد الى قطعة أخرى . . فأنت لا ترى ماذا يحدث في جزئيات القطعة التي لم تكن ممغنطة . . ثم أصبحت كذلك . . انك لا ترى الجزئيات وهي تتأثر بالمغناطيسية . . ولكنك حين

نعرب قطعة احاديث بعد ذلك من معدن معين .. تجدها تجذبه .. ومن هنا فانك تعرف السير .. دون ان تستطيع ان تترك ما هو .. وما ينطبق على الجاذبية .. يطبق على الجهرياء .. فانك لا ترى التيار الكهربائي وهو يمضي في أسد الاسلاك .. وانك اذا وصلت لمساحا في اجر السلك وأوصلته به .. حصلت على الكهرباء .. والجر يطفئ الذي في السلك للجهرياء لا يستطيع ان يدلك .. أو أن يثبتك اذا كان في سائر جهريائى تم لا ..

ولقد جاءت هذه المحنة لعرب للعقل البشري ما هو غيب عنه .. ولكي يستطيع ان يعرف ذاته .. وذلك حتى يطمئن هذا العقل الى أنه من الممكن أن يعرف الشيء ذاته .. وهو الممحن أن يعرفه بأثاره وأفعله دون أن يراه .. والعجب أن عددا شديدا من الناس يؤمن بالجاذبية .. ويأخذها على أنها حقيقة علمية .. ولا يخادقونها .. ثم نخادل فيما قاله الله سبحانه وتعالى .. لأنه يعرفه بأثاره .. دون أن يراه .. وهذه هي حنافة العقل البشري .. أو ما نطلق عليه (هوى النفس) .. فلهذا لا يمكن مثلا .. أو الجهرياء .. شيء لا يمنع الانسان مما يريد أن يأخذه مثلا من اسنن اجر .. أو مما يريد أن يستمتع به حراما .. أو مما يريد أن يحصل طاء من جنس الاخرى .. أو يميز به على الناس بغير عمل ولا جهد .. وما كان هذه الحقائق الارضية لا تتصادم مع أهواء النفس الشريفة .. ولا مع شهواتنا .. ولذلك فان الانسان يعترف بها عن رضى وإقناع .. لأنها لا نسله شيئا .. يريد تحقيقه والطمع البشري بلا حدود .. فاذا أتينا الى أوامر الله سبحانه وتعالى .. نجد أننا بدلا من أن نأخذ بأثارها في أنها مخلق المواضع الصالح .. والاسان الذي يسود الأرض .. وتعطينا الحياة الطيبة في الدنيا والاحرة .. نجد أننا بدلا من أن نأخذ بهذه الاثار والنتائج .. ونرى اتباع ما قاله الله صلاحا للنفس والمجتمع .. ونعدا عن القلق والخوف .. والحياة التي يملأها الرعب داخل النفس .. وعادة العرد .. نحن لا نناقش كل هذا .. بل نتركه محاولين أن تكون لنا عقول مساوية لقدرة الله سبحانه وتعالى .. بحيث نستطيع أن نناقش هذه الأشياء مناقشة بدون علم .. وفرق هائل بين علم الله وعلم البشر .. ونمضي في

طريقنا .. أو يمضي بعض الناس في طبعهم الى أبعد من ذلك . فهم يصعبون عقولهم فوق قدرة الله سبحانه وتعالى .. شاهدين كما يدعون سفها وربنا أن نعالمه ويبدلوا ما شرع الله .. وكأنهم يملكون من القدرة والعلم ما هم فوق قدره حاله السموات والأرض ..

على أن الانسان الذي يجادل في قدره الله .. وبفترع النظريات .. فهذه شيوعية .. وهذه اشتراكية .. وهذه رأسمالية .. ومذاهب أخرى كثيرة بشرعونها محاولين أن يقيموا بها عن جهل وسفاهة .. مجتمعا يدعون أنه أفضل من ذلك .. المجتمع الذي وضع الله قواعده .. وفي هذه الحالة يجب أن نفهم أن هناك نوعين من النظريات .. وأن نفرق بينهما .. النوع الأول هو نوع يتعب صاحبه .. وتسفيد منه البشرية كلها .. هذا النوع هو الاختراعات العلمية المعتمدة على الأبحاث العملية .. فالانسان الذي يقضي سنوات طويلة من حياته داخل معمل من المعامل . ليخترع راديو .. أو تليفزيون .. أو تليفون .. انما يعاني هو حتى يصل الى اختراعه .. فاذا تم الاختراع استفادت منه البشرية كلها ..


أما النوع الآخر من النظريات البشرية .. فهو النظريات التي تتبع هوى النفس .. ففي هذه الحالة فان صاحب النظرية هو الذي يتمتع ويقوى نفوذه .. ويزداد جاهها ومالا وسلطانا .. بينما يعاني .. منها المجتمع .. فأى فلسفة معينة .. لنظرية سياسية أو غيرها .. انما يستفيد منها صاحبها لأنها تتبع من هوى النفس .. أما الذين يتبعونه فهم الذين يعانون ويكابدون .. وحوالنا في الدنيا كلها .. وفي كل بلد من بلاد العالم أصحاب نظريات سياسية تخالف ما شرع الله .. هم يتمتعون .. والشعب يعاني من الارهاب والبطش والظلم والتعذيب ..

والانسان في هذا الذي يشرعه .. انما ينسى خلقه .. واعجاز الله سبحانه وتعالى في الخلق .. فلو أن الانسان عرف أن قدره وحياته .. وهل هو شقي أم سعيد .. وكل ما سيصيبه في الحياة الدنيا الى يوم الساعة .. مكتوب على نطفة صغيرة لا يمكن أن ترى بالعين المجردة .. لعرف وعلم مدى قدراته بالنسبة لقدرة الله سبحانه وتعالى الذي وضع كل هذا العلم في شيء لا يصل حجمه الى جزء صغير من

المليمتر . . ولعرف أن سجل حياته كلها موجوده في هذا الحيز الضيق بقدرة الله سبحانه وتعالى . . ونحن حين نخترع انسان جهازا صغيرا دقيقا يمكن أن يؤدي عمليات معقدة مع صغر حجمة نهلل لهذا الاختراع . . ولكننا في الحقيقة يجب أيضا أن نسجد لقدرة الله الذي اسنطاع أن يضع كل حياة البشر في حيز لا يذكر . . وأن نعرف أننا مع تقدم العلم هناك فرق رهيب . . بين القدرة البشرية . . وبين قدرة الله سبحانه وتعالى التي يحاول الانسان أن يجادل فيها . .

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد كتب على نفسه الرحمة فلأنه خبير بعباده . . لطيف بهم . . فكفر انسان بربه جريمة يستحق عليها عذاب الدنيا والآخرة . . ولكن الله في رحمته بخلقه يفتح باب التوبة مرات ومرات . . ويغفر ويسامح . . ويعطي الانسان الفرصة بعد الفرصة حتى ساعة الموت . . عله يدرك الاعجاز في هذه الدنيا . . ويدرك عجز العقل البشري أمام قدرة الله . .

عل أن النفس البشرية في حياتها كلها متعلقة بالله سبحانه وتعالى . . حتى تلك النفس التي ظلمها صاحبها فهي تتوق الى الله وتسعى اليه . . وفي لحظات عندما تجد نفسها عاجزة أمام قدرته . . وترفع يديها الى السماء وتصيح يا رب . . ويكون عدلا الا تفتح أبواب السماء ولكن رحمة الله تفتح أبواب السماء وتتنزل على العاصين لترهبهم طريق التوبة . . والله نسأل أن يهدينا جميعا الى صراطه المستقيم . .



الشمايل المحمدية
ورد
شبهات المستشرقين

مناقبة الخلقية والخلقية « حليته صلى الله عليه وسلم »

رسول الله ﷺ هو عند ربه بالمكان الذي نعرفه له ، وهو عند المؤمنين به بالمكان الذي يرضى الله عن وجوده في نفوس من آمن به . ورسول الله ﷺ حينما يتكلم المنتصفون عن صفاته الخلقية انما يتكلمون عن صدى ما استمالتهم صورته ﷺ استمالة - كما يقول الأدباء - كانت قيد الناظر اليه . أي أن الناظر اليه ﷺ كان يقيده كل حسن فيه وما ذلك الا لأن الطاقة الحسية والطاقة القلبية لا تجعل لناظر الى رسول الله ﷺ معدي عن استدامة النظر اليه ، والنظر اليه كما عرفنا يعطي اشعاعات اليقين ويعطي اشعاعات الايمان والدليل على ذلك أن من رآه ﷺ كان صحابيا ومعنى ذلك أن للرؤية الذاتية تأثيرا في كيان المؤمن برسول الله ﷺ ، وكون الواصفين له يدققون الوصف له في أدق الأشياء يدل على أنهم لم يفهم شيء من صفاته ﷺ ، وان اختلف الواصفون في شيء فانما هو اختلاف اللقطات أو اختلاف التعبير عن اللقطات ، فان مثلا آلات التصوير حينما تصور انسانا فعلى قدر جودة الآلة وعلى قدر قدرة ومهارة من يستعمل هذه الآلة تخرج الصورة طبق الأصل ، ولكنهم في الجملة يلتقون على أشياء ، هذه الأشياء تميزه ﷺ ببنية كاملة متكاملة بحيث يكون للقلب منه غذاء وللعين منه غذاء وللأذن منه غذاء ، بمعنى أن ادراكات المؤمن كلها يكون لها غذاء منه ﷺ .

ونحن اذا نظرنا الى جملة ما وصف به ﷺ نجد الجامع لذلك هو رواية سيدنا الحسن ابن علي عن خاله هند بن أبي هالة ، قال الحسن :

(سألت نخالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله ﷺ) والتعبير هنا بكلمة حلية رسول الله ﷺ ولم يقل عن صفة رسول الله ﷺ دليل على أنه يلحظ أن كل وصف فيه حنو ، فكان وصفه كانت حلية في ذلك الكمال النبوي . (وأنا أبدو أن يصف لي منها شيئا . .)

لماذا؟ .. أتعلق به) يعني حين يتصور ذاته الشريفة تحدث له صورة في نفسه عن هذه الذات لينقلها الى المؤمنين به فتحدث لهم أيضا صورة نفسية عن هذه الذات . وولع النفس المحبة بالصورة المادية الشكلية لمن تحب أمر نعرفه عند الكتاب وعند الأدباء وعند الشعراء بل وعند النبوة أيضا . . . فان رسول الله ﷺ حينما عرج به الى السماء وتكلم عن سيدنا موسى وتكلم عن سيدنا عيسى وتكلم عن سيدنا ابراهيم ، سئل من أصحابه : ما كان شكل ابراهيم ؟ . . ما كانت صفة موسى ؟ . . ما كان شكل عيسى ؟ . . فيقول ﷺ : « أما موسى فرجل آدم طوال كأنه من رجال أزد شنوءة » أعطى وصفا مقربا لسيدنا موسى بالأدمة في لونه وبهذا الطول . . وحينما يتكلم عن سيدنا عيسى يقول : « كثير خيلان الوجه » ومعنى كثير خيلان الوجه في عرفنا الحسنات التي نقول عنها : فلان في وجهه حسنة ، أي في وجهه حالات كثيرة « يقتر وجهه » يعني مندى دائها رطب (كأنه يخرج من ديماس) أي كأنك حين تراه تراه خارجا من حمام وما يتبع ذلك من كثرة العرق المنصب منه . وبعد ذلك يقول عنه عليه السلام : « أشبه أصحابكم به هروة بن مسعود الثقفي » فكان من يريد أن يتخيل صورة عيسى عليه السلام فعليه أن ينظر الى عروة .

وبعد ذلك يقول عن سيدنا ابراهيم : « أما ابراهيم فأشبه الناس به صاحبكم هذا : يعني ذاته الشريفة .

ورسول الله ﷺ لم يقل ذلك الا لأنه يعلم أن النفس المحبة تشتاق على أن تأخذ فكرة ولو جمالية عمن تحب . . حتى اذا ما تصور المعاني تصورها في مجنب يمكن للعين أن تستوضحه ويمكن للنفس البشرية أن تأنس بذلك القالب ، . . . فهو حين يسأل الحسن خاله هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله ﷺ يريد أن يعطي نفسه ذلك الزاد التصوري ، ويريد أن ينقل لنا ذلك الزاد التصوري ، والا فمن منا يتخيل كيف كان شكل رسول الله ﷺ ؟ . . كيف كان طوله ؟ . . كيف كان لونه ؟ . . كيف كان شعره ؟ . . كيف كانت مشيته ؟ . . كل ذلك أمر شغل الناس جميعا ، فلولم تأت هذه المسألة في سيرته ﷺ لكان ذلك هو العجب . . ولكن بمبيئها يمثل أنه أعطى شيئا تتطلبه النفس البشرية ، فماذا قال هند بن أبي هالة في حلية رسول الله ﷺ ؟ قال :

« كان رسول الله ﷺ فخما مفخما » ومعنى فخما مفخما أن العين لا تتقحمه ساعة ينظر إليه الانسان يعد له فخامة . . يجدل له عظمة . . يجدل له هيبة . . اذن لا تتقحمه العين يعني يعطى شيئا من الجلال وشيئا من المهابة وهذا أمر يتطلبه موضعه من رسالة الله في الأرض . . فخما مفخما . . ثم ينتقل الى وجهه ليعطينا الصورة . . والوجه هو السمة الاصلية في تشخيصات الأشخاص ، فيقول : « يتلأأ وجهه تلالأ القمر ليلة البدر » وبعد ذلك يعطينا الفكرة عن قوامه ﷺ فيقول : « هو أطول من المربع وأقصر من المشدئ » والمربع الذي كما نقول في عرفنا : أنه مربع ، يعني : طوله أقرب من عرضه . . والمشدئ هو الطويل البائن في نحافة . . تخيل الصورتين : الطويل البائن الطول في نحافة والرجل المربع الذي يكاد طوله يقرب من عرضه . . الصورة اذن ليست الصورة الكمالية التي توجد للطول . . هو أطول من المربع وأقصر من المشدئ . . يعني بين بين . . يعني هو في أوسط القوام . . وبعد ذلك يقول (عظيم الهامة) ومعنى عظيم الهامة أن رأسه وما يحملها من رقبة ساعة تراها ترى عظمة تستميل وتستلفت النظر . . وبعد ذلك يقول عنه (وكان رجل الشعر) ، والرجل من الشعر هو الذي بين الجمودة والسبوة يعني (بعرفنا) ليس بالشعر الناعم أو الشعر المجعد يعني أنه شعر متموج . . (اذا انفردت عقيقته . فرق والا فلا ، يتجاوز شعره شحمة أذنيه اذا هو وفره) ومعنى اذا هو وفره ان ذلك لم يكن حالة رسول الله ﷺ دائما . . فلأنه كان مثلا في النسك يحلقها بالموسى . . اذن فحين يأتي أمر نسكي يتطلب منه ﷺ أن يحلقه . . يحلقه . . بالدليل القوي (اذا هو وفره) . . وكأنه كان يوفره مرة ولا يوفره مرة أخرى . . وبعد ذلك ينتقل من موضوع شعره فيتكلم عن شيء آخر . . يتكلم عن لحيته يقول : (كان كث اللحية)

وبعد ذلك ينتقل الى عينيه فيقول (ادعج) والادعج هو من كان سواد عينيه شديدا . . وبعد ذلك ينتقل الى شيء آخر فيقول (كان ضليح الغم) أي متسع . . وهذا أمر تحمده العرب . . وخصوصا فيمن كانت رسالته البيان ولذلك يقولون : مفوه . . أي يتكلم بالكلام ، وفمه ليس ضيقا بحيث يحجز الصوت حجزا يجعله أشبه بالصفير ولكن الصوت يأتي من كل جوانب فمه وذلك ادعى الى أن يأخذ الصوت كل الأنغام التي تؤثر في

السامع ، . . وبعد ذلك يقول (معتدل البدن متماسكا) ومعنى متماسك أن سمته ومعنى الشنب في لغة العرب أن أسنانه رقيقة دقيقة . . فيها مائة تعطى بريقا . . وبعد ذلك يقول (مفلج الأسنان) مفلج الأسنان يعني فيه فضاء بين أسنانه وذلك ادعى الى طيب الفم لأن بقايا الطعام لا تتخلل الفضاء بين أسنانه فتتلفن ، . . وبعد ذلك يقول (معتدل البدن متماسكا) ومعنى متماسك أن سمته ليست مرهلة أو كما نقول مضمر ، أي إن كان فيه شيء من السمنة فليس من السمنة المستقلة . . وبعد ذلك ينتقل نقلة أخرى فيقول : (وكان ﷺ ضخم الكراديس) وهي رؤوس العظام ومعنى ضخم الكراديس أنه منبسط يعني ليس كالأحذب أو المتجمع أو المنقبض بل هو مفروود القوام . . وبعد ذلك يتكلم عنه ﷺ فيقول : (وكان ﷺ أشعر الذراعين) أي ذراعه به شعر (والمنكبين وأعلى الصدر ، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالفرط) يعني أنه دقيق . . شعرة متواترة وراء شعرة . . فانظروا الى هذه الدقة التي استوعبت حلته ﷺ . . وبعد ذلك يقول : (لخصون الأخصين) أي أن وسط قدمه بالداخل لا يلتصق بالأرض ، وهذا عيب خصوصا فيمن يطلب منهم أن يكونوا عدائين أو جرائين أو . . الخ وهو ما يسمى (فلات فوت) ومع ذلك كان يقول : (وكان مسيح القدمين) يعني أنه لا توجد تجاعيد في بشرته . . فاذا صببت عليها الماء لا يحتجز منه شيء بل يسيل عنها الماء ويندحرج عليها كأنها من البلون . . وبعد ذلك ينتقل الى وصف آخر فيقول : (كان ﷺ شسن الكفين والقدمين) ومعنى ذلك كما نقول في عرفنا : غير ظاهر العروق . . (وكان سائل الأطراف) يعني أصابعه فيها شيء من الطول والاسترسال . .

وحيثما يتكلم بعد ذلك عن رسول الله ﷺ ينتقل الى شيء آخر فيقول « وكان دائما خافض الطرف » وخافض الطرف يعني مغمضا بعص الشيء . . (نظره الى الأرض أطول من نظره الى السماء ، جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام) ومعنى يسوق أصحابه أنه حينما كان يمشي دائما يكون أصحابه أمامه ويكون هو ﷺ خلفهم . . ولما سئل عن ذلك مرة قال : « خلوا ظهري لملائكة رب » . . ويبدأ من لقيه بالسلام . . وذلك شأن المتلطف . . كل هذه الصفات . . الصفات الخلقية تعطيا أن رسول الله ﷺ استوقف أنظار هؤلاء حتى استوعبوا هذا الاستيعاب لينقلوها البناء لتعلمنا شيئا من راحة النفس حين نتصور كيف كان رسول الله ﷺ .

منطقه صلى الله عليه وسلم

الرسول ﷺ أسوة . . وأسوة إنما تأتي فيما يمكنه أن يصنعه المتأسي بالمتأسي به . . صفاته ﷺ الخلقية لا مجال لأحد أن يقول : أتأسي بها لأنها هبة الله سر للأنسان . . إذن الصفات الخلقية التي تكلم عنها الحديث إنما كانت مدخلا ليعطينا الصورة عن الأشياء الأخرى حتى تقع التصورات المعنوية التي يمكن أن أحمل سلوكي عليها على شيء موضح في الذهن يستطيع الإنسان أن يجعل هذه الخلال قائمة به . . إذن فالصفة الخلقية لا تصل لنا بالأسوة فيها أبداً لأن هذه هبة الله . . ولا نقدر أن نقول لرجل : تأس برسول الله أن تكون طويلاً . . أو تأس برسول الله أن تكون قصيراً . . أو . . الخ . ولكن الأسوة الحقيقية هي فيما يصدر عن هذه الذات الكاملة من الصفات الخلقية التي يمكن أن يكون للأسوة فيها مجال . . ولأن رسول الله ﷺ مهمته عن ربه البيان . . لقد كان أول شيء انتقل إليه الحسن في سؤاله خاله هند بن أبي هالة قال : صف لي منطقته . . فأعطانا هند صورة عن منطقته فقال :

(كان ﷺ متواصلاً بالأحزان) أي أنه كان يحزن للمهمة التي كان يقوم بها . . وهذا الحزن هو ما يفسره الحق في قوله سبحانه ﴿ لا تحزن ﴾ ﴿ لعلك باخع نفسك على آثارهم ﴾ . . . حينها يجد انصرافاً عن الدعوة وهي دعوة متضحة في ذهنه وبفطرته ، ويتكويته يعجب أن هؤلاء لا يؤمنون بها . . فهو يحزن لهم ولا يحزن لأمر يتعلق به هو . . ولذلك يجب أن نلتفت جيداً إلى أن الحزن من رسول الله ﷺ إنما يؤخذ لو أن الحزن كان لأمر يتعلق بشيء ناله ، ولكن الحزن كان لأمر يتعلق بشيء ينال الآخرين . . وهذا يدل على حرصه ﷺ . . فاذا أنا حزنت مثلاً لأن ابني لا يطيع كلامي أو لأن ابني لا يلتفت إلى واجبه فهو لا يعتبر حزناً لأمر عائد عليّ وإنما هو حزن على من يحزن عليه . . لا على نفسه . . فقال له عنه (كان متواصلاً بالأحزان دائم الفكرة) دائم الفكرة لأن مهمته تستلزم

هذا .. كيف يقابل هؤلاء . . ؟ . . كيف يكون منهج الدعوة ؟ . . ماذا يصنع في اتباعه المضطهدين ؟ . . ماذا يصنع في القوم يتكالبون على الضعفاء ويريدون أن يفتنواهم عن دينهم ؟ . . وبعد ذلك يقول : (وكان طويل السكوت) . . ثم ينتقل الى كلامه ﷺ فيقول : (يفتح الكلام ويختمه بأشداقه) يعني - بعرفنا - لا يتكلم من طرف مناخيره . . فكلامه يملاً فمه حتى يأتي من هذا الشدق . . أي كما قلنا سابقاً (مفوه) . . وبعد ذلك قال : (يتكلم بجوامع الكلم) ومعنى جوامع الكلم : الكلمة الموجزة تحمل المعاني المطلوبة . . لماذا ؟ . . لأن عنده اعجاز وما دام عنده اعجاز اذن فيمكن أن يلم كثيراً من المعاني في اللفظ الموحى والمعبر . . . (يقول القول فصلاً لا فضول فيه) أي لا زيادة فيه عن المطلوب . . ولا تقصير فيه عن المطلوب . . وبعد ذلك يقول : (كان دمثاً) ومعنى دمثاً أنه كان ﷺ لين الخلق يأنس اليه من يلقاه . . ويأنس اليه من ينظر اليه . . ويأنس اليه من يتحدث اليه . . يقول : (لا يذم ذواقاً ولا يمدحه) أي لا يذم طعاماً قدم اليه ولا يمدحه . . لا يذمه لأنه نعمة . . ولماذا لا يمدحه ؟ . . لأن مدح أي ذواق ربما كان تعريضاً لأن الطعام الآخر الذي لم يمدحه مكروه فلا يذم ذواقاً ولا يمدحه . . (لا يقاوم غضبه اذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ، ولكنه كان لا يفضب لنفسه ولا يستفزه شيء) .

وبعد ذلك يتكلم عن لحركته الأدائية لحركة حين يتكلم فيقول : (اذا أشار أشار بيده كلها) يعني لا يشير بالاصبع كما اعتاد الكثير من الناس . . ولكن لماذا اذا أشار أشار بكفه كلها ؟ . . فكأنه ادخر المسبحة للتوحيد فقط . . لا يشير بها الا للتوحيد فقط . . فيشير بكفه كلها . . (واذا تعجب قلبها) أي اذا تعجب من أمر صار يقلب كفه . . (واذا تحدث اتصل بها) ومعنى اتصل بها أن يضرب بابهام اليمنى راحة اليسرى . . (واذا غضب أعرض وأشاح) ومعنى أنه اذا غضب أعرض وأشاح أنه رؤوف حتى في حالة غضبه . . لا يريد أن يرى من أغضبه شكله وهو غضبان . . (واذا فرح غرض طرفه جل ضحكته التبسم) أي لا يقهقه . . (ويفتر عن مثل حب الغمام) .

مدخله صلى الله عليه وسلم ومجلسه

لنستدل على دقة التوثيق في كل ما نقل . . ينتهي هنا كلام الحسن رضوان الله عليه . . ثم ينتقل الكلام الى أخيه الحسين ، قال الحسن في الحديث : (فكنتمها عن الحسين زمانا) أي كتبت هذه الأوصاف التي قالها هند للحسن عن أخيه الحسين . . . (ثم حدثته بها فوجدته قد سبقني اليه فسأل أباه عليا) وليس هند ، ولكن سأل عليا أباه . . وعلي هو من هو أداء وبيانا . . وحبا واستقبالا لصفات رسول الله ﷺ . . . فسألته عن مدخل رسول الله ﷺ ومخرجه ومجلسه وشكله وكل شيء يتعلق به . . فلم يدع من ذلك شيئا . الرواية هنا للحسين . قال الحسين : (سألت أبي عليا عن دخوله - ﷺ - فقال : كان دخوله - ﷺ - لنفسه مأذونا له في ذلك) يعني تميز رسول الله ﷺ في أنه كان إذا دخل على قوم لا يستأذن . لماذا ؟ . . لأن عنده الاشراقيات . . وعنده النور الذي يعرف أنه لا يدخل على انسان وهو في حال لا يجب أن يراه عليه رسول الله ﷺ . . وما دام هذا الأمر ، ما هو معنى الاستئذان ؟ . . الاستئذان ألا اقتحم على أحد حجابيه . . لماذا ؟ . . لأنه ربما كان في وضع لا يجب أن يراه عليه . . ولكن رسول الله ﷺ باشراقيات يعرف أنه حين يدخل لا يكون من دخل عليه في حال يجب أن يستره عن رسول الله ﷺ ، ولأن رسول الله ﷺ أول بالمؤمنين من أنفسهم . . (وكان إذا أوى الى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء : جزءا لله) لأن هذا هو المعين الذي يتلقى منه الكماليات . . (وجزءا لأهله ، وجزءا لخاصة نفسه) فإذا ما نظرنا الى هذا الجزء الذي هو خاصة نفسه . . كان ماذا يصنع فيه ؟ . . (جزءا - أي الخاص بنفسه - بينه وبين أمته فيرد ذلك على العامة بالخاصة) يعني الخاصة الذين يفهمون اليه ، يقول لهم هذا في هذا الجزء من خاصة نفسه ما ينقلونه الى العامة . . لأنه ليس من المعقول أن عامة المسلمين كلهم يذهبون الى بيت رسول الله ﷺ : والمكان الضيق الذي به الرسول ﷺ ، فكان يرد ذلك على العامة والخاصة . . (وكان من سيرته في جزء الأمة ايثار أهل الفضل بأذنه) أي يأذن لهم بالدخول عليه . . (وقسمتهم الوقت) كان كل واحد لمقامه من رسول الله ﷺ تقدما أو اعطاء وقت زائد على قدر فضلهم

في الدين (فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج) اذن فكان رسول الله ﷺ يجعل مقاييس الإذن وطول المدة معه أو طول الحديث معه يتحكم فيه منزلة الرجل من الدين ، وما دام التحكم المنزلة من الدين ، فهذا يعطينا دستوراً للحاكمين أن يكون المقياس مقياساً دينياً . . وليس مقياس النفاق والغش . . فعل مقدار حفظه من دين الله بأخذه اذن رسول الله ﷺ وبأخذ قسمته . . (منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج ثم بعد ذلك يتشاهل بهم) يعني لا يكونون معه ثم يسرح بعيداً عنهم . . بل هم يتشاهلون به ويشغلهم فيها يصلحهم والأمة من مسألته عنهم . . يعني حين يدخل يسأل الانسان عن حال نفسه ، وهذه عملية نفسية . . لماذا ؟ . . لأن هذا الانسان القادم اليك اذا كان عنده شيء من مشاغله الخاصة يشغله لا يحسن استقبال ما تقول . . ورسول الله ﷺ يريدكم أدوات استقبال . . الفرصة التي يجتمعون معها فيها ينقلون الى الناس شيئاً ، فاذا ما كانت هناك أمور تشغله في خاصة نفسه ربما شغلته هذه الأمور . . أو ربما أخذت هذه كل فكرة يجب أن يستوعبها عن رسول الله ﷺ من مسألته عنه واخبارهم بالذي ينبغي لهم . . ثم بعد ذلك ثمن الاذن عليه وثمرن القسمة الزمنية التي يعطيها بطلب منهم أن يؤدوا مطلوبات هذه القسمة وهذا الاذن فيقول : (ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، وأبلغوا في حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته) وهذا يعطينا الدرس على أن الذين تكون لهم أسباب الى السلطان أو أسباب الى الحاكم أو أسباب الى الوالي يجب أن يكونوا رسل خير . . وسفارة للذين لا يستطيعون ان يقتربوا من مكانه وأن يأتوا الى حضرته ليسمعوا عنه . . ليبلغ الشاهد منكم الغائب وأبلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغه حاجته . . ثم يعمم الحكم فيقول : (فانه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع ابلاغه ثبت الله قدميه يوم القيامة) معنى ذلك أنه يعطي الأسوة الطلوبة في أن يكون الذين يحظون بأذان الحاكمين أو يحظون بمجالس الحاكمين أن يكونوا وسائل خير عندهم لمن لم يستطع أن يصل الى ذلك المكان . . والضمن أن يثبت الله قدميه يوم القيامة . . قال في رواية سفيان بن وكيع (يدخلون رواداً) ومعنى يدخلون رواداً أي لا يتطلبون الدخول لقصد الدخول وإنما يتطلبون الدخول لكي يكونوا رواداً يحملون الخير الى الناس . . . (ولا يفرقون الا عن ذواق ويخرجون أدلة) يعني فقهاء كل واحد منهم يستطيع أن ينقل ما سمعه من رسول الله ﷺ ، وأن يقول ما فقهه عنه وبذلك تنتشر دعوته ﷺ عند من لم يحضر مجلسه بواسطة من حضر هذه المجالس .

مخرجه صلى الله عليه وسلم

قال الحسين : فسأله عن خروجه ﷺ كيف كان يصنع فيه ، فقال : « كان ﷺ يخرن لسانه الا مما يعينهم ويؤلفهم ولا يفرقهم » ومعنى يخرن لسانه أنه لا يهزل في كلامه . . لا يتكلم الا في الموضوع الذي يعلم أنه يؤلف القوم ويعني هؤلاء القوم . . (وكان يكرم كريم كل قوم ويؤليه عليهم) يكرم كريم كل قوم لأن ما معنى كريم كل قوم ؟ . . هو الذي يجد عنده القوم راحتهم في ذوات نفوسهم . . في ذوات أيديهم الضيقة . . وما دام انسان خصاله الكريمة متعمدية الى الغير ، وما عنده من خير الله متعد الى الغير فمثل هذا يؤتمن أن يكون واليا على هؤلاء لأنه اذا كان قد تعدى منه الخير وهو غير ظالم فهذا يطمئن على أنه ان ولي الامر فلن يأخذ شيئا لنفسه . . فانه يكرم كريم كل قوم لأنه يستحق أن يكرم . . وبعد ذلك يؤليه عليهم . . وبعد ذلك قال : (يحذر الناس من غير أن يطوي عن أحد بشره وخلقه) يعني فطن . . يعرف حين يتكلم انسان أن يزنه بالميزان الاحتراسي . . بالميزان الحسني . . لأن الرسول ﷺ كان عرضة لأن يدخل عليه المنافقون . . كان عرضة لأن يدخل عليه من يدس عليه ، فكان ﷺ يحذر الناس لكن هذا الحذر لا يتعدى الى انفعاله على الغير . . (من أن يطوي عن أحد بشره وخلقه ، يتفقد أصحابه) ومعنى يتفقد أصحابه أنه اذا غاب واحد سأل عنه . . أين فلان ؟ ولماذا ؟ . . مريض . . في حاجة . . في أي شيء . . هذه تدل على حسن رعايته لأصحابه . . واذا ما نظرنا الى مجرد سؤال القائد أو صاحب الجاه عن انسان تردد عليه ثم انقطع . . وهذا يعطيه معنوية في ذاته . . يعطيه أنه المذكور . . يعطيه أنه غير منسي . . يعطيه أنه اذا غاب افتقد . . هذا كله لصالح أمر الدعوة . . (يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس) لأنه ربما كان انسان عنده حياء لا يستطيع ان ينقل الى رسول الله ﷺ ذات نفسه أو ظروفه الخاصة فيسأل فلانا عن حال فلان . . ربما أنه كان يستحي أن يقول لرسول الله ﷺ شيئا . . (يحسن الحسن ويصوبه ، ويتبع القبيح ويوهنه ، معتدل الأمر غير مختلف ، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو

يميلوا) لا يغفل عن شيء مخافة أن تكون فيه أسوة بالغفلة ، وهذا يعطينا قاعدة أن الوالد أو الذي يتولى صدارة شيء لا بد أن يحاسب نفسه قبل أن يطلب حساب الغير . . . لماذا ؟ . . .
لأنه إذا غفل من له الولاية على الأمر في شيء فالتابع يكون في شيئين وتابع التابع في ثلاثة وتابع تابع التابع في أربعة . . . إذن فالعصمة تأتي هنا من أن يكون من بيده الأمر الأعلى لا يغفل عن شيء حتى لا يستغله من هو دونه ليفعل فعله . . . وإذا ما نظرنا إلى الفساد الموجود في أي إدارة أو أي جهة هي أن المرؤ وسين أو المتبوعين يهربون على الرئيس الأعلى شيئا من النقص أو شيئا من التهاون أو عدم الدقة والاحتياط في الأمور . . . ومعنى ذلك يكونون هم كما يجبون . . . ومن هنا ينشأ الفساد . . . فلا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا . . . (لكل حال عنده هتاد) أي لكل حال من الأحوال عنده قوة وميزان يعطي الحال على قدر حجمه . . . (لا يتجاوز الحق ولا يقصر عنه ، الذين يلونه من الناس خيارهم) يلونه من الناس أي في مجلسه . . . (وأفضلهم عنده أهمهم نصيحة) يعني إذا جلس معه ينصحه ويقول لهذا كذا ولهذا كذا وليس لمن يغشه . . . لكن إذا نظرنا في مقاييس الحكم الفاضل أو الإدارات الفاسدة نجد أن الذين يلون الناس من الناس هم الذين ينافقونهم . . . هم الذين يحسنون لهم القبيح . . . هم الذين يقبحون لهم الحسن . . . هم الذين ينقلون إلى أذن الحاكم أو الوالي أشياء غير واقعة لكي تخدم أغراضا عندهم . . . ولكنه ﷺ كان الذين يلونه من الناس خيارهم وأفضلهم عنده أهمهم نصيحة . . . ويعني أهمهم نصيحة هو الذي ينصح في كل أمر يرى فيه وجهة الخير لصالح منهج الدعوة .

وبعد ذلك يتكلم سيدنا الحسين رضي الله عنه عن شيء آخر يتعلق برسول الله ﷺ . . . ويستهل هذا الحديث أن سيدنا رسول الله ﷺ يجلس ولا يقوم إلا على ذكر . . . لأن معنى لا يجلس ولا يقوم أي لا ينتقل من حال إلى حال . . . أي بداية ونهاية . . . معنى يجلس أنه كان قائما ومعنى يقوم أنه كان جالسا . . . إذن الرسول ﷺ بين قائم وجالس . . . فإذا كان ﷺ لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر يعني أنه حين يكون في أمر آخر يذكر الحق سبحانه وتعالى . . . ومعنى يذكر الحق : أن يكون الذي صرفه عن القيام إلى الجلوس أمر يتعلق بالله سبحانه وتعالى . . . والذي صرفه عن الجلوس إلى القيام أمر يتعلق بالله سبحانه وتعالى . . . وما دام الله على ذكره حين يجلس إذن كل أموره دائما على ذكر من الحق سبحانه وتعالى . . .

وبعد ذلك حينما يتكلم عن المجلس يقول : « لا يوطن الأماكن وينهي عن ايطانها » يعني ليس لأحد مكان مخصوص .. بحيث إذا أتى لا بد أن يجلس فيها .. (فكان إذا انتهى الى قوم جلس ﷺ حيث ينتهي به المجلس) فإذا كان الرسول ﷺ إذا ذهب الى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس .. يكون قدوة لكي لا يكون لأحد مكان خاص .. بحيث يحفظ له .. ان كان غائبا .. أو يقوم غيره عنه إن أقبل عليه .. (يعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب أحد أن أحدا أكرم عليه منه) تلك هي عدالة الرعاية .. لا ينصرف بحديثه ولا بعينه ولا بأذنه الى واحد دون الآخر .. بل يوزع هذه الحظوة على الجميع بالتسوية .. لماذا ؟ .. لأنه إذا ما اتجه الى انسان ولم يتجه الى آخر .. هذا الانسان ربما أخذ منزلة والرسول ﷺ معصوم .. وحينما يكون هو أسوة فهو يعلمنا أن الحاكم لا يصح له أن يوزع عنايته ورعايته على واحد خاص .. بل يجب عليه ما دام أعلن لأن يدخلوا عليه مجلسه وأن يجلسوا عنده ، فعليه أن يوزع نظره .. ويوزع أذنه .. ويوزع تحيته .. ويوزع كلامه ان تكلم على الجميع .. حتى لا يعرف أحد أن فلانا خير منه عند رسول الله ﷺ ، لأن المقاييس كلها قلنا هي المقاييس الايمانية .. (أفضلهم عنده أعمهم نصيحة وأشدهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة)

وأیضا فان الحسين رضي الله عنه حينما تكلم عن الرسول ﷺ في هذه المسألة زاد أمر آخر بعدما قال : (من جالسه أو قاومه لحاجته) يعني أخذ رسول الله ﷺ وجلس معه ليتكلم معه في حاجة أو قاومه أي أخذ وهو قائم .. (صابره حتى يكون هو المنتصر عنه) إذن الإذن لمن ؟ .. الإذن ليس له .. انتهاء المقاومة ليس له .. انهاء الوقت ليس له .. وإنما هو لمن يجالسه أو لمن يقاومه .. (ومن سأله حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول .. قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء .. مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة .. لا ترفع عنده الأصوات ولا تقبل فيه الحلم ولا تنسى فلتاته) هب أن واحدا قال كلمة أو فلتة صارت منه .. لا ينقل من مجلس رسول الله ﷺ الى غيره وكأنها لم تحدث أبدا وكأنها حذفت .

أدبه صلى الله عليه وسلم مع جلسائه

يقول الحسين أيضا في روايته عن أبيه ان رسول الله ﷺ (كان دائم البشر . . لين الجانب . . سهل الخلق) وهذه هي الصفات العامة . . وبعد ذلك قال : « يتغافل عما يشتهي » يعني إن حدث شيء أمامه وهو لا يشتهي يتغافل عنه وكأنه لم يره . . لأنه ﷺ يقدر نوازع النفس البشرية . . فلا يجب أن يخجل صاحب الشيء بأنه رأى منه . . (يتغافل عما لا يشتهي ولا يقيس منه . قد ترك نفسه من ثلاث : من الرياء ومن الاكثار ومما لا يعنيه . . وترك الناس من ثلاث : لا يضر أحدا ولا يعيره ولا يطلب عورته . . لا يتكلم ﷺ الا فيما يرجو ثوابه) يعني لا فضول عنده . . ان كان في هذه الكلمة ثواب تكلم بها . . واذا تكلم أطرق جلساؤه كأن على رؤوسهم الطير) ومعنى على رؤوسهم الطير كناية عن أنه اذا كان فيه جماعة فكل واحد منهم يخاف أن يحرك رأسه مخافة أن يطير الطير . . (فاذا سكت تكلموا) هذا أدبهم مع حديثه ﷺ . . ويتكلم بعد ذلك عن أدبهم عند حديث أخوانهم فيقول : « حديثهم حديث أولهم » يعني بالدور . . ولا أحد يقاطع لتكلم . . (فاذا تكلم عندهم انسان لا يقطعون عليه كلامه حتى يفرغ فاذا فرغ تكلموا) وبعد ذلك لا يتعالى عليهم رسول الله ﷺ ويبين لهم مكانته العظيمة . . (يعجب مما يعجبون منه . . ويضحك مما يضحكون منه . . ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق) يعني واحد لا يعرف قدره ﷺ وبعد ذلك اشتد في منطقه كان يتطلف معه ويصبر عليه حتى أن بعض أصحابه كانت أمثال هذه المسائل قد تغيطهم وقد تهيجهم ليقوموا فيقتلوه . . ولذلك لما جاء الرجل الى النبي ﷺ وطلب من رسول الله ﷺ شيئا فأعطاء الرسول ﷺ ما عنده . . قال له : يا أخا العرب أحسنت اليك ؟ فقال : لا أحسنت ولا أجملت . . واحد يقول لرسول الله ﷺ : لا أحسنت ولا أجملت . . ماذا يكون موقف صحابة رسول الله ﷺ : دعوه . . ثم أخذه بيده ودخل البيت وزاده خيرا مما عنده في بيته . . ثم قال : يا أخا العرب أحسنت ؟ . . قال : أحسنت وأجملت . . فبورك فيك من أهل وعشيرة . . فقال ﷺ له :

اذا نحن خرجنا الى اصحابي فقل عندهم ما قلته حتى ترضي خواطرهم . . فلما خرجوا
 قال : لقد قال اخي كذا وكذا وكذا . . فقال الرجل : نعم . . فلما هداوا . . قال لهم
 رسول الله ﷺ : « انما مثلي ومثل هذا كمثل رجل له ناقة شردت منه فتبعها اصحابه فزادوها
 نفورا . . فقال الرجل للقوم : يا قوم دعوني وناقتي فانا اعلم بامرها . . فسكتوا . . ثم
 اخذ يجمع شيئا من الأرض ويمدها الى الناقة . . فجاءت الناقة لتأخذ ما في يده حتى اناخها
 وامتطاهما . . فمثلي ومثل هذا كمثل الرجل وناقته ، ولو أنكم قمتم فقتلتموه أو صنعتم لي
 معه شيئا لدخلتم النار . . هذا هو موقفه ﷺ من أنه يصبر للغريب على الجفوة في
 المنطق . . وبعد ذلك يقول الحسين رضي الله عنه : « وكان لا يقبل الثناء الا من مكافء »
 يعني الذين يتطوعون بالمديح لا يقبل منهم . . أيما كلمة ثناء فقال ردا على « وقف :
 » جويزيت خيرا » لأنه صنع كذا وتقبله . . (لا يقبل التطوع بالثناء ويقبله من مكافء)
 يعني من مكافء على جميل قدمه رسول الله ﷺ . . وبعد ذلك يقول : « وكان لا يقطع على
 أحد حديثه حتى يجوزه هو فيقطعه بانتهاء أو بقيام » وهنا انتهى الحديث . . الا أن حديث
 وكيع بن أبي سفيان زاد شيئا . . إنه سأل عن سكوته ﷺ فقال : « جمع له ﷺ السكوت في
 أربع : في الحلم والحذر والتقدير والتفكير » أما التقدير - كما قلنا سابقا - في تسويته النظر
 والاستماع بين جلسائه . . وأما التفكير ففيا يقي وفيما يفنى . . (وجمع الحلم في الصبر -
 فكانه لا يغضبه شيء يستفزه لذاته - وجمع له في الحذر أربع : أخذه بالحسن ليقتدى به ،
 وتركه القبيح ليبتئى عنه ، واجتهاد الرأي في اصلاح الأمة ، والقيام لأمته بما جمع لهم من
 أمر الدنيا والآخرة) صلى الله وسلم عليه وعلى آله .

المعجزات النبوية

للسنة النبوية معجزات أفردت بالتأليف تحت عنوان (أعلام النبوة) وهي تخبر بأشياء مستقبلية ، ليس للمخبر دخل في وقوعها ، حتى لا يعتبر الوقوع منه افتعال لتصديقه فيها يقال .

والمعجزة ليست مهمة لمن نقلت اليه ، ولكن لمن شاهدها ، لأن الله أجراها على يدي رسول الله ﷺ ، ليثبت بها ايمان من عاصره ، حتى يقوى على تحمل تبعات أولية الايمان في عالم الكفر .

فتفجر الماء من بين أصابعه ﷺ مثلا ، واشباع العدد الكثير بالقليل من الطعام ، كل ذلك مقصود به من شاهد هذه الوقائع . أما من لم يشهدها ، فان اتسع ظنه لحصول ذلك على يديه ﷺ فيها ونعمت ، ومن لم يتسع ظنه لذلك - بسبب ما قد يراه خللا في الأسانيد - فحسبه معجزة القرآن الباقية الخالدة ..

والذي يعطينا اليقين في اعجازات النبوة ، هو ما صدر عن رسول الله ﷺ من قول أكده مستقبل الزمن الآتي بعد القول .

فمثلا حين يخط الرسول ﷺ يوم بدر على الأرض مكان مصرع كل واحد من صناديد الكفار ، ثم تدور المعركة ، فليس لمحمد ﷺ ولا لأتباعه قوة تستطيع أن توجد المقتول في المكان الذي رسمه ﷺ ، لأن المعركة كر وفر بدون اعداد سابق ثم يحدث وأن تأتي مصارع القوم في أماكنها التي حددها الرسول ﷺ !

ولنتناول بتفصيل أكثر قصة سرية مؤتة ، حينها أخبر ﷺ بتتابع الثلاثة : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة ، وقال : ان قتل زيد فالأمير جعفر فان قتل ، فعبد الله بن رواحة . فان قتل ، فليرتض المسلمون رجلا من بينهم .

والذي يعنينا في هذه الغزوة ، ما أخبر ﷺ - وهو بالمدينة - حين نادى في الناس : الصلاة جامعة ، ثم صعد المنبر وعيناه تذرفان ، وقال : أيها الناس ، أخبركم عن جيشكم هذا الغازي ، انهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيدا ، فاستغفروا له . . ثم أخذ الراية جمعفر فشد على القوم حتى قتل شهيدا ، فاستغفروا له . . ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة وأثبت قدميه حتى قتل شهيدا فاستغفروا له ، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد . .

كل ذلك ولم يكن أحد قد عاد من الغزوة ، والا لوجد المشركون - في رد هذه المعجزة - دليلا على أنه أخبر بعد أن أبلغ من بشر ، ولما قدم يعلى بن أمية رضي الله عنه على النبي ﷺ وهو أول وافد بخبر الجيش . . قال له النبي ﷺ : ان شئت فأخبرني . وان شئت أخبرتك . قال : فأخبرني يا رسول الله لأزداد يقينا . فأخبره رسول الله ﷺ الخبر كله ، ووصف له ما كان . فقال : والذي بعثك بالحق ، ما تركت من حديثهم حرفا واحدا . وان أمرهم لكما ذكرت .

من اعلامات النبوة أيضا : قوله ﷺ لجابر بن عبد الله (جذ . . واقض) وذلك أن جابر قد اقترض مالا من يهودي ، وكان ميعاده حين جني ثمر البلح ولكن نخل جابر لم يثمر في هذا العام ، فقال صحابة رسول الله ﷺ : يا رسول الله سل اليهودي أن ينظر جابرا لأن نخله خاس هذا العام - يعني لم يثمر - فطلب رسول الله ﷺ من اليهودي أن ينظر جابرا . فقال : لا يا أبا القاسم . .

فذهب الرسول ﷺ الى نخل جابر وسار خلاله وذلك في قصة طويلة ، ثم قال : يا جابر (جذ . . واقض) ، أي إجن الثمار وهدد ما عليك .

فذهب جابر فجد وقضى . . ورجع الى رسول الله ﷺ فرحا مستبشرا ، وأخبره بما كان . فقال الرسول ﷺ : إشهد أي رسول الله .

فقوله جذ واقض ثقة منه في أن الله لن يخذله فيما أنطقه به ، والا لما جازف رسول الله ﷺ بين أصحابه بكلمة قد لا يصدقها الواقع . .

ومن أعلامه ﷺ ، ما حدث في غزوة الحديبية ، حين انتهى أمر المفاوضات الى أن يتفاوض عمرو بن سهيل عن قريش مع الرسول ﷺ . . وحين كتابة العهد ، قال ﷺ لمن

يكتب : أكتب هذا ما تعاهدنا عليه : محمد رسول الله قال عمرو : لو كنا نشهد أنك رسول الله ما وقفنا منك هذا الموقف . فأصر عمرو إلا توجد هذه الصفة وأصر علي بن أبي طالب - وهو الكاتب - أن يكتبها حينئذ . قال رسول الله ﷺ لعلي : أكتب ما يجب . أكتب عبد الله . فلم يقبل علي ، فقال له الرسول ﷺ ستسام مثلها ، أي ستعرض لمثل هذا الموقف ، فتقبل . ثم توفي الرسول ﷺ ، وانتهى أمر الخلافة لعلي . وكان ما كان بينه وبين معاوية بن أبي سفيان في يوم صفين . فلما أرادوا أن يكتبوا عهدا ، قال علي لمن يكتب : أكتب هذا ما تعاهد عليه ابن أبي طالب أمير المؤمنين ، فقيل له : لو صدقنا أنك أمير المؤمنين ، ما حدث بيننا وبينك هذا ولكن انزعها من العهد . فنزعها ..

وذلك مصداق لكلام الرسول ﷺ لأنه لا ينطق عن الهوى .

شبهات أثارها المستشرقون والرد عليها

أثار بعض المستشرقين أباطيل بهدف التشكيك في الرسالة النبوية الشريفة ، ومن هذه الأباطيل :

١ - ما أثاروه عن صلته ﷺ بزوجاته وقد رأى بعضهم أن فيها نوعا من الخروج على مألوف الناس أو نوعا من الاستمتاع والانشغال بهذه المتعة عما في الحياة الروحية التي قامت دعوته على أساسها ، كذلك علاقاته بزوجاته .

٢ - بعض الآيات التي عاتب فيها الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ هل هذه تنتقص من الكمال النبوي وكمال المصطفى ﷺ ؟ ..

٣ - قوله : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ وقوله : ﴿ ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول ﴾ والرسول اليوم ليس معنا .. فكيف يستغفر ؟ .. وهل معنى ذلك أنه لا مجال للاستغفار ؟ ..

شبهة تعدد الزوجات

ما يقوله المستشرقون ويروجونه وقتنتهم بالاستشراق دليل على رقة الدين عندهم . . هم يريدون أن يجدوا لأنفسهم شيئا مبررا ، هذه المسألة نبحت فيها مع مسلم لتثبيت اسلامه ومع غير المسلم . . لو كنا نريد أن نبحت مع غير المسلم فانا لا نبحت معه في جزئيات تتعلق بالرسول لأنه هو مؤمن بأنه غير رسول . . وما دام هو مؤمن بأنه غير رسول فماذا يضيره أن يكون ذلك الرسول سلوكه كذا وكذا وكذا . . ولكن ليأتي معي نبحت في رسالته أولا فان اقتنع بأنه رسول فبعد ذلك لنا ميزان آخر . . لأن أنا آمنت بالرسول بواسطة المعجزة التي جاءت على يده فأصبح الرسول عندي هو الحكم في كل كمال . . لا أخذ تصرفا من الرسول ثم أنصب أنا ميزانا من موازين الكمال أضعه لأقيس تصرفات الرسول عليه لأقول هذا يليق وهذا لا يليق . . لأن الأصل أن يكون فعله هو الكمال وهو المقياس . . أما أن أضع أنا مقياس كمال وأقول : تعال يا محمد يا ابن عبد الله يا من بعثت رسولا لكي أقيس تصرفاتك على الميزان الذي أضعه . . فهذا لا يمكن أبدا . . اذن فالأصل ان الرسول ما دام ثبت عندي أنه رسول صادق في التبليغ عن الله ففعله هو الميزان . . وبعد ذلك نأتي : لماذا يتهرب الناس الذين يتكلمون في الزوجات من موقفهم من الله الى موقفهم من الرسول ؟ . . محمد ﷺ لم يتزوج وانما زوج . . اذن المفروض أن يصعد الخلاف في المسألة الى الله وليس لمحمد لأن الآية تقول : ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن﴾ فكان ربنا هو الذي يطلق لمحمد . . وهو الذي يزوجه . . وآية امرأة زيد بن حارثة ﴿فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها﴾ فمن الذي زوج ؟ . . الذي زوج هو الله . . اذن محمد منفعل . . وليس فاعلا للعملية . . فمن يريد أن يبحث . . عليه أن يصعد المسألة الى الله تعالى ويقول : لماذا فعل ربنا هكذا ؟ . . ثم الذين يبحثون هذا البحث نقول لهم : تعالوا ما دام أن المسألة احصائية . . هل الرسول وسع عليه أم ضيق ؟ . . صحيح أن النبي ﷺ كان جامعا لتسعة . . ومن كان جامعا لأكثر من أربعة من

أصحابه قال له : « امسك أربعا وفارق سائرهن » . . لكن هو لم يفعل هذا في نفسه . . لماذا ؟ . . كان يجب أن يسأل لماذا ؟ . . فيقول له : هؤلاء بخصوصهن مطلوبات . . بدليل أننا لو بحثنا لوجدنا الاباحة في المعدودات لا في العدد . . وهناك فرق أن يكون المباح المعدود والمباح العدد . . المباح المعدود . . يعني أن يكون عددهن تسعة بحيث اذا ماتت واحدة أو طلقها فعليه أن يأتي بواحدة غيرها . . هذا يكون لو أبيح له العدد . . وانما الذي أبيح له معدودات بحيث اذا نقصت واحدة فليس له أن يأتي مكانها واحدة . . وليس له أن يستبدل واحدة مكان أخرى « لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أهبجك حسنهن » . . اذن نتكلم عن المعدودات لا عن العدد ، بدليل أنه لم يكن هناك نسق عاطفي في كل هذا الزواج . . الرسول ﷺ في سن الخامسة والعشرين تزوج خديجة وكانت فوق الأربعين . . وبعد أن ماتت تزوج سودة بنت زمعة ، فما حظ سودة بنت زمعة من جمال يعجب رسول الله ﷺ ؟ . . لقد كان زواجا لأجل الخدمة فقط . . ثم تزوج عائشة وهي بنت تسع سنوات لدرجة أنها لم تدخل عليه الا بعد ثلاث سنين لكي تكون مهياة لبيت الزوجية . . مع أنه قيل إنه لم يدخل بها الا في سن الخامسة عشرة . . وبعد ذلك نجد أن أم سلمة صاحبة عيال . . والخامسة . . وغيرهن . . كل واحدة لها قصة . . اذن فالاستثناء هنا للمعدودات لا للعدد . . وكان يجب أن نخضع لهم لو أن ذلك عدد رسول الله ﷺ في الأزواج . . نقول : لا . . هذه معدودات رسول الله ﷺ في الأزواج وأيضا فان أي صحابي كان عنده أكثر من أربع امسك أربعا وفارق سائرهن . . المفارقة هذه ستجد لها من يتزوجها . . ولكن هؤلاء أمهات المؤمنين . . فاذا قلنا : يا رسول الله امسك أربعا وطلق خمسا فأين يذهبن ؟ . . وأمهات المؤمنين لا يحل لأحد أن يتزوج منهن . . اذن فهذه بخصوص هؤلاء . . وهناك أيضا نظرة عاطفية أخرى حيث نجد أن في نساء رسول الله ﷺ من كانت تهب قسمتها لعائشة . . امرأة تهب قسمتها لضرتها . . ما مدلول ذلك ؟ . . انها تفطن جيدا لماذا تزوجها رسول الله . . انه تزوجها ليعطيها نيشانا بأنها أم المؤمنين فقط . . وما دام ليعطيها نيشان أم المؤمنين فقط فهي مدركة أنها لا تغني الرجل في مثل هذه المسائل .

وبعد ذلك نأتي الى ما استنبطه المرحوم مصطفى صادق الرافعي في أن نساء النبي

كبشريات اجتمعن عنده لكي يسألنه النفقة عندما رأين عنده أشياء أخذها من بني قريظة وأموالا أخذها من اليهود فأردن أن يكون هذا المال سببا في رفع مستواهن . . فلما اجتمعن يسألنه النفقة أنزل الله تعالى قوله : ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتمكين وأسرحكن سراحا جميلا﴾ لو أن النسوة العاطفي موجود أو الاستمتاع موجود لأحضرلهن ما يتزين به ويرفهن وينعمن به . . ولكن قال لهن : ان هذه مسألة مقطوع منها ولا كلام فيها ﴿ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتمكين وأسرحكن سراحا جميلا﴾ . وبعد ذلك يعطي المنهج النبوي : ﴿وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أهد للمحسنات منكن أجرا عظيما﴾ . . وهذا لا يتفق مع الاستمتاع ، اذن فالمسألة هذه اذا كان يبحثها مسلم نقول له : لا تضع أنت أيها الأخ المؤمن برسول الله وصدق تبيغنه عن الله معيارا من معايير الكمال . . ثم تأتي الى رسول الله ﷺ لتقول تعالى لأعرض تصرفاتك على المعيار الذي أضعه . . والا بذلك نكون أحلنا ونقلنا المعيار من يد رسول الله ﷺ وتصرفه الى أتباعه . . هذا من ناحية المسألة الأولى . . أما عن قوله ﷺ « حبيب الي من دنياكم الطيب والنساء » حبيب أي لم أحب . . فهو لم يقل أحببت حتى ينصرف الأمر الى أن هذه من غريزته ، فحبيب الي كأنه أمر تكليفي عابه عليه من جعل الحب في قلبه . . وحبب الي من دنياكم يعني لست فاعلاً هذا الحب مثل (زوجناكها) تماما . . فكان رسول الله ﷺ لا يجب أن تأتي تصرفاته ونقول كان يصح كذا أو لا يصح كذا . . وانما الأصل أن نقول : فعل أو لم ينعل ؟ . . فعل . . فهذا عين الكمال . . وكوني لم أفهم هذا الكمال فهو موضوع آخر .

. * * *

شبهة العتاب

أما موضوع العتاب : فإن المستشرقين اتخذوها أرضية لكي ينشروا اعتراضاتهم التي يشككون بها في القرآن الكريم . . . مثلا يقولون : إن هناك آية في القرآن تقول عن الرسول : ﴿ ما ينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى ﴾ ما دام إنه لم ينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى . . . ساعة نطقه بما عدل الله له . . . فعن أي شيء نطق ؟ . . . ساعة نطق بالأمر الذي عدله الله له فيما بعد أو عتبه عليه . . . هم لا يفرقون بين النطق عن الهوى . . . والنطق بالوحي . . . أي أن رسول الله ﷺ لا يتكلم كلمة وعنده من الله وجه الحق فيها ثم هوام الشخصي يلفته عما عنده من الله . . . فلان ما ينطق عن الهوى : ليس معنى ذلك أن يسارف الحقيقة انما المهم عنده أنه لم تكن عنده الحقيقة متضحة قبل أن ينطق ثم عدل عن الحقيقة ليخدم هوى في نفسه . . . هذا معنى ما ينطق عن الهوى . . . هو عندما كان يجتهد الرأي لم يكن عنده حكم قاطع في المسألة من الله ثم زين له هوام أن يخالف . . . اذن ما ينطق عن الهوى . . . يعني نطق رسول الله ﷺ كان عما انقدح في نفسه من الحق . . . ولم يكن هناك حق معلوم له من الله ثم صرفه هوام عنه . . . وهذا معنى كونه ما ينطق عن الهوى . . . ثم الذين يأخذون على رسول الله ﷺ أن الله عدل له أو عتب عليه :

أولا : نقول لهم ها هو رسول وبشر . . . ومن عدل له أبشر مثله أم ربه ؟ . . . وأي استنكاف من بشر في أن يعدل له ربه منهجه !! فان المعدل هو الله وليس انسان مثله . . . ولماذا لا نأخذ بما قاله رسول الله ﷺ هو عن نفسه : « يجد علي فأقول أنا لست كأحدكم ويؤخذ مني فأقول ما أنا الا بشر مثلكم » فكان الرسول بتجريده عما يوحى اليه يصح أن يكون منه كذا ويصح أن يكون منه كذا . . . ولذلك واحد يقول : ووجدك ضالا فهدى . . . فكيف كان ضالا فهداه ؟ . . . فنقول : ما هو الضلال ؟ . . . ابحث عن معنى الضلال . . . الضلال هو ألا تصل الى منطقة الهدى . . . وصولك الى منطقة الهدى عنده فرعان : الأول : أن تكون عالما بمنطقة الهدى ولا تزال غيا ، والثاني : ألا تكون عالما بها . . . يقال

فلان ضل الطريق . . معنى ضل الطريق : أكان عارفا بالطريق الصبح ثم بعد ذلك تعمد أن يذهب الى الطريق الغلط ؟ . . أم لم يكن عارفا بالطريق أصلا ؟ . . الرسول ﷺ قصارى ما كان عنده أنه لا يعجبه طريق قومه لا في توجههم لاهتهم ولا في سلوكهم . . انما ما هو المنطق . . المنطق والخط الذي يجب أن يسير عليه ؟ . . فقال له ربه : انك كنت متضائفاً لا تعرف الطريق وأنا هديتك للطريق . . اذن فليس معنى ذلك أنه كان عنده منعه حتى ثم خالفه فيقال إنه ضل . . اذن فنحن نقول له : هو ما ينطق عن الهوى صحيح . . يعني أن كل ما صدر من حكم منه لم يكن فيه بلاغ عن الله . . لم يكن يعلم وجه الحق في شيء ثم جعل هواه يعدل الى شيء آخر . . بل محمد ملكه الدليل على أن هذا هو الحق . . وبعد ذلك ننظر نظرة أخرى فنقول : الأشياء التي عاتب الله فيها رسوله : أعاتب عليه أم عتاب عليه لصالحه ؟ . . أمثلة : الرسول ﷺ عندما غضبت بعض نساته من أنه عمل كذا فحرم على نفسه بعض ما أحل الله . . الخطر كل الخطر في أن يحلل ما حرم الله . . انما هو حرم على نفسه ما أحل الله . . ومن الممكن أن أي فرد يرفض أكل طعام معين . . أي حرمه على نفسه (كل الطعام كان حلالا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه) . . الذي حرم على نفسه ضيق على نفسه أم وسع ؟ . . بالطبع ضيق . . اذن العتاب من الله لصالح محمد وليس عليه . . يقول له : لماذا تضيق على نفسك ما وسعه الله لك ؟ . . فهذا عتاب عليه صحيح انما الأمر يتعلق به أم يتعلق بالغير ؟ . . هذا أمر يتعلق به . . فهذه يجب أن تكون في ميزان له لا في ميزان عليه ﴿ لم تحرم ما أحل الله لك ﴾ .

قصة ابن مكتوم

بعد ذلك نأتي لموضوع آخر . . موضوع الأهون . . موضوع ابن أم مكتوم . . وهو من المواضيع التي تكلم فيها المستشرقون بحجة النيل من اعجاز القرآن . . وصدق الرسالة . . تعال يا أخي : الرسول ﷺ ترك ابن أم مكتوم وهو الأسهل الى الأصعب . . ابن أم مكتوم يريد أن يسأل الرسول ﷺ أسئلة جوابها سهل عنده ﷺ في الوقت الذي يتكلم فيه مع ناس عندهم خصومة وجذب . . اذن الرسول ﷺ انتقل من الأسهل على نفسه الى الأصعب . . فعتاب ربنا عليه هنا هو لماذا فعل هكذا ؟ . . (وما عليك ألا يزكى) . . فكان الرسول ﷺ وضع نفسه في موضع صعب من صنديد قريش بأن يقيم عليهم الحجة ا الخ . . فكأنه اعتقد أنهم إن لم يبتدوا فعليه وزر . فقال له : لا وزر عليك . . يعني لماذا تكلف نفسك الأمر الصعب في الدعوة وأنت عليك البلاغ فقط وتترك الأمر السهل . . اذن فالعتاب لصالحه أم لغير صالحه ؟ . . خذها من ناحية أن رسول الله ﷺ ترك أمرا كان سهلا عليه جدا ولا يكلفه عنتا ولا يكلفه مشقة ثم ذهب الى أمر آخر يتطلب عنتا ومشقة . . ثم ينظر الى الخبيثة . . الخبيثة أن هؤلاء الذين تصدى لهم الرسول ﷺ كان يرى أنهم لو اهدوا فلا أقل من أنهم لن يفتنوا المؤمنين . . ولا أقل من أن يؤمن أتباعهم . . فالأمر لصالح الدعوة بمشقة على نفسه . . اذن فعتب الله عليه في قوله : ﴿ عسى وتولى . ان جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتتضعه الذكري . أما من استغنى . فأنت له تصدى ﴾ ثم قال ﴿ وما عليك ألا يزكى ﴾ يدل على أن الرسول ﷺ كان يحمل نفسه على الأمر الشاق ويترك الأمر السهل فالله عتب عليه . . تماما كما لو دخل الانسان منا على ابنه مثلا فوجده يذاكر في اليوم عشر ساعات أو عشرين ساعة فيعاتبه . . ولكن لماذا يعاتبه ؟ . . هل لأنه قصر أم لأنه حمل نفسه أكثر مما يطلب منه ؟ . .

أسرى بدر

ثم ننظر الى هذه الامور من ناحية اخرى . . فهي تدل على امانة رسول الله ﷺ في التبليغ عن ربه . . فهو ينقل الينا امرا يتعلق بحكم عاتبه الله فيه . . وبعد ذلك انتهى امر العتب الى نسخ حكم عمل الرسول ام تأييده ؟ . . ولنضرب لذلك مثالا بأسرى بدر ﴿وما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾ وفي تفسير هذه الآية قيل إن الرسول ﷺ استشار أصحابه وكل منهم كان له رأي . . فعمر رأى رأيا وأبو بكر رأى رأيا . . وعبد الله بن رواحة رأى رأيا وغيرهم . . ثم أخذوا برأي معين وعملوا به . . وفي اليوم التالي دخل عمر على الرسول ﷺ وأبي بكر فوجدهما يتكلمان . . فسألها ، فقال الرسول ﷺ : أبكي للذي كاد أن يصيبنا . . هنا قال هؤلاء المشككون : إن القران جاء مخطئا . . حاشاه . . رسول الله ﷺ . . لكننا نطرح الرواية والتفسير على ذلك : هل عدل الخطأ أم أقره ؟ . . لم يعدل الخطأ . . الله سبحانه وتعالى احترم الظروف المرجحة لأخذ هذا الرأي . . وبعد ذلك قال : ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ فالحكم لم يتغير . . ومعنى أن الحكم لم يتغير . . ومع ذلك قال لنا ذلك . . إن الرسول ﷺ كان مبلغا أميناً . . لو أن الحكم كان قد تغير نقول : إن رسول الله ﷺ اضطر أن يذكر هذه الحكاية لأنها حيثية تغير الحكم . . فكان فيه رأي بأخذ الفداء . . والاخر بقتل الأسرى . . ثم رجح أخذ الفداء . . وبعض المفسرين يقول : سبق في علم الله تعالى أنه سبيح لهم أخذ الفداء ، ولكن ﴿وما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾ . . يعني كان المفروض أن تنتظر الى أن ينزل الحكم .

حكاية زيد بن حارثة

ولذلك فإن الحق سبحانه وتعالى ساعه أن يأتي باستدراك على حكم قاله ﷺ ببشريته يعبر عنه التعبير الدقيق . . . مثلاً زيد بن حارثة لما جاء أبوه وعمه وعرفا أنه عند رسول الله ﷺ وأرادا أن يأخذهما من رسول الله ﷺ وخيره : إما ان يذهب مع أبيه وإما أن يظل معه . . . فاختار رسول الله ﷺ . . . الذي اختار رسول الله على أبيه كيف يجازيه رسول الله ؟ . . . سماه زيد بن محمد . . . شرف كبير لزيد بن حارثة أن يكون زيد بن محمد . . . وبعد ذلك أراد الله أن يطل مسألة النبي فقال : ﴿ ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله ﴾ تعبير دقيق . . . كلمة أقسط . . . فكان ما صنعتها يا محمد قسط عدل ولكن نريد ما هو أعم وأسمى من هذا . . . إذن فالرسول ﷺ كان يتخول أن يأتي الأشياء على مقتضى العدل . . . فهذا ببشريتك ، ولكن عندي مسألة أعم تعم زيد بن حارثة وغيره . . . مبدأ اسلامي وهو ﴿ ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله ﴾ فإن لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ﴾ يعني بعد أن كان زيد بن محمد أصبح مرة أخرى زيد بن حارثة . . . وهذا بالنسبة لزيد نكسة . . . لكن الله سبحانه وتعالى لم يفجعه هذه الفجعة إلا لكي يطبق مبدأ عاماً.. زيد بن حارثة يقول : أنا كنت خادم شرف . . . لكن بسبب تطبيق هذا المبدأ العام . . . أرجع من زيد بن محمد الى زيد بن حارثة . . . فيقول له الله لكن سوف أعطيك نيشانا من عندي فوق ما أعطاك محمد . . . فإذا كان محمد أعطاك شيئاً قرب محمد سيعطيك ما هو خير مما أعطاك . . . زيد ، هو الصحابي الوحيد من صحابة رسول الله ﷺ الذي يذكر اسمه في القرآن متلو . . . ويتعبد بتلاوته . . . ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً ﴾ . . . بعد أن كان زيد بن محمد أصبح اسمه كلمة في القرآن نقرأها ونتعبد بها . . . فهل أخذ شرفاً أم لم يأخذ ؟ . . . إذن نخلص من هذا فنقول : الرسول ﷺ حينها يكون بصدد أمر ليس عنده حكم فيه يتخيله فيختار الأصلح فيصنعه .

اذن فقولہ سبحانہ : ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ . . الحق سبحانہ ساعة أن قدم كلمة العفو . . فهذا معناه قطع كل شيء . . معنى عفا الله عنك كما نقول في عرفنا أن المسألة منتهية . . لا شيء فيها . . لكن ربنا يقول لرسوله هذا الكلام ليعلم أناسا آخرين ليس عندهم وحي . . فالرسول ربه سبحانہ وتعالى هو الذي يعدل له إن اخطأ مثلا . . لكن غير الرسول من يعدل له ؟ . . اذن لا بد أن كل واحد يعمل المسائل عن بيان . . حتى يتبين لك . . اذن العلة في مثل هذه المسألة حتى يتبين لك الذين صدقوا . فهذا وجد له من يصحح له ، لكن أمثالنا وأمثال خلفائه وأمثال أتباعه لا يوجد من يصحح لهم .

أما عن قوله تعالى : ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾ وقوله : ﴿ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيم﴾ فقول : الرسول ﷺ كما قلنا هو مسك الختام في البلاغ عن الله . ما دام مسك الختام في البلاغ عن الله . . فالحق يعلم ألا أن الرسول ﷺ ستأتي دعوته وأمته ستكون آخر الأمم التي عليها بعث الساعة وأنها الأمة التي يبلغ فيها العقل البشري نصجه وتفتحته وطموحه واكتشافاته . . الخ . والعقل البشري هو وان كان الميزة التي ميز الله سبحانہ وتعالى بها الانسان . . الا أنه أيضا الخطر الذي يصاب من ناحيته الانسان !! . . لماذا ؟ . . لأن العقل البشري يفتن . . وساعة أن يفتن يريد أن يعطي لنفسه أكثر من مجاله . . ولو أنه كما قلنا ان العقل البشري يبحث أول ما يبحث في أن يعقل مهمته . . ويعلم أنه آلة ادراك . . والعين آلة ادراك . فكما أن العين لها مجال في أن ترى والأذن لها مجال في أن تسمع كذلك أنت لك مجال في أن تفعل . . فالعقل البشري كلما قدم طموحه واكتشافاته لأسرار الكون ازداد بنفسه غرورا . . هذا الغرور مردود بشيء واحد هو أن ما يعتبره العقل البشري شيئا يؤدي الى غروره كان يجب أن يجعله شيئا يعرف به قدره . . لأن معنى أن واحدا اكتشف شيئا اليوم أنه كان عاجزا عنه بالأمس . . اذن اكتشافات العقل ليست دليلا على قدرته وإنما هي دليل على عجزه . . فلو لم يكن عاجزا بالأمس ما اكتشف اليوم . لو أنك أيها العقل صالح لادراك حقائق الأشياء لأدركتها دفعة واحدة لمجرد وجودك . . فهذا الانسان بعقله هذا كلما تقدم في كشفه لحقائق الكون كلما بعد عن فطرة التدين . .

ولنضرب لذلك مثلا ونقول : كان الناس حينما لا يجدون ماء لزرعهم ومواشيهم وأنفسهم . . ماذا كانوا يصنعون ؟ . . كانوا يفزعون الى الاستسقاء . . لأنه لا بديل عن ذلك . أما الآن اذا لم نجد الماء نتحايل فرمما كانت هناك ماسورة بها كسر أو أن أجهزة الضغط بها عطل أو . . أو . . الخ . . اذن أصبح فيه وسائط من نشاطات العقل أبعثنا . . فالوسائط بيننا وبين الفزع خزان لتخزين الماء فيه مدة طويلة . . ولكن لو لم يكن العقل قد جاء بهذا الخزان وعمل الأواني المستطرقة . . و . . و . . الخ . فكان بمجرد امتناع الماء فزعنا الى الله . . أي أننا نبعد عن الايمان بقدر عطاء العقل وهذه كارثة . . وأنه من المفروض كلما اكتشفنا سرا من أسرار كون الله تعالى في الوجود أن نزداد بالله تعلقا .

● ألا يمكن أنه بعد أن يبعد بنا العقل عن الايمان بمقدار ما يحقق من مكاسب ثم يقف عاجزا أن يجعلنا أشد ارتباطا بالله ؟

اذن كان ولا بد أن تكون الدعوة التي ستعاصر وثبات العقل في الابتكار دعوة دسمة مقابل هذا . . فدعوة الرسول هذه عظيمة لأنها ستوالي العقل المتطور . . العقل الواصل . . ولذلك فإن الحق سبحانه وتعالى لا يعطي عطاءه في كتابه دفعة واحدة . . والا لو أنه أعطى عطاءه في كتابه للمقرن العشرين فقط ثم بعد ذلك يأتي القرن الثلاثون فماذا يكون فيه من عطاء الله ؟ . . فينبغي اذن أن يعطي الكتاب الكريم أسرار الله المودعة فيه بأقدار على قدر ما يناسب طموح العقل . . واذن سيظل عطاء القرآن الى أن تقوم الساعة بحيث يجعلنا هذا العطاء نتحقق من قوله تعالى : ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ . . وبعد ذلك حينما يأخذ العقل قوته ولم يعد في كونه سرا حتى يبيح العقل عنه فيقول : ﴿أخذت الأرض زخرفها وأزمنت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا﴾ .

اذن فالرسالة المحمدية جاءت ويعلم الحق أنها موقوتة وعلى ميعاد مع وثبة العقل العظموحة في الابتكار . . لو لم يكن في هذه الرسالة ما يقابل هذا لبعث الناس عن منطق الله .

والنقطة الأخيرة هي المنفرة . . الرسول ﷺ خاتم وآخر أذن تستقبل رسالة السماء

﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾ . ولا يأتي بعد ذلك رسول . . اذن فالرسول هو منول الفتح الى الله . . والفتح الى الله بعطلي خير الله . . لكن الانسان لا يستقبل الخير دائما باليقظة المطلوبة له فتغفل نفسه . . فالرسول مع ذلك يقول : أنا آخذ بيدك لأرجعك الى الفتح . . اذن فالخى سبحانه وتعالى جعل ميزان المؤمن في الحكم على ايمانه يتصل بالرسول ﷺ ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ . . اذن فهذا ميزان الايمان . . اذا اردت أن أعرف مرتبتي من الايمان فأنظر موقفتي من الرسول ﷺ في هذه المسألة . . وكلمة (يحكموك) . . لماذا لم يقل يحكموا الله ؟ . . لان الرسول هو الذي ينطق عن الله ولكن فيه أحكاماً كثيرة، الرسول ﷺ قالها هو فلا نستطيع أن نقول فيها، قال الله فيها كذا . . اذن فمعنى (يحكموك) أي فيما بلغته عن الله وفيها استنبطته أنت من نفسك واجتهدت فيه . . ولذلك تجد أن آيات القرآن الكريم في مسألة الطاعة مرة تقول : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾، فيكرر الأمر . . ومرة يقول : ﴿أطيعوا الله والرسول﴾ . . ومرة يقول : ﴿أطيعوا الرسول﴾ . . لماذا ؟ . . لان فيه وأمورا اشترك فيها الرسول مع الله ، وأمورا جاء الله بها اجمالا والرسول فسرهما ، قلنا هنا طاعة وهنا طاعة وأمور لم تأت عن الله . . اذن عندما يقول : ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك﴾ وهو لا يحكمكم الا بما تلقاه عن الله أو بما اجتهد فيه توفيقا ووافق الله سبحانه وتعالى عليه ، وبعد ذلك تأتي في مسألة الذنوب . . اذن فهو أخذنا من مقام الفتح الايمان وبعد ذلك يأخذ أيضا في مقام الأوبة الى الله .

الرسول صلى الله عليه وسلم أعاد « انسجام الانسان مع الوجود كله »

وإذا أردنا أن نتعرض لتقييم الحق لرسوله ﷺ وجدناه حين يخاطب جميع الرسل يخاطبهم مباشرة فيقول : «يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك» . . «يا نوح اهبط بسلام منا» . . «فلما أتاه نودي يا موسى إني أنا ربك» . . «يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله»

ولكنه سبحانه وتعالى حينما يتوجه بالخطاب الى حبيبه الأعظم ﷺ . . . لم يقل يا محمد . . ولا يا أحمد . . إنما قدم بين يدي ندائه قوله : «يا أيها النبي . . .» . . ذلك أمر يرفع رسول الله ﷺ الى أقرب المكانات من ربه . .

ونجد الحق سبحانه وتعالى حين يقسم على أشياء ليؤكد لها يقسم بأشياء كثيرة من أجناس شتى . . فيقسم بالجماد . . ويقسم بالنبات . . ويقسم بالحيوان . . ويقسم بالملائكة . . ولكننا لم نره أقسم ببشر مطلقا الا برسوله ﷺ حين يقول : «لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون» أي : وحياتك . . . يا محمد . . فكان عمر رسول الله وحياته رسول الله أمر له مقامه عند ربه . .

وإذا كان الناس حين يمدحون انسانا بحسن الخلق . . ونبل الصفات . . وجمال الخلق . . فانهم يمدحونه لأنهم عرفوا الصفات وقيموها ببشريتهم . . وتقييم البشر للأشياء خاضع لعلمهم بهذه الأشياء . . فان الحق حين يقيم الخلق على أرفع مستوى خلقه في الانسان فيقول : «وانك لعلى خلق عظيم» فحين يقول الحق سبحانه وتعالى ذلك الخطاب لرسوله ، فليس المقصود هنا الخلق المتواضع عليه عند البشر . . لكن الخلق المطلوب لله ورسول الله اجتاز هذه المنزلة فكان صاحب الخلق العظيم بتقييم الله العظيم .

والحق سبحانه وتعالى حين يريد هدى الى خلقه يرسل لهم رسلا . . . والرسل يأتون بمنهج الله الى الناس . . . ولكن المنهج يفيد الناس في حركاته . . . والناس يالفون دائما شهوات أنفسهم . . . فتطرا عليهم الغفلة فينسبون شيئا من المنهج . . . وحين ينسبون بأبي المجتمع لينبهم الى ذلك .

اذن فالانسان قد يكون أوابا الى ربه حين تكون نفسه لوامة . . . ولكن قد تأتي عليه فترة من الزمن فلا تلومه نفسه فعل المجتمع حينئذ أن ينبيه الى نفسه وأن يعيده الى رشده ليهديه . . . فاذا ما فسد المجتمع . . . فعماذا يكون الموقف ؟ . . . لا بد أن تتدخل السماء مرة ثانية لتأتي بالمنهج الجديد . . . ولا بد أن يكون على لسان رسول جديد بمعجزة جديدة . . . ولكن الله سبحانه وتعالى قد شاء أن يختم الرسالات برسالة سيدنا محمد ﷺ ولم يأت نبي بعده . . .

اذن فالرسول - ﷺ - هو الخاتم . . . ومعنى الخاتم : ان الله أودع في أمته خصيصة . . . تقوم مقام تعدد النبوات . . . وتعدد الرسالات . . .

اذن فالرسول ﷺ هو الخاتم لرسالات السماء . . . ولهذا أن تكون في رسالته عناصر البقاء . . . وفي أمته عناصر الحفاظ على هذه الرسالات . . . ولذلك يقول المصطفى ﷺ : « الخير في وفي أمي الى يوم القيامة » . . . ولكن الخير حين يكون محصورا فيه . . . فمحمد ﷺ أهل لأن يتلقى كمالات متعددة . . . ولكن الأمة لا يستطيع فرد منها أن يأخذ الكمال المحمدي . . . فالخير فيه ﷺ بأجمعه وكله . . . ولكنه في أمته موزع . . . فواحد يأخذ منه صفة . . . وثاني يأخذ منه صفة بحيث اذا تجمعت صفات الكمال في أمته ﷺ أمكن أن يكون النموذج الشائع في أمته كلها .

جاء الرسول ليعيد انسجام الانسان مع الوجود كله . . . أي الوجود بجماده ونباته وحيوانه . . . وكل هذا مسخر لله ، فلا يمكن أن يصدر عنه شيء الا بإمراد الله منه . . . ولكن الانسان نفسه هو الذي جاء منه الطائع . . . وجاء منه العاصي . . . ولذلك يعرض الحق هذه القضية في عدم انسجام الانسان مع الوجود الخاضع . . . الساجد . . . الخاشع . . . فيقول تعالى : « ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم

والجبال والشجر والدواب . . ﴿ تلك هي أجناس باجماع ساجدة . . خاضعة لله . . ولكنه حين جاء عند الانسان لم يأت ذلك الإجماع فقال سبحانه ﴿ وكثير من الناس ﴾ ﴿ وكثير حق عليهم العذاب ﴾ وكان المفروض أن ينسجم الانسان مع الوجود كله . . فيكون خاضعا لمنهج الله كما أن الوجود كله خاضع لمنهج الله . . ويأتلف معه . . وينسجم معه . . ولا ينسجم شيء من الوجود مع الانسان الطائع . . أما الانسان العاصي فهو يشكل شقاقا بينه وبين أجناس الوجود : وجود ساجد . . مسبح . . خاشع . . وانسان متمرد عاص . .

حين يأذن الله سبحانه وتعالى ليعيد للانسان بمنهج الله انسجامه مع الوجود . . فلا بدعة اذن أن يفرح ذلك الوجود بمن يعيد اليه انسجام الانسان معه . . وذلك هو الشأن معه . . جاء ليعيد انسجام الانسان مع الوجود كله ليأتي بالمنهج النهائي لهدي الانسان . . ليكون الانسان خاضعا لبقية أجناس الكون لله تعالى . . اذن فلا عجب أن يفرح به الوجود من جماد ونبات وحيوان . . ولا عجب أن تفرح به الملائكة . . ولا عجب أن يفرح به طائع الجن . .

فاذا حدثنا أن ميلاده ﷺ قد قرن بأشياء حدثت في الكون من ارهاصات في الوجود كله بميلاده . . فيجب علينا ألا نستبعد ذلك . . لأنه هو الرسول الذي يعيد للانسان انسجامه مع الوجود كله . . وهذا الوجود كما نعرفه ليست فيه الحياة التي نعرفها في نفوسنا . . ولكن له حياة . . وله تعقل في التلقي عن الله . . وله فرح وله حزن . . وقد شاء الحق سبحانه وتعالى أن يعرض لنا هذه القضية غرضا اجماليا . . لنعرف أن الكون كله عبد الله . . وخاضع له فقال سبحانه : ﴿ وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ أي كل شيء في الوجود مسبح ولكننا ألفنا التسبيح بالفاظ وبلغة . . فلما لم نسمع عن الكون ألفاظا ولفظة . . قال بعض العلماء : إنه تسبيح الدلالة على وجود الله وعلى وحدانيته . . نقول لهم : مرحبا . . له أيضا تسبيح الدلالة ولكن ذلك لا يمنع من التسبيح الحقيقي . . لأنه ان كان تسبيح دلالة كما يقولون فالحق يقول ﴿ ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ وأنتم قد فقهتموه . . اذن فهو غيره .

والذي يدل على ذلك أن الحق سبحانه عرض من أجناس الوجود أشياء وجعلها

تشارك أيضا مع الانسان فيقول في شأن داود عليه السلام : ﴿يا جبال أوبي معه﴾ أي رجعي تسبيح الله . . أي يجب أن يوافق ترجيعك يا جبال ترجيع داود ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن﴾ . . والجبال مسبحة مع داود ومع غير داود . . ولكن الامر أن يتفق تسبيح الجبال مع تسبيح داود ليكون كأنه عرس توحيد في الكون . . ويعرض الحق سبحانه أيضا أن لجميع الأجناس منطقا ولغة . . جهلنا به هو الذي جعلنا لا نفقهها . . فاذا علم الله انسانا من خلقه لغة هذه الأشياء أمكنه أن يتفقه تسبيحها ونطقها . . ويقول الحق سبحانه : ﴿قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾ . . وسمعها سليمان . . وحمد الله على أن أنعم عليه بفهم لغة النمل . . وقد يقال إن تلك أمور تعلمتها النملة لتحافظ على نوعها . . بدليل ﴿لا يحطمنكم سليمان وجنوده﴾ فهي تحافظ على بقاء النوع . . والرد على هذا القول : بلا . . لأنه حينما عرض الحق سبحانه أيضا قصة هدهد سليمان . . فماذا قال الهدهد ؟ . . لقد قال : ﴿وجئتك من سبأ نبيا يقين . ابى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم﴾ . . هذا كلام الخبر . . ولكن يهمننا في قضية العقيدة والتوحيد . . انها أمر سائر في كل أجناس الكون أن يقول الهدهد ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾ . . هذا ما حر في نفس الهدهد . . اذن فالهدهد يعرف من يجب أن يسبح ومن يجب أن يسبح له . . ﴿ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض﴾ .

اذن فاذا عرضت لنا السيرة العطرة أن أشياء من الكون فرحت برسول الله ﷺ وحدثت أشياء منها ، فذلك أمر لا نستبعده على كون مسبح لله . . عارف بحق الله . . وأيضا لنا نحن المظلومين بأن نؤمن بهذا . . ولكن الذين آمنوا هم الذين شاهدوها وسمعوها . . ومن سمعوها حجة على أنفسهم ونحن نتلقى عنهم الخبر . . فان كنا موثقين لهم في الخبر صدقناه . . وان لم يتسع ظننا لتوثيق الخبر فنحن أحرار في أن نصدق أو لا نصدق . . ولكن منطوق الأشياء ومنطق الوجود لا يمنع وجود شيء من ذلك . . فاذا حدثنا أن ايوان كسرى قد شق . . فماذا في ذلك ؟ . . وماذا في ذلك من العجب ؟ . . أنستبعد أن يؤقت شق الايوان بميلاد الرسول ؟ . . أنستبعد على الله أن يحمده نار فارس ويؤقته مع ميلاد الرسول ؟ . . نستبعد على الله أن يؤقت أن تفيض بحيرة ساوة مع الميلاد ؟ . . لماذا

هذا اذن !! . . فالقران حين يعرض لهذه القضية يعرض لما حدث في الكون في عام الفيل . .

ففي عام الفيل جاء قوم ليهدموا الكعبة . . بيت الله الذي اختاره لنفسه . . وحوله ونحوه نلتف جميعا في الصلاة . . هذا البيت له قالب أريد به ضر وهدم . . فلماذا لا نفهم أن الحق سبحانه وتعالى حافظ على مبنى البيت في ذلك العام وأوجد فيه الشخص الذي يحافظ على معناه في ذلك العام . . فتكون المحافظة على المبنى بمنع أبرهة من هدمه . . هي بعينها المحافظة على بقائه لربه بميلاد محمد ﷺ ؟ . . وإذا كان الحق سبحانه قد عرض لنا هذه القضية فانه قد عرضها عرضا عجيبا . . هذا العرض العجيب يتجل في قوله سبحانه ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم في تضليل . وأرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول ﴾ .

ورسول الله ﷺ لم ير وقتها ولكنه علم بالقضية من الله . . والمسألة كلها متعلقة بمحمد ﷺ ﴿ فعل ربك ﴾ والرب تفيد التربية والكمال والبلوغ بالربي الى درجة الكمال . . فما دام ﴿ فعل ربك ﴾ فتكون لمحمد علاقة بالمحافظة على ذلك البيت الحرام .

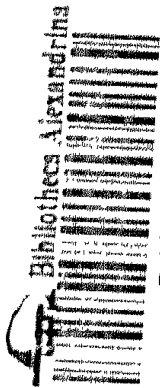
فهرست

٥	حوار مع الشيخ الشعراوي
٧	مقدمة
٩	تفسير القرآن
١٣	تخلف الدول الاسلامية
١٨	هل جزاء الإحسان ... الإساءة؟
٢٣	لقد خلقنا الإنسان في كبد
٢٨	حديث عن الرزق
٣٣	الخمر هل هي محرمة
٣٨	بحث عن الروح
٤٣	حديث عن الآخرة
٤٨	معنى الجنة
٥٣	خطيئة آدم
٥٨	الاسلام والسيف
٦٢	نحفظه نعم... نعمل به لا
٦٦	علوم الدين .. وعلوم الدنيا
٦٩	١٧ قضية في ميزان الإسلام
٧٣	مقدمة
٧٥	- امرأة فرعون ودرس لنساء اليوم
٧٧	- دور أجهزة الاعلام في العالم الاسلامي
٧٩	- من الخاسر ...؟
٨١	- الطلاق والتعدد

٨٢	- المعجزات النبوية
٨٥	- تلازم بين القرآن والسنة
٨٧	- قيمة الحياة والموت
٩٠	- المساواة بين الرجل والمرأة ... خرافة أم حقيقة؟
٩٢	- تسع زوجات وأربع ... لماذا؟
٩٤	- الاسلام
٩٥	- التقوى
٩٦	- الاحسان
٩٧	- العلاقة بين المفاهيم الثلاثة
٩٨	- الشرك
٩٩	- الفسق
١٠٠	- الرياء
١٠١	- العلاقة بين المفاهيم الثلاثة
١٠٢	- ليل ونهار
١٠٤	- الانسان والمخلوقات
١٠٦	- العمل والراحة
١٠٨	- مقدمة لسورة الاخلاص
١١١	- تفسير السورة
١١٤	روح الاسلام ومزاياه
١٢٨	سبح الله
١٣٥	تقسيم الأرزاق ومقومات الحياة
١٤٦	مراحل اليقين وتجديد الولاء الإيماني
١٥٦	فضل الجماعة
١٦١	الله والنفس البشرية
١٦٨	رسالات السماء

١٧٣	الانسان وقدرات الكون
١٧٩	الأسماء والمعاني
١٨٥	معنى الوجود
١٩١	الانسان والأمانة
١٩٥	الانسان والاختيار
٢٠١	الكون والانسان
٢٠٦	الانسان والعلم
٢١١	الانسان وخلق الله
٢١٦	ليس كمثل شئ
٢٢٠	والغيب والملائكة
٢٢٥	ولا خطر على قلب بشر
٢٣٠	لماذا تغيرت القبلة
٢٣٦	قضية الايمان
٢٤١	طريق الله . . والعلم
٢٤٧	أسرار النفس البشرية
٢٥١	عندما يظلم الانسان نفسه
٢٥٦	قدر الله
٢٦٢	وما تحت الثرى
٢٦٩	الشمائل المحمدية « ورد شبهات المستشرقين »
١٧١	مناقبه الخلقية والخلقية « حليته »
٢٧٥	منطقه
٢٧٧	مدخله ومجلسه
٢٧٩	مخرجه
٢٨٢	أدبه مع جلسائه
٢٨٤	المعجزات النبوية

٢٨٧	شبهات أثارها المستشرقون والرد عليها
٢٨٨	شبهة تعدد الزوجات
٢٩١	شبهة العتاب
٢٩٣	قصة ابن مكتوم
٢٩٤	أسرى بدر
٢٩٥	حكاية زيد بن حارثة
٢٩٩	الرسول ﷺ أعاد «انسجام الانسان مع الوجود كله»



0450223

To: www.al-mostafa.com